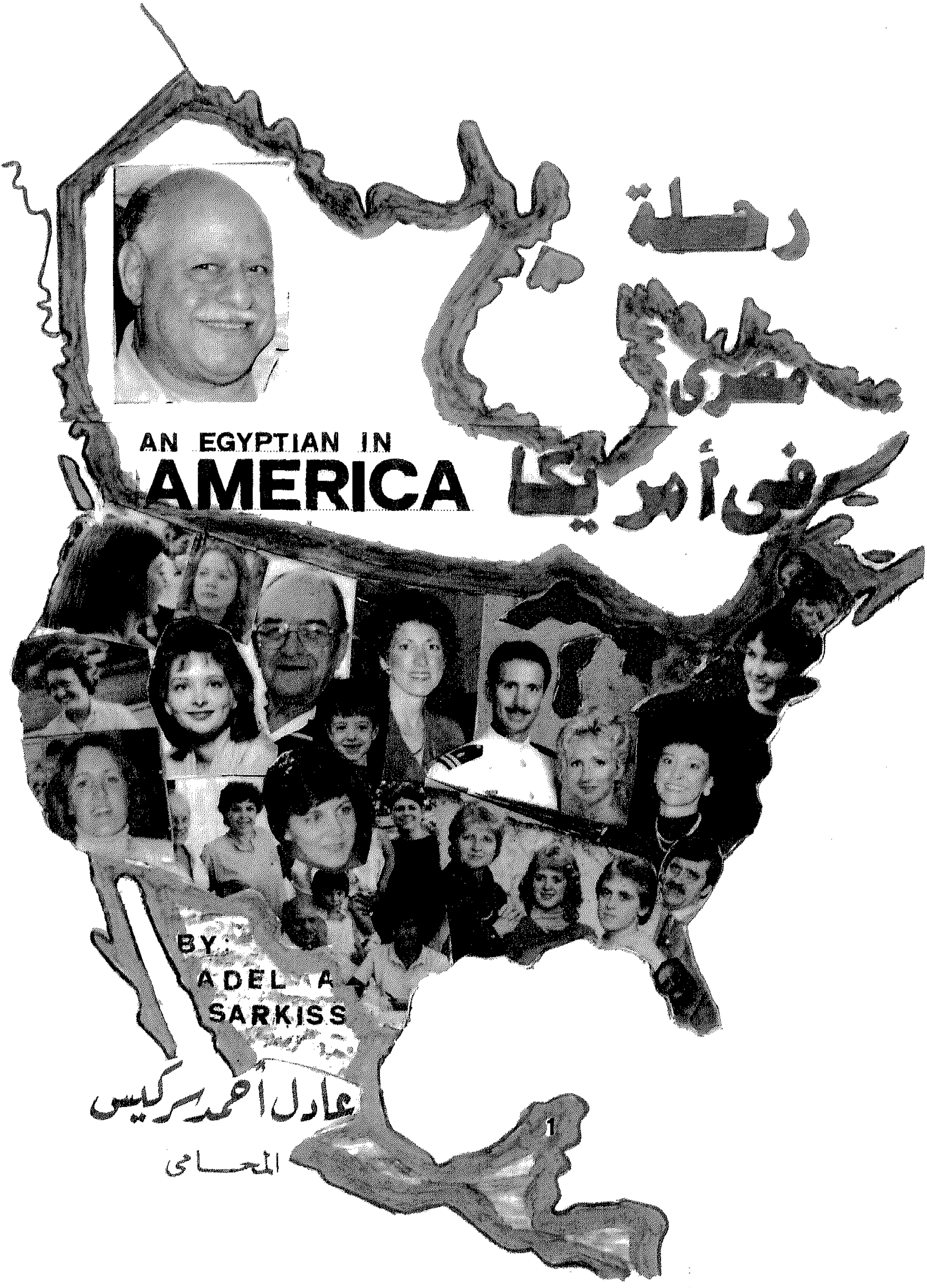
رحلة مصرى فى أمريكا

AN EGYPTIAN IN AMERICA



BY: ADEL A SARKISS

عادل أحمد سركيس

المحامى

1

رحلة مصرى فى أمريكا

الكتاب : رحلة مصرى فى أمريكا
تأليف : عادل أحمد سركيس المحامى
الطبعة : الأولى ـ ١٩٩٨
الناشر : مكتبة مدبولى ـ القاهرة
ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ تليفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤
رقم الإيداع : ٩٨/٢٣٨٥
الترقيم الدولى : ISBN 977 - 208 - 245 - 4
الجمع التصويرى دار جهاد ـ ٢٦ ش اسماعيل أباظة ـ بجوار محطة مترو أنفاق
والتنسيق الداخلى : سعد زغلول ـ الدور الخامس ت: ٣٥٦٤٧٨٣

رحلة مصرى فى أمريكا

تأليف

عادل أحمد سركيس

المحامى

الناشر

مكتبة مدبولى

١٩٩٨

الإهداء

إلى الشعبين المصرى والأمريكى.. لعل الفهم المتبادل يكون خطوة حقيقية لصداقة دائمة بينهما، تدفع بالعلاقات السياسية نحو الطريق الصحيح..

فالصداقة بين الشعوب أهم كثيرا من العلاقة الدبلوماسية بين الحكومات، وأكثر عمقا ودواما.. وإن الشعب الواعى يستطيع ـ مع زيادة واتساع وعمق صداقته لشعب آخر ـ أن يدفع حكومته نحو علاقة طيبة متعاونة مع حكومة ذلك الشعب الآخر الصديق..

عادل أحمد سركيس

المحامى

فهرس الكتاب

المقدمة

عندما نشرت الصحف المصرية في بداية عام ١٩٧٤ إعلان البعثات الدراسية للحصول على درجة الدكتوراة، طلبت من زوجتى أن يكون اختيارها من بين البعثات التى توفد إلى ألمانيا الشرقية ـ فى ذلك الوقت ـ وأن تستبعد نهائيا بعثات الولايات المتحدة الأمريكية..

وعللت لها ذلك بكونها على دراية تامة باللغة الألمانية، حيث سبق لها أن حصلت على درجة الماچستير من جامعة ليبزج LEIPZIG بألمانيا الديمقراطيةGDR سنة ١٩٧٠، ولأنها أقرب إلينا ـ جغرافيا ـ من الولايات المتحدة الأمريكية. كما أنه قد سبق لى أن قمت بزيارتها هناك خلال فترة دراستها.. وتعرفت على البلد، وأستطيع أن أتصور الأماكن التى تعيش فيها طوال سنوات دراستها بعيدا عنا، لأن ألمانيا الشرقية لم تكن تسمح للطالبة الدارسة أن يرافقها زوجها وأولادها نظرا لأزمة المساكن بها..

كان على السيدة زوجتى أن تختار ثلاث بعثات ـ حسب مادة التخصص ـ لدراسة الدكتوراة فى التربية الصحية. وكانت صدمة شديدة بالنسبة لى عندما أخطرتها إدارة البعثات بوزارة التعليم العالى باختيارها لدراسة التربية الصحية فى جامعة إنديانا INDIANA UNIVERSITY بالولايات المتحدة الأمريكية..

كانت أمريكا ـ فى ذلك الوقت من عام ١٩٧٤ ـ ذات وجه كريه فى المجتمع الدولى، وخاصة بالنسبة لنا فى مصر والبلاد العربية.. فهى تؤيد إسرائيل ظالمة أو مظلومة، فى الحق أو فى الباطل.. وتقدم لها كل المساعدات الاقتصادية والعسكرية. فى حين تعترض على المشروعات الاقتصادية المصرية وتحاول عرقلة تنفيذها..

وكانت تحارب شعب ڤيتنام VIETNAM الذى كان يريد حريته واستقلاله، بعد احتلال فرنسى طويل الأمد إنهار فى معركة ديان بيان فو.. كما أن فيها تفرقة عنصرية واضطهاداً للأمريكيين السود BLACK AMERICANS أبناء أفريقيا، ومعارك إفناء للهنود الحمر AMERINDIANS - سكان البلاد الأصليين ـ تعرضه الأفلام الأمريكية، كأنما يتباهون بما كانوا ـ وما زالوا ـ يفعلون.. وهم لا يدرون كم يؤذى ذلك مشاعرنا نحو الأفارقة الأمريكيين والهنود الحمر وحضارتهم الإنسانية..

إذا كان بعض الناس يولدون وفى أفواههم ملعقة من الذهب، فاننا ـ نحن المصريين، جيل ما قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ـ كنا نولد وفى فم كل منا مغرفة (كبشة) من السياسة، نشربها مع ماء النيل ونتناولها مع وجباتنا الثلاث، ونتعلمها فى المدرسة الإبتدائية عندما كانوا يدرسون لنا تاريخ مصر القديم، وكيف كانت مهد أول حضارة إنسانية فى العالم.. ثم فى جميع سنوات الدراسة بعد ذلك، كانت السياسة تمتزج بعلم التاريخ.. وكان الوعى السياسى ينضج بفضل مدرسى علم التاريخ، الذين كانوا يتمتعون ـ حينذاك ـ بحرية الرأى والكلمة..

لذلك كان يوم حزن عظيم عندما سافرت زوجتى إلى أمريكا فى يناير سنة ١٩٧٥، وقد ترددت طويلا قبل أن نلحق بها ـ أنا وابنتاى أمل وأمانى ـ فى شهر يونية سنة ١٩٧٦.

حملت كل ذلك معى فى الطائرة الضخمة التى أقلتنا ـ أنا والطفلتين ـ وعبرت بنا المحيط الأطلنطى إلى مطار أوهيرO'HARE بمدينة شيكاغو CHICAGO حيث تقلع وتهبط طائرتان كل ثلاث دقائق. وقفنا فى صف منتظم أمام قسم الجوازات المخصص لغير الأمريكيين، ثم فى صف آخر عند الجمارك، ولم تفتح حقيبة واحدة.

أرشدونا إلى موقف السيارات التى تنقلنا مجانا ـ إلى المطار الداخلى، حيث أقلتنا أصغر طائرة ركاب تحمل إثنى عشرة راكبا يتبادلون الحديث فيما بينهم وبين قائد الطائرة الذى لا تحجزه عنهم كابينة منفصلة..

هبطت بنا الطائرة فى مطار مدينة بلومنجتون BLOOMINGTON بولاية إنديانا، حيث مقر جامعة إنديانا الشهيرة، لأعيش تجربة إنسانية استمرت لأكثر من ثلاث سنوات تنقلت خلالها بين كثير من الولايات الأمريكية حتى غادرتها يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٩.

وفى المطار، عندما سألنى الصديق ولتر سير WALTER SARE

= متى تعود إلينا؟

قلت بسرعة ودون تفكير

= بعد ثلاث سنوات..

وقد أتيح لى أن أعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٨٢ لمباشرة إحدى

القضايا مع أحد المحامين الأمريكيين، وعندما كنت أخطو إلى داخل منزل صديقى ولترسير فى الغابة الرائعة شمال مدينة بلومنجتون، فوجئت به يسألنى..

= ما تاريخ اليوم؟

قلت فى بساطة

= ٢٣ يوليو سنة ١٩٨٢

قال ضاحكا..

= قد عدت إلينا بعد ثلاث سنوات بالضبط..

وقد عدت للمرة الثانية عام ١٩٨٤ لقضاء ثلاثة أشهر أخرى فى ولاية كولورادو، ولتزداد التجربة عمقا بزياراتى لعدد آخر من الولايات الأمريكية فى السنوات ١٩٨٧ و ١٩٨٩ ثم فى عام ١٩٩١.

وقد نشر جانب كبير من هذا الكتاب على صفحات جريدة أخبار الخليج البحرينية فى ثلاثين حلقة خلال الفترة من ٩١/٤/١٩ حتى ١٩٩١/٨/١٥، كما نشرت خمس حلقات بجريدة الأيام البحرينية خلال الأسبوع الأول من شهر أبريل سنة ١٩٩١.

وقد كان للمناقشات الكثيرة والمتنوعة التى دارت حول تلك الحلقات أثر كبير عند إعادة كتابتها باضافة معلومات أوسع عن بعض الموضوعات.

سألني الكثيرون...

= إذا كانت غالبية الشعب الأمريكي بالصورة الجميلة التى رسمتها عنهم، فلماذا لا ترى معظم شعوب العالم إلا ذلك الوجه القبيح لأمريكا؟!

إن هناك اختلافا كبيرا ـ الى حد التناقض ـ بين غالبية الشعب الأمريكى وبين الادارة الأمريكيةالحاكمة.

فى عام ١٧٨٩ م كتب بنيامين فرانكلين ـ أحد كبار رجال الاستقلال الأمريكى ـ محذرا الشعب الأمريكى من خطر بعض الجماعات الدينية على الأخلاق والحياة الأمريكية..

ومنذ تولى هنرى كيسنجر الرئاسة الفعلية لمجلس الأمن القومى الأمريكى، تزايد نفوذ

العناصر ذات الولاء المزدوج داخل المخابرات الأمريكية، وبالتالي فى الادارة الأمريكية الحاكمة. حيث أن الجهتين المذكورتين ـ مجلس الأمن القومى والمخابرات المركزية ـ تحددان السياسة العامة للدولة، وخاصة ما تعلق منها بالسياسة الخارجية والعلاقات الدولية.

ويعترف السناتور فولبرايت في كتابه «ثمن الإمبراطورية» أن جماعات الضغط ذات الولاء المزدوج فى أمريكا قد اتخذت منذ فترة طويلة موقفا يقضى بأنه اذا لم تفعل ما تريده تلك الجماعات، تصبح معاديا لاسرائيل وللسامية.. ولأن أحدا لا يرغب فى أن توجه إليه هذه الاتهامات وما يقترن بها من عقوبات سياسية، فقد كان من المستحيل اتباع سياسة متوازنة فى الشرق الأوسط.. لم يكن ذلك ممكنا في الماضي، ومازال غير ممكن حتى الآن.. لأن أى عضو فى الكونجرس لا يلبي رغبات جماعات الضغط ذات الولاء المزدوج، يتم التنديد به بمرارة، ويتلقى تأكيدات بأن منافسه سيلقى تمويلا سخيا فى الانتخاباتالتالية..

لقد كانت زوجتى تعاتبنى كلما كنت أردد ـ حتى عام ١٩٧٦ ـ أن الولايات المتحدة الأمريكية ستنهار يوما مثلما انهارت قبلها الإمبراطوريتان الرومانية والبريطانية.. وقد تراجعت عن هذا الرأى لفترة طويلة، حتى كانت حرب الخليج والهجوم الشرس على شعب العراق، بما تجاوز كثيرا قرارات الأمم المتحدة.. فى حين تلاعبت الولايات المتحدة الأمريكية مع حليفتيها ـ إنجلترا وفرنسا ـ لمنع تنفيذ قرارات مجلس الأمن فيما يتعلق بدولة البوسنة والهرسك وجرائم الاغتصاب الوحشية والقتل الجماعى لإخلاء المدن والقرى البوسنية من سكانها.. ثم اعلان ما يسمي بالنظام العالمى الجديد الذى يخضع للسلطة السياسية والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية، أى للجماعات ذات الولاء المزدوج التى تسيطر على مجلس الأمن القومى والمخابرات المركزية.

وقد نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٥/٤/٥ أن كتابا قد صدر مؤخرا فى لندن بعنوان «الحساب العظيم» أوضح فيه المؤلفان ـ الأمريكى ديفيد سون والبريطاني ويليام ريزموج ـ أن الولايات المتحدة الأمريكية تسير على نفس الخطى التى سارت عليها بريطانيا وأدت إلى تحولها من قوة عظمى إلى دولة عادية، وأنها تعانى من نفس المشاكل التى عانتها بريطانيا فى فترة مابين الحربين العالميتين، مثل ارتفاع معدل الضرائب وزيادة الأسعار واتساع الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتزايد نفوذ جماعات الضغط وتدني التعليم والميل الشديد للاستيراد وارتفاع عجز الميزانية وفقدان روح الطموح والعمل.

وقد اضطر الرئيس بيل كلينتون ـ في حملته الإنتخابية لصالح الحزب الديمقراطي قبيل إجراء إنتخابات التجديد النصفي للكونجرس ومجلس الشيوخ في نهاية عام ١٩٩٤ ـ الى اعلان الحرب على جماعات الضغط ـ اللوبى ـ للحد من نفوذها على الحكومة الأمريكية... لأنها تمثل عقبة أمام الإصلاح والتغيير.. واعترف الرئيس كلينتون بأن الحملات المنظمة تنظيما جيدا والممولة تمويلا سخيا قد استطاعت حماية المصالح الخاصة بالبعض، وأن لوبى تجار السلاح قد نجح فى خصم ثلاثين مليار دولار من الميزانية المخصصة لمشروع مكافحة الجريمة وأن أعداء اصلاح التأمين الصحي قد أنفقوا نحو ٣٠٠ مليون دولار لوقف جهوده الخاصة بتوفير الرعاية الصحية للجميع. أى للأمريكيين الأوربيين والأمريكيين الأفارقة والهنود الحمر.

وقال الرئيس كلينتون أنه سيواصل الحرب باصرار مضاعف حتي يتم إنقاذ الحكومة من براثن «صناعة التأثير»... وطالب أعضاء اللوبي بأن يكشفوا عن الجهة التي يعملون من أجلها- وكأنه لا يعلم أو لا يستطيع أن يعلم ـ والكيفية التي يتلقون بها التمويل، حتي يتم منعهم من شراء أعضاء الكونجرس بدعوات على الطعام أو الهدايا أو الأجازات.

والمعروف أن جماعات الضغط تسيطر الآن على البنوك ورأس المال، والصناعة ـ وخاصة صناعة السلاح ـ والإعلام والبترول بعد حرب الخليج، وتسعى للسيطرة على تجارة المنتجات الزراعية وخاصة القمح والذرة والقطن.

ولعل أخطر محاولات السيطرة على المجتمع الأمريكي هى شغل وظائف رؤساء الكنائس المسيحية المختلفة MINISTERS بأفراد من ذوي الانتماء المزدوج. فغالبية الشعب الأمريكي تذهب الى الكنائس لحضور صلاة يوم الأحد. ولكل كنيسة رئيس MINISTER يتم اختياره بمعرفة لجنة من أعضائها بعد الإعلان عن شغل الوظيفة في الصحف. ويستطيع أى فرد يحمل الجنسية الأمريكية أن يتقدم لشغل وظيفة رئيس كنيسة ـ أو أن ينشيء كنيسة جديدة يرأسها ـ مادام قد حصل على المؤهل العلمى الخاص بالدراسات اللاهوتية.

وفى شهر أكتوبر سنة ١٩٨٤ دعتنى الصديقة كالى KELLY لزيارة الكنيسة التي تتبعها في ليك وود Lakewood ـ إحدى ضواحى مدينة دنفر DENVER عاصمة ولاية كولورادو ـ بعد حصولها على إذن بذلك. وقبل دخولى الى مكان الاجتماع ـ

صباح يوم الأحد ـ وضعت علي صدرى شارة كبيرة حمراء اللون، حتى يعرف الجميع أنني مجرد زائر ولست عضوا من أعضاء كنيستهم..

قادتني كالى إلى مكان متقدم حيث جلست بجانبى. بدت قاعة الكنيسة واسعة، وأمامنا ما يشبه خشبة المسرح وضع على جانب منها نموذج ضخم للكرة الأرضية ـ قطره حوالى ثلاثة أمتار ـ وقد تناثرت على عدة بلاد لمبات كهربائية صغيرة مضاءة. وبدأت الأناشيد الدينية تصاحبها فرقة موسيقية تأخذ مكانها في دور علوى بنهاية القاعة الكبيرة عندما ظهر رئيس الكنيسة على خشبة المسرح.

بدأ حديثه بأن أعلن خبرا هاما هو أن مساعداتهم قد وصلت الى المدينة رقم ٨٠ فى العالم، ثم تقدم الى النموذج الضخم للكرة الأرضية حيث أضاء اللمبة الكهربائية الثمانين..وصاح الحاضرون مهللين، فطالبهم بزيادة التبرعات لإمكان إضافة مدن جديدة..

وألقى رئيس الكنيسة موعظته بعد قراءة عدة أسطر من أحد أسفار التوراة ـ وليس الانجيل ـ واستمعت الى كلماته وتعبيراته، فتملكتني الدهشة وانتهت شعائر صلاة يوم الأحد بانتهاء كلمته وترديد الأناشيد وهم يجمعون التبرعات..

سألتني كالى عن رأيى ـ بعد انصرافنا من المبنى ـ فيما شاهدت وسمعت، فقلت لها ببساطة أن رئيس كنيستهم يهودى وليس مسيحيا..

أبلغت كالى رئيس كنيستها بما ذكرته لها عنه. وكان الطبيعى ـ حسب تفكير الأمريكيين ـ أن يطلب لقائى ليسألنى عن أسباب وصفه بأنه يهودى وليس مسيحيا، لأن المفروض فيه ـ كرئيس لكنيسة مسيحية ـ أن يكون مسيحيا.. ولكن المفاجأة كانت عندما أبلغتنى كالى بأن رئيس كنيستها طلب منها قطع علاقتها بى وعدم مقابلتى مرة أخرى..

ولذلك نفهم لماذا لم يبد الشعب الأمريكى اعتراضا مؤثرا عندما وضع مسئول كبير على رأسه طاقية سوداء ـ التى لا يرتديها الا أتباع الطائفة اليهودية ـ عند حضوره لصلاة أقيمت فى معبد يهودى.. رغم أن أهم شرط لشغل منصبه ـ طبقا للدستور الأمريكى ـ أن يكون تابعا للكنيسة المسيحية..

ولعل رؤساء الكنائس المماثلة لكنيسة ليك وود قد ساعدت على تقبل الأمريكيين للتبرير الذى أعلن عن سبب وضع الطاقية السوداء على رأس ذلك المسئول الكبير.. مما شجع الادارة الأمريكية على تعيين إثنين من اليهود فى أهم منصبين وزاريين ـ الخارجية والدفاع، بالإضافة الي خمسة مناصب هامة أخرى.

ونظرا لأنه من الصعب جدا ـ الى درجة الاستحالة ـ أن يحصل أحد من ذوى الإنتماء المزدوج على مكانة مؤثرة فى الفكر الاسلامى، فقد أعلنت الادارة الأمريكية أن الاسلام هو عدوها الجديد بعد انهيار الشيوعية..

ولذلك لا يمكن للإدارة الأمريكية أن تكون طرفا محايدا فى الصراع العربى الاسرائيلى، لأن كليهما ـ الادارة الأمريكية وإسرائيل ـ وجهان لعملة واحدة.

ويبدو أنه لم يعد أمام الشعب الأمريكى الصديق ليحقق نظام الرعاية الصحية والتأمين الصحى والسيطرة على الأسعار وحماية المشروعات الصغيرة، وليمنع الانهيار العنيف ـ مثلما وقع للاتحاد السوفيتى الذى تحول من دولة عظمى إلى عدة دول من العالم الثالث ـ إلا أن يخوض حرب الاستقلال الثانية.

ولعل نتيجة الإنتخابات الأمريكية ـ التى جرت يوم١٩٩٤/١١/٨ للتجديد النصفى للكونجرس ومجلس الشيوخ وحكام الولايات ـ حيث تساقط مرشحو الحزب الديمقراطى كأوراق الخريف، وفقد الحزب الحاكم سيطرته على مجلسى النواب والشيوخ ـ تعطى مؤشرا واضحا، كما تعكس موقفا هاما وجديدا للناخب الأمريكى بالنسبة لعدة قضايا داخلية هامة.

وإذا استطاع الإعلام المصرى والعربى أن يخترق الستار الحديدى الذى يفرضه الإعلام الأمريكى على عقول الأمريكيين بالنسبة للقضايا الدولية الهامة، فان الناخب الأمريكى الواعى سيتخذ الموقف المناسب ليغير صورة الوجه الأمريكى القبيح الذى تراه شعوب العالم الآن.

الفصل الأول
التقاليد الأمريكية

التقاليد الأمريكية

لعل الكثيرين قد يدهشون اذا علموا أن أكثر ماكان يقلقنى فى علاقاتى مع أصدقائى الأمريكيين هو أن يحدث سوء فهم بسبب اللغة أو اختلاف العادات والتقاليد. حقيقة أن هناك صداقات عميقة استبعدت تماما وقوع أى سوء فهم بينى وبين أطرافها، لأنهم قد عرفونى جيدا وأدركوا صدق مشاعرى نحوهم، حتى عندما تمس بعض كلماتى ذلك المعنى الواسع للحرية الشخصية عندهم..

وقد وقع أول تصادم بينى وبين التقاليد الأمريكية قبل مضى عدة أسابيع على وصولى إلى هناك..

كنت أتناول طعام الغداء فى أحد مطاعم الجامعة عندما شاهدت فتاة ـ تعمل بالمطعم ـ تتجه إلى الممر القريب من مكان جلوسي. وعندما اقتربت منى، تنبهت إلى أنها تتجه لالتقاط ورقة مهملة ملقاة على أرض المطعم. فوجدتنى أسرع قبلها لالتقاط الورقة.

وفجأة اتجهت الفتاة نحوى بوجه غاضب. وتحدثت كثيرا بصوت غير خفيض. ولم أفهم كلمة واحدة مما قالته. كل ما أدركته حينذاك أنها غاضبة جدا منى لأنى التقطت تلك الورقة اللعينة. ولم أرد عليها، لأنها تركتنى بسرعة بمجرد الانتهاء من إطلاق كلماتها التى أرادت قولها لى، ولأنى لم أفهم السر فى ذلك الغضب المفاجىء..

وبعد فترة رأيتها تتحدث إلى طالبة كانت تجلس غير بعيد تتناول طعامها أيضا. وأدهشنى أن دايان DIANE ـ وهذا اسمها ـ كانت تنظر ناحيتى مبتسمة فى غير غضب.

وشجعنى ذلك على القيام من مكانى والتوجه إليها بمجرد أن تركتها فتاة المطعم.. سألتها.

= لماذا غضبت صديقتك منى ؟

قالت دايان

= لأنك منعتها من أداء عملها عندما قمت بالتقاط تلك الورقة بدلا منها.

قلت فى دهشة.

= إننى لم أقصد ذلك مطلقا..

سألتنى فى اهتمام وقد اختفت ابتسامتها.

= لماذا فعلت ذلك إذن؟

قلت

= أنا مصرى، ومن تقاليدنا أن نحترم المرأة . وعندما تنبهت إلى أنها ستلتقط الورقة من على الأرض، أسرعت قبلها لالتقاطها، حتى لا تنحنى ـ كامرأة ـ إلى الأرض لالتقاطها.

وارتسمت ابتسامة واسعة على شفتيها وهى تقول..

= يبدو أن المرأة في بلدكم ذات حظ حسن..

وعدتني دايان أن تنقل وجهة نظرى إلى فتاة المطعم وأن تساعد على تصفية الموقف بينى وبينها.. وقد كان.

وكانت المرة الثانية بعد ذلك بشهور قليلة.. كنت أتجه إلى مركز الإعلام MEDIA CENTER بالمكتبة العامة لجامعة إنديانا عندما رأيت الصديقتين سوزان بوليتانو SUSAN POLITANO وأديل دندى ADELEDENDY – وهي من الأمريكيين الأفارقة AFRICAN AMERICANS واقفتين على جانب من الممر الذى أسير فيه.. والتقاليد الأمريكية تقضي بأن أعبرهما دون تحية حتى لا أقاطع حديثهما.. والتقاليد المصرية ـ والعربية ـ تحتم على تحيتهما..

ولم أستطع أن أتقبل فكرة العبور بجانب صديقتين عزيزتين دون تحية.. ووجدتنى أقف رافعا كلتا يدى إلى أعلا، كأنما هناك من يصوب سلاحه نحوى. ومضت لحظات قبل أن تلمحنى سوزان وتسألنى فى دهشة :

= عادل، لماذا تقف هكذا ويداك مرفوعتان لأعلى ؟..

قلت وأنا واقف فى مكانى لم أتحرك، ويداى مرفوعتان..

= إننى لا أستطيع أن أعبر بجانبكما دون تحية خضوعا لتقاليدنا فى مصر .. فإذا فعلت، كان ذلك مخالفا للتقاليد الأمريكية، لأننى قاطعت حديثكما.

ضحكتا، ودعتنى أديل دندى للاشتراك معهما فى الحديث. وقالت وهى تضغط ذراعى فى رفق.

= إفعل ما تراه متفقاً مع تقاليدك المصرية، وسنفهم ذلك دائما..

وكانت المرة الثالثة بعد المناظرة التي جرت بين الرئيس جيرالد فورد GERALD FORD والرئيس جيمى كارتر JIMY CARTER المرشحين لمنصب الرئاسة الأمريكية فى نهاية عام ١٩٧٦.

سألتنى إحدى الطالبات أن أحدد موعدا معها لمناقشة بعض الموضوعات التى أثيرت فى تلك المناظرة بصفتي غير أمريكي، لاستيفاء البحث المطلوب منها. وافقت على طلبها، وعند تحديد موعد اللقاء أردت أن أعرف ما إذا كانت مرتبطة بشخص آخر قد يؤثر على حريتها فى اختيار الموعد، فسألتها

= هل لك صديق BOYFRIEND ؟

قالت فى صوت خافت

= لا

قلت بسرعة..

= هذا حسن!..

وفجأة ارتسم الغضب على وجهها الجميل وهى تؤنبنى على ما قلته.. فقد أثرت موضوعا حساسا بالنسبة لها، إذ ليس لها صديق خاص.. وتنبهت إلى المطب الذى أوقعت نفسى فيه.. كانت الفتاة من أصل هولندى ذات وجه جميل جدا، ولكن قوامها كان ممتلئا قليلا ـ على غير النحو المرغوب فيه والمنتشر بين الأمريكيات، والذى تبدو فيه بعض العظام بارزة، مما يفقدهن الكثير من المظهر الأنثوى ـ وأسرعت امتدح جمالها وقوامها الأنثوى، وأنها لو ذهبت إلى مصر لاجتذب جمالها العديد من الرجال.

وتلاشت الغضبة من ملامحها، وعادت إلى شفتيها ابتسامة سعيدة راضية..

وفى أمريكا، يجب أن تقول دائما كلمة مجاملة للمرأة عن جمالها أو ردائها الأنيق أو تسريحة شعرها الجميلة.. وإلا كنت رجلا غير مهذب إجتماعيا.. على العكس تماما مما فى مصر والبلاد العربية فان كلمة مجاملة للمرأة تعنى «الغزل».. وهو تصرف غير مهذب إجتماعيا ـ رغم كل قصائد الغزل التى قيلت ـ وقد يعاقب عليها قانونا..

وعندما توجهت ذات يوم إلى المكتبة العامة لجامعة إنديانا لتسليم مابقى فى حوزتى من كتب ـ وكان ذلك فى اليوم السابق لعودتى إلى مصر عام ١٩٧٩ ـ التقيت فى المدخل

بفتاة رشيقة القوام ترفع شعرها الى أعلى بطريقة مختلفة عما تعودت عيوننا أن تراه بالنسبة لطالبات الجامعة، وتضع فى قدميها حذاء ذا كعب عال، وهى تتمخطر فى مشيتها كأنما كانت تؤدي بروفة لمسابقة ملكات الجمال.. وقد مرت أمامى أكثر من مرة دون أن أقول لها كلمة مجاملة واحدة، رغم أن عينيها كانتا تنظران نحوى كأنما تنتظر أن تستمع ما أقول..

وعند مكتب الاستقبال جاءت تلك الفتاة ووقفت بجانبى وبمجرد أن أنهيت حديثى مع فتاة الاستقبال، قالت وهى تنظر اليّ بجانب عينيها.

= أرى انك تستطيع الكلام.. كنت أظنك أخرس!..

وأدركت مقصدها، فقلت فى شبه اعتذار.

= لقد خشيت أن أنطق بكلمة واحدة، حتى لا أتخلف عن الطائرة التى ستقلنى غدا إلى وطنى..

فابتسمت الفتاة وهى تقول

= قبلت اعتذارك، لأنه فاق ـ فى اعتقادى ـ ما كان يمكنك أن تقوله مجاملة..

وقد شكت لى يوما الدكتورة سوزان الشامى DR. SUSAN ALSHAMY زوجة الصديق الدكتور حسن الشامى، الأستاذ بقسم الفولكلور بجامعة إنديانا ـ من أنها تقدمت بهدية الى إحدى السيدات المصريات بمناسبة دعوتها إلى تناول طعام الغداء فى بيتها.. وانتظرت ان تقوم السيدة المصرية بفتح العلبة ورؤية الهدية وإبداء رأيها فيها.. ولكنها اكتفت بكلمة شكر قبل أن تضع الهدية ـ كما هى فى علبتها ـ فى أحد أركان الحجرة..

تضايقت الدكتورة سوزان الشامى لذلك التصرف الذى اعتبرته إهانة لها وتحقيرا من شأن هديتها، رغم أنها كانت هدية ثمينة.. فمن التقاليد الأمريكية، تبادل تقديم الهدايا فى المناسبات المختلفة، وكذلك عند تلبية الدعوة لتناول الطعام فى منزل الداعى.. وتقدم الهدايا فى علبتها ملفوفة بورق نقشت عليه رسومات مختلفة وبألوان جميلة تتفق مع كل مناسبة، أو مع الذوق الشخصى لمقدمها.

فإذا قدمت إليك هدية ما، يجب عليك أن تفتح علبتها أمام مقدمها والضيوف الآخرين الموجودين، وأن تقلب الهدية بين يديك تتفحصها وأنت تشكره على هديته الجميلة التى حازت إعجابك وتقديرك وأنك كنت تتطلع أن تحوز مثلها..

وقلت للدكتورة سوزان.

= إن السيدة المصرية لم تقصد ـ بتصرفها ـ إهانتك أو التحقير من شأن هديتك.. إنها قد فعلت ما أملته عليها تقاليدها المصرية. أن لا تظهر لهفتها على معرفة محتوى العلبة، لذلك فهي لا تفتحها أمامك.. وهي تحرص أيضا على أن تبدى عدم الحاجة إلى قبول هدية بمناسبة لا تستحق ذلك، لأن تناول الطعام فى بيتها أمر عادى وليس مناسبة خاصة تقدم فيها الهدايا... بالإضافة إلى التزامها بمراعاة مشاعر الحاضرين وقت تقديم الهدية، حتى لا تتاح فرصة للمقارنة بين الهدايا.. فالهدية فى معناها وليس فى محتواها.. كما لايكون هناك أي مجال لإحراج من لم يتقدم بهدية..

وقد بدا لى أن الدكتورة سوزان الشامى قد اقتنعت بما ذكرته لها، فقالت.

= إنها وجهة نظر جديدة تماما، لم أعرفها من قبل.

وكانت الوصايا الأولى التى استقبلنا بها الصديق الدكتور فاروق عبدالوهاب رئيس اتحاد الدارسين المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا فى ذلك الوقت ـ عميد كلية التربية الرياضية جامعة المنيا سابقاً ـ ضرورة مراعاة أمرين على جانب كبير من الأهمية :

الأول.. أن نمتنع تماما عن ممارسة العادة المصرية والعربية عند لقاء صديقين من الرجال. فلا عناق أو تبادل القبلات على الخدين، أو السير معا ذراعا فى ذراع..

والثانى.. أن نبدى اهتماما بالمرأة أكثر من الرجل. فإذا التقينا بزوجين كان الاهتمام الأكبر بالزوجة وليس بزوجها.

وتبدو أهمية هذه الوصايا فى أن المجتمع الأمريكى ينظر باحتقار شديد إلى الجنس الثالث، وكان علينا دائما أن نؤكد أننا لا ننتمى الى ذلك الجنس الممقوت.

الفصل الثانى

العائلة البرتقالية

ORANGE FAMILY

العائلة البرتقالية ORANGE FAMILY

لم يأخذنى وقت طويل قبل أن أدرك أن الذين كتبوا عن أمريكا ـ بعدما اكتفوا بزياراتهم لمدينة نيويورك NEW YORK على المحيط الأطلنطى شرقا، أو سان فرنسيسكو SAN FRANCISCO على المحيط الهادى ـ الباسيفيكى ـ غربا، أو مدينة نيو أورليانز NEW ORLEANS بولاية لويزيانا LOUISIANA على خليج المكسيك جنوبا ـ لم يعرفوا الأمريكيين عن حق، لأنهم لم يلتقوا فى زياراتهم تلك إلا بخليط غير متجانس من البشر نلتقى بهم فى جميع موانىء العالم.

كنت قد قررت منذ وصولى إلى مطار شيكاغو أن أبدأ دراستى للشعب الأمريكى بعيدا عن مشاعرى المتحيزة ضده.. وبدأت اتصالاتى الواسعة بالكثيرين، واكتسبت صداقات عديدة مازلت أعتز بها جدا حتى اليوم.

وقد فكرت ـ عند عودتى إلى مصر فى شهر يوليو سنة ١٩٧٩ – أن أكتب تجربتى لأقدمها للشعب العربى عامة، وللشعب المصرى خاصة، ليعرفوا أن الصداقة بين الشعوب أهم كثيرا من العلاقات الدبلوماسية بين الحكومات، وأن الشعب الواعى يستطيع ـ مع زيادة معارفه واتساع وعمق صداقته لشعب آخر ـ أن يدفع حكومته نحو علاقة طيبة متعاونة مع حكومة ذلك الشعب الآخر الصديق..

وقبل أن أغادر الولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٧٩، وفى يوم ٢٠ مايو، قمنا أسرتى وأنا ـ بإهداء شجرة تفاح وغرسها فى حديقة منزل الصديقين العزيزين هيلين وولتر سير HELEN (and)WALTER SARE أردناها رمزا للصداقة الدائمة بين الشعبين المصرى والأمريكى.

كنت قد قرأت الكثير عن الأسرة الأمريكية المفككة، ولكنى وجدت أن الغالبية العظمى من العائلات الأمريكية مترابطة، وإن اضطر العمل بعضا منهم إلى التواجد فى ولاية أو ولايات أخرى، فالعلاقات بينهم لا تنقطع، والزيارات متبادلة، خاصة فى المناسبات، وما أكثرها فى المجتمع الأمريكى.. وإذا تفرقت أسرة كبيرة بين عدة ولايات كان لزاما عليهم جميعا أن يلتقوا مرة فى العام ـ على الأقل ـ لتجديد العلاقات فى مكان وزمان يتفقون جميعهم على تحديدهما.

وقد دعانى الصديق إروين ماكلوك ERWIN McCULOCK.. من مدينة دنفر DENVER عاصمة ولاية كولورادو COLORADO ـ إلى إحدى هذه التجمعات العائلية التى يطلقون عليها اسم FAMILY REUNION بمعنى «تجديد الرباط العائلى» فى ليك وود LAKE WOOD ـ إحدى ضواحى المدينة الكبيرة ـ فى عام ١٩٨٢.

كانت الأم ـ أكبر أفراد الأسرة سنا ـ قد جاوزت التسعين من عمرها وقد إلتف حولها جميع أولادها وبناتها وأولادهم وأحفادهم أيضا وقد استرعى انتباهى ابنها الأكبر ويدعى تيد TED وأولاده الخمسة وزوجاتهم وأحفاده من الأولاد والبنات. كانوا جميعا يرتدون فانلات T - SHIRT برتقالية اللون، وقد كتب على صدر فانلة كل منهم إسمه، وعلى ظهرها علاقته بتيد.. فهذا الابن الأول أو الثانى.. وهذه زوجة هذا الابن الأول أو ذاك.. وكذلك الأحفاد من البنين والبنات. كانوا مجموعة مميزة فى التجمع العائلى، وقد اطلقت عليهم يومئذ إسم «الأسرة البرتقالية» THE ORANGE FAMILY .

وقد اعتادت أسرة صديقى ولترسير WALTER SARE أن تجتمع فى منزل الأسرة فى الغابة قرب مدينة بلومنجتون BLOOMINGTON مرة كل عام ـ على الأقل ـ كما يلتقون أيضا فى بعض المناسبات الدينية أو الوطنية فى بعض الولايات الأخرى حيث يعمل البعض منهم.

فللصديقين ولتر وهيلين سير إبنان وأربع بنات وعندما حصلت أصغرهن على درجتها الجامعية سنة ١٩٧٨، ضحكت هيلين فى سعادة قائلة.. ان مرحلة طويلة وشاقة قد انتهت، استمرت لتسع وثلاثين سنة، منذ التحق طفلها الأول بالحضانة سنة ١٩٣٩.

ونظرا لإدراك الوالدين بالأهمية القصوى للتعليم، فقد كانت المصروفات والرسوم الدراسية تعتبر من تكاليف تربية الطفل حتى حصوله على درجة البكالوريوس فى الجامعة.. أما رسوم الدراسات العليا فقد تحملها كل واحد منهم، بعد أن تحددت مسئولياتهم الاجتماعية..

ورغم إقامتهم في عدة ولايات، فهم يحرصون دائما على أن يجتمع شملهم في منزل والديهم بالغابة لمدة ثلاثة أيام في شهر مايو من كل عام بمناسبة يوم الذكرى MEMORIAL DAY. كما يحضر ١٩ فرداً منهم ـ على الأقل ـ سباق الخمسمائة ميل للسيارات الشهير في مدينة إنديانا بوليس INDIANAPOLIS عاصمة الولاية. ولا تكف الاتصالات التليفونية والزيارات الشخصية بينهم. وقد شعرت بمدى التقارب والارتباط بينهم في الاجتماع العائلى FAMILY REUNION الذى تم في الأسبوع الأخير من شهر يونية سنة ١٩٨٩، عندما كنت أقيم معهم لأكثر من شهرين في منزلهم وسط الغابة..

وعندما دعينا ـ أنا وأسرتى وآخرون ـ إلى منزل الدكتور وليم برينين WILLIAM BRENNAN الأستاذ بجامعة إنديانا لتناول الغداء بمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال يوم ٤ يوليو سنة ١٩٧٦، لاحظت أن أفراد عائلته ـ المكونة من والديه وولديه وبناته الخمس ـ يقيمون جميعهم في منزل واحد، وقد بدا واضحا مدى الحب والترابط الأسرى اللذين يجمعان بينهم، وهم

١ ـ مارك MARK وكان عمره في ذلك الوقت ٢٤ عاما، وقد تخرج من كلية التجارة بجامعة إنديانا .I.U ثم حصل على درجة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة دى بول DE PAUL وكان يدرس القانون في نفس الجامعة سنة ١٩٩١.

وقد تزوج مارك بفتاة يابانية تدعي أكيهو أوهاسي AKIHO OHASI، وعندما رزقا بطفلة أطلق عليها إسم والدته مرجريت MARGARET ثم أطلقا اسم والده وليم WILLIAM على طفلهما الثاني..

٢ ـ تيرى TERRY وقد حصل على درجة الماجستير في علم الكمبيوتر ويعمل حاليا في مدينة شيكاغو.

٣ ـ ماجن MEGAN وقد تخرجت من كلية التربية وتزوجت ورزقت بطفل أطلقت عليه اسم أسرة والدها برينين BRENNAN.

٤ ـ آن ANN وقد درست التاريخ، ثم التحقت بالجيش وفي عام ١٩٩١ كانت برتبة نقيب CAPTAIN وتزوجت من أحد ضباط الجيش.

٥ ـ جين JANE وهي تعمل بادارة التحقيقات الفيدرالية FBI وقد تزوجت من ضابط شرطة.

٦ ـ مولي MOLLY وقد درست التاريخ ثم حصلت على درجة الماجستير في علم المكتبات من جامعة انديانا. وتعمل حاليا بمكتبة كلية كريستوفر نيوبورت CHRISTO-PHER NEWPORT في ولاية فرجينيا .VERGINIA وقد تزوجت، وأطلقت على طفلتها اسما ايرلنديا «ديردرى» DEIRDRE لأن أيرلندا هي مسقط رأس أسرتها.

٧ ـ بريدجت BRIDGET وقد حصلت على بكالوريوس الصيدلية، وتعمل حاليا مديرة صيدلية إحدى المستشفيات في مدينة لبنان LEBANON بولاية انديانا حيث يعمل زوجها.

ولعل اطلاق أسماء الوالدين والعائلة على الأطفال لمما يؤكد قوة العلاقة التي تربط بين الدكتور برينين وأولاده السبعة.

وقد دعيت مرارا الى تناول الغذاء العائلي الذى تقيمه الصديقة لولا ويكس LOLA WEEKS لأولادها وأحفادها كل يوم أحد، بمنزلها الكائن في مدينة فايرستون FIRE-STONE شمال ولاية كولورادو.

وذات يوم أحد من شهر اكتوبر سنة ١٩٨٤ كنا نتبادل الحديث بعد الانتهاء من تناول الطعام، عندما سألتنى ليزا LISA وهي إحدى الحفيدات ـ عما يمكن ان تقدمه في يوم النشاط الطلابي بمدرستها الابتدائية. وقد قيلت بعض الأفكار التي لم تعجبها فقلت لها مداعبا.

= ما قولك في عرض الحروف الهجائية العربية ؟..

التفتت ليزا نحوى بعينيها اللتين تتقدان ذكاء وقالت:

ـ هل يمكن ان تريني ما تقصد اليه؟

وأخذت أرسم لها الحروف الهجائية العربية وأكتب تحت كل حرف منها كيفية النطق به بالحروف الانجليزية، وبجانبه الحرف الانجليزى المرادف له.

وبدأت ليزا تسألني عن الحروف التي لم اكتب لها مرادفا. وفي البداية وجدت صعوبة في النطق بها، ولكنها نجحت أخيرا أمام إصرارها الشديد على النطق الصحيح لحروف الحاء والخاء والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف..

وافقت ليزا على الفكرة وتم تنفيذها..

وفي يوم النشاط المدرسي كانت ليزا تضع رداء عليه رسومات ونقوش فرعونية ـ أعدته لها والدتها من قماش من القطن المصرى أهديتها إياه ـ وهي تقف أمام لوحة كبيرة مقسمة الى ٢٨ مربعا خُطّت عليها أشكال مختلفة وهي تشير إليها بأصبعها بينما تخرج من بين شفتيها أصوات غريبة.. وقد التف زملاؤها وزميلاتها في المدرسة حولها في دهشة وتساؤل.

وأسرعت مدرسة الفصل إلى التليفون تتصل بوالدة ليزا..

= شيرلي SHERLY هل ابنتك مريضة؟

أجابتها في هدوء

= لا

قالت المدرسة في انفعال قلق..

= إن ليزا تأتي أصواتا غريبة وهي تشير إلى بعض الرسومات على ورقة كبيرة مقسمة الى مربعات.

وضحكت شيرلي.

= إنها تقرأ الحروف الهجائية العربية التي رسمت في المربعات الثماني والعشرين حسب عددها.

ولم يهدأ صوت المدرسة..

= ومن أين جاءت بها؟ ومن علمها هذا النطق الغريب؟

قالت شيرلي خلال ضحكاتها المرحة

= صديق من مصر.

قالت المدرسة وقد هدأت قليلا

= إن ليزا تصدر أصواتا غير مألوفة.

ردت شيرلى تطمئنها.

= إنها تنطق الحروف جيدا كما علمها لها.

وفى زيارتى التالية كانت ليزا تروى لى قصتها مع الحروف الهجائية العربية وهي سعيدة جدا بحصول مشروعها على أعلى درجة..

وبعد يومين تلقت شيرلى ـ والدة ليزا ـ مكالمة تليفونية من المدرسة.

= هل يمكن أن يأتي صديقكم المصرى لزيارة المدرسة ويتحدث إلى تلاميذها

أجابتها شيرلى فى أسف.

= لا أعتقد ذلك، لأنه سيغادر الولاية غدا فى طريق عودته إلى وطنه.

الفصل الثالث

اللغة الأمريكية

اللغة الأمريكية

كنت في مكتب باترشيا بدنجر PATRICIA BIDDINGER مستشارة شئون الطلبة الأجانب، عندما دخلت موظفة الاستقبال بقسم الخدمة العامة بجامعة انديانا تشكو قائلة..

= هناك رجل عالي الثقافة HIGH EDUCATED MAN يتحدث الإنجليزية بطلاقة وأنا لا أفهمه.

وضحكت أنا، فالفتاة أمريكية!

في البداية، لم يستطع كثير من الأمريكيين أن يفهموا لغتي الانجليزية، مثلما فعلت موظفة الاستقبال مع الوزير السوداني الذي كان يتحدث إليها بلغة إنجليزية رفيعة.. كما لم أستطع أن أفهم كل كلماتهم الأمريكية.. فاللغة الأمريكية تختلف عن اللغة الانجليزية وإن كانت أصلالها..

وقد أدركت أن الأمريكيين قد فعلوا باللغة الإنجليزية ما فعلناه ـ نحن في مصر ـ باللغة العربية، لذلك نفرق بين اللغة العربية الفصحي واللغة العربية المصرية التي يطلق عليها البعض اسم «اللغة الدارجة أو العامية».. فقد أدخلنا في لغتنا العربية كلمات كثيرة يرجع أصلها إلى اللغة المصرية القديمة أو بعض الكلمات التركية والفرنسية التي استعملت في مصر خلال فترات احتلالها بالعثمانيين الأتراك والفرنسيين.

فالمصريون يفضلون استعمال كلمة «ترابيزة» عن كلمة «مائدة» وهي مشتقة من كلمة «ترابيز» المصرية القديمة. ومازال أطفالنا يرددون أغنيتهم الشهيرة «وحوي وحوي.. إياحا» التي يستقبلون بها شهر رمضان ـ وهو شهر قمري ـ والأغنية مصرية قديمة معناها «يعيش يعيش.. القمر».

ولا يحدث ذلك تحت ضغط الاحتلال الأجنبي أو الرغبة في العودة إلى الماضي، ولكن المجتمع يختار دائما الألفاظ التي تعبر في سهولة ويسر عن المعنى الذي يقصده. ولذلك يلتقط بعض الكلمات الأجنبية ويدخلها إلى لهجته.. سواء بنفس طريقة النطق بها في لغتها الأصلية.. أو بعد تحويرها.

وعندما كنت أتحدث يوما مع أحد عمال الصيانة بالمدينة الجامعية واستعملت كلمة BUT ـ بمعنى لكن ـ فى اعتراضى على تصرفه، فوجئت به يقول «No Buts» بمعني «مالكنش» فى اللغة العربية المصرية. فقد جعل الرجل من BUT ـ وهى حرف فى اللغة الانجليزية ـ اسما، بل ووضعه فى صيغة الجمع أيضا... ليعطى نفس معنى الكلمة التى نستعملها فى لهجتنا المصرية وليس لها مقابل فى اللغة العربية الفصحى..

التقينا يوما بأحد رجال الشرطة الأمريكيين يصحب معه كلبا بوليسيا ضخما جدا، ذا شكل يثير الفزع. سألته السيدة زوجتى عما يأكله ذلك الكلب واستعملت الضمير IT حسبما تقضي قواعد اللغة الانجليزية البريطانية.. فنظر اليها رجل الشرطة فى احتجاج وقال..

HE IS «HE» LIKE ME AND YOU=

أى أن الكلب يخاطب بنفس ضمير الانسان العاقل وينحصر استعمال كلمة «IT» بالنسبة للجماد فقط دون الحيوان الأليف.

وتكاد الأمثلة الشعبية الأمريكية تماثل الأمثلة العربية المصرية.. وكان أول ما لفت نظرى إلى ذلك عندما كنت أتحدث مع الصديقة دونا كاسيدا DONNA CASSIDA ـ من مدينة بدفورد BEDFORD بولاية إنديانا ـ التى استشهدت فى حديثها بأحد الأمثال قائلة THE STRAW THAT BROKE THE CAMEL'S BACK وهو نفس المثل العربي «القشة التى قصمت ظهر البعير».. وقد رجوتها أن تعيده لأتأكد مما تقول.. فأمريكا ليس بها بعير (جمال).

وقد لاحظت استعمال الأمريكيين لكلمات وأمثلة كثيرة تتشابه ـ إلى حد التطابق ـ مع أمثلتنا الشعبية.. مثل «GET OFF MY BACK» الذى يقابل القول المصرى «حل عن أكتافى» وكذلك قولهم «I AM UP TO MY EARS» الذى يقابل القول المصرى «أنا مشغول لأذني».

وعندما يناقش شخص خلافاته العائلية على مسمع من الناس أو فى حضرتهم يقول عنه الأمريكيون أنه «WASH ONE'S DIRTY LINEN IN PUBLIC»الذى يقابل القول المصرى أنه «ينشر غسيله القذر»..

وعندما يحصل إنسان على أكبر نصيب فى صفقة نقول عنه فى مصر أنه حصل على نصيب الأسد.ويقول الأمريكيون نفس الكلمات «THE LION'S SHARE»

وكذلك فهناك بضع كلمات وتعبيرات أخرى مثل :

مش كده ؟	IT'S NOT THAT
بيت الراحة	RESTROOM
شوف!	SEE
عارف ؟	KNOW WHAT
حلق عليه أو أقطع عليه	CUT HIM OFF
صهين	FORGET IT
خد بالك	TAKE CARE
يلا بينا	HERE WE GO
خد لك دش	TAKE A SHOWER
أخلّى راسك تلف	I MAKE YOUR HEAD SPIN

وعندما يسأل أحدهم «كيف الحال؟» يرد الآخر «ماشية» GETTING ALONG

بالاضافة إلى ذلك يستعمل الأمريكيون بعض الكلمات التى تقرب إليهم المعنى لعجز اللغة الانجليزية عن ذلك، بل قد لا نجد لهذه الكلمة أصلا فى أحد المعاجم مثل كلمة UPTIGHT بمعنى الشعور بالضيق.. «متضايق»..

كما يعبرون عن بعض المعانى بكلمات لها معنى آخر فى اللغة الأصلية.. فكلمة MAD معناها «مجنون» ولكن الأمريكى يستعملها عندما يريد أن يقول «أنا زعلان منك فيقول «I AM MAD AT YOU».. لأنه لا يجد مرادفا يعطى هذا المعنى فى اللغة الانجليزية.. فكلمة «زعلان» بما تتضمنه من عتاب رقيق، تختلف تماما عن كلمة غاضب «ANGRY» بما تتضمنه من معنى المقاطعة الغاضبة..

لذلك يمكن أن نفرق بين اللغة الانجليزية البريطانية BRITISH ENGLISH، واللغة الانجليزية الأمريكية AMERICAN ENGLISH التى دخلتها عدة مفردات من اللغات الفرنسية والألمانية والهولندية والأسبانية وكلمات وأسماء من لغات الهنود الحمر AMERINDIANS.

ومن الكلمات الفرنسية فى اللغة الانجليزية الأمريكية المقعد الطويل CHAISE LONGUE

ابتزاز الأموال بالتهديد	CHANTAGE
سائق السيارة الخاصة	CHAUFFEUR
كراسة أو تقرير	CAHIER
ملاطفة	CARESS
سجلات الكنيسة	CARTULARY

ودخلت أسماء القبائل الهندية إلى اللغة الأمريكية وأطلقت على عدد من الولايات الأمريكية مثل DELA- MISSORI, KANSAS, MENNESOTA IOWA, وقد أخذ نهر وباش WABASH من الكلمات الهندية WA BA SHIKKI بمعنى الأبيض اللامع، لأن الحجر الجيرى الأبيض فى قاع النهر يعكس ضوء الشمس..

وبعد استقلال أمريكا عن بريطانيا، عرض على مجلس النواب الأمريكى اختيار اللغة الرسمية للبلاد. وعند الاقتراع فازت اللغة الانجليزية على اللغة الألمانية بفارق صوتين فقط وبذلك يمكننا أن ندرك مدى تأثير اللغة الألمانية فى اللغة الأمريكية.

والواقع أن مصدر مفردات كثيرة فى اللغة الأمريكية يعود الى..

أولا: بعض الكلمات الانجليزية القديمة التى لم تعد تستعمل تقريبا فى اللغة الانجليزية البريطانية، والتى احتفظت بها بعض مجموعات المهاجرين من الانجليز.

ثانيا: بعض الكلمات الانجليزية التى تستعمل بمعنى يختلف عن معناها فى انجلترا.

ثالثا: بعض الكلمات الجديدة التى تحددت معانيها أصلا فى أمريكا تبعا للظروف المعيشية الجديدة التى اتسمت بالبساطة فى التعبير وليس لها أصول فى إنجلترا.

رابعا: بعض الكلمات المأخوذة من اللغات الأوربية المختلفة، وخاصة الفرنسية والأسبانية والهولندية والألمانية، وذلك لكثرة عدد المهاجرين من بلادها وانتشارهم فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية..

الفصل الرابع

التطوع للخدمة العامة

التطوع للخدمة العامة

قضيت الشهور الثلاثة الأولى ـ منذ وصولي إلى المدينة الجامعية في مدينة بلومنجتون بولاية انديانا ـ أتعرف على الطلبة المصريين وعائلاتهم، وبعض الأسر السودانية والعربية. وقبل نهاية شهر أغسطس بدأت ابنتي أمل دراستها بالمدرسة الثانوية بشمال المدينة، طبقا للتوزيع الجغرافي لمحل الاقامة. وبدأت ابنتي أماني دراستها بالمدرسة الابتدائية القريبة من المدينة الجامعية. كان اليوم الدراسي يبدأ في الثامنة صباحا ويستمر حتى الثالثة بعد الظهر. وكانت السيدة زوجتي تقضي معظم وقتها في الدراسة أو في المكتبة العامة للجامعة..

ونصحني الصديق الدكتور فاروق عبدالوهاب أن أشغل وقت فراغي بالتطوع في قسم الخدمة العامة بالجامعة لرعاية شئون الطلبة الأجانب ـ الذين ينتمون إلى أكثر من مائة دولة ـ ومساعدتهم على حل المشكلات التي قد يتعرضون لها..

رحبت بي السيدة باتريشيا بدنجر PATRICIA BIDDINGER مستشارة شئون الطلبة الأجانب التي رأست الاجتماع الأول للمتطوعين استعدادا لبدء العام الدراسي. وقدمتني إلى الحاضرين قبل أن تعرض بعض المشكلات التي يراد إيجاد حل لها..

عرضت باتريشيا مشكلة طالبة وافدة من بيرو PERU بأمريكا الجنوبية جاءت لتلتحق بالجامعة. وهي فتاة معوقة نتيجة إصابتها بمرض شلل الأطفال في سن مبكرة. ولذلك فهي تتحرك على مقعد ذي عجلات وتحتاج لمن يرافقها خلال اجراءات التسجيل للفصل الدراسي الأول، والتي تستغرق أكثر من ساعة..

لم يتقدم أحد من المتطوعين للقيام بهذه المهمة، فجميعهم ـ طلبة وطالبات ـ ملتزمون باتخاذ إجراءات التسجيل للمقررات الدراسية في نفس اليوم والموعد. لم أتردد كثيرا قبل أن أرفع يدي عارضا قيامي بتلك المهمة..

إبتسمت باتريشيا في امتنان وهي تقول موجهة حديثها لي

= أرجو أن تكون سعيدا وأنت بصحبة فتاة جميلة لمدة ساعة على الأقل

قلت مجاملا

= أنا واثق من ذلك

راجعت باتريشيا ورقة أمامها ثم قالت.

= إن سيارة خاصة ستنقل الفتاة بمقعدها المتحرك إلى مدخل قاعة التسجيل في تمام الساعة العاشرة صباح يوم الأربعاء القادم

قلت موافقا.

= سأكون في انتظارها قبيل الموعد المحدد..

إبتسمت باتريشيا وهي تناولني تصريحا يسمح لي بدخول قاعة التسجيل.

وقفت غير بعيد عن مدخل القاعة الكبيرة حين توقفت سيارة الميكروباص التابعة لجامعة إنديانا. وتحرك بابها الجانبي ليفتح آليا من أعلى الى الخارج حتى استوى مع أرضية السيارة. وتحركت الفتاة ميلي تاواتا MILLY TAWATA بمقعدها من داخل السيارة إلى الباب المفتوح ممتدا إلى الخارج، حتى استقرت فوقه تماما.. ثم بدأ الباب يهبط بها آليا نحو الأرض حتى استقر عليها، ثم سقط الحاجز الأمامي - المثبت بالجزء العلوي من باب السيارة - ليسمح للفتاة بالتحرك بمقعدها الى الأرض.

خطوت نحو الفتاة، وقدمت نفسي إليها

= عادل سركيس... من مصر

ابتسمت وهي تقدم نفسها.

= ميلي تاواتا، من بيرو

واتسعت ابتسامتها وهي تمد يدها لتصافحني.

يسعدني كثيرا أن ألتقي بمصري..

أبلغني قائد السيارة أنه سيعود إلى نفس المكان بعد ساعتين.. درت حول المقعد لأضع يدي على مقبضيه، وبدأت أدفعه نحو قاعة التسجيل. وعند الباب أبرزت تصريح الدخول رغم أنهم كانوا قد أفسحوا لي الطريق للدخول.

وبعد انتهاء إجراءات التسجيل، وقفت أتبادل الحديث مع ميلي MILLY وأجيب على أسئلتها عن مصر والنيل والأهرامات حتى عادت سيارة الميكروباص في الموعد المحدد. وعندما استقر بابها الجانبي على الأرض، إلتفتت ميلي نحوي تشكرني على كل ما قمت به نحوها، فوجدتني أنحني أقبل جبينها في حنو، قبل أن أدفع مقعدها برفق نحو السيارة، حتى استقر في أمان فوق بابها ورفع الحاجز المثبت بالجزء العلوي الذي يمنع سقوط المقعد. ويرتفع الباب عن الأرض إلى مستوى السيارة، فتدفع ميلي عجلات المقعد بيديها إلى الخلف داخل السيارة، قبل أن يتم إغلاق الباب.

وقد كنت حريصا بعد ذلك ـ وبعد أن أصبحت ميلي صديقة لابنتى الكبرى أمل ـ أن تشترك معنا فى يوم الغذاء الدولى الذى كان يقام مرة كل شهر فى المبنى الدولى بالمدينة الجامعية، حيث كانت كل أسرة مشتركة تقدم نوعا من الطعام وتضع أمامه ورقة مكتوبا عليها بخط واضح اسم البلد ومكونات ذلك الطعام.. وكان ما يقدمه الجميع يوضع على مائدة مستطيلة أو أكثر ـ تبعا للكمية ـ ويأخذ المشتركون ما يحلو لهم من أنوا ع الطعام المختلفة.. وكانت الوجبات المصرية تلقى إقبالا شديدا وخاصة البامية الخضراء باللحم المفرى والأرز بالشعرية والبقلاوة..

قمت بواجبى خير قيام، تلقيت عنه الشكر والتقدير فى الاجتما ع التالى الذى عرضت فيه مشكلة وصول مائة وخمسين طالبا عربيا لدراسة اللغة الانجليزية وضرورة إجراء الكشوف والتحاليل الطبية لهم بالمركز الصحى للجامعة.

قالت باتريشيا

= إن الأطباء والممرضات يجدون صعوبة بالغة فى التفاهم مع الطلبة الوافدين حيث أنهم لا يعرفون غير اللغة العربية.

ابتسمت قائلا

= هذه المهمة لى، فأنا الوحيد بينكم الذى يعرف اللغة العربية.

قالت باتريشيا خلال ابتسامتها الدائمة.

= هذا ما توقعته منك.. لك وحدك أن تختار طريقة التنفيذ المناسبة

قلت..

= سأتواجد فى المركز الصحى ساعتين يوميا ولمدة خمسة عشر يوما اعتبارا من يوم الاثنين القادم لتسهيل مهمة الأطباء والممرضات.

قالت باتريشيا

= هذا رائع، أعتقد أن هذا الوقت كاف جدا لإنهاء المهمة المطلوبة.

وفى اليوم الخامس عشر من تواجدى بالمركز الصحى للجامعة قمت بكتابة الترجمة العربية على النموذج الطبى المعد لذلك، حتى يمكن الاسترشاد به فى الحالات المماثلة مستقبلا.

وفى الاجتما ع التالي حضر الدكتور كينيث روجرز DR. KENNETH ROGERS

عميد شئون الطلبة الأجانب ومدير قسم الخدمة العامة، ليقدم بنفسه الشكر على مجهوداتى الكبيرة، ولينقل إليّ تقدير المركز الصحى والعاملين به.

أحنيت رأسى قائلا.

= إننى على استعداد دائم لأداء الخدمات للطلبة الأجانب..

ولم يفتني المعنى الكبير لحضور العميد روجرز، وكانت هذه أول مرة التقى فيها به. وكانت بداية صداقة بيننا أعتز بها كثيرا حتى الآن.

وقبل نهاية الاجتماع سألت سيسيليا ديل كاستيللو CECILIA DEL CASTEL-LO وهى طالبة من الفليبين تدرس للحصول على درجة الدكتوراة فى علم النفس، أوكل اليها قسم الخدمة العامة بالجامعة مهمة الإشراف الاجتماعي على ثمانمائة طالبة بالدراسات العليا، المقيمات فى مبنى ايجينمان EIGENMANN بالمدينة الجامعية:

ـ هل يمكن أن ألجأ إلى عادل سركيس مباشرة لمعاونتى فى حل بعض المشكلات التى تعرض لى دون انتظار موعد الاجتماع التالى؟

ابتسمت باتريشيا وهى تشير برأسها نحوى..

فقلت دون تردد.

= يسعدنى ذلك، فى أى وقت..

الفصل الخامس

مناظرة بين رئيسين

لا تكفى

مناظرة بين رئيسين .. لا تكفي

كانت نهاية عام ١٩٧٦ موعد إجراء انتخابات الرئاسة الأمريكية بين الرئيس جيرالد فورد GERALD FORD عن الحزب الجمهورى، وجيمى كارتر JIMY CARTER حاكم ولاية جورجيا GEORGIA عن الحزب الديمقراطي وكان الشعب الأمريكى ينتظر تلك المناظرة DEBATE التي تتم بينهما، حيث يقفان ـ كطالبين يؤديان امتحانا شفويا ـ أمام لجنة تجمع رجال السياسة والاجتماع والاقتصاد والصحافة ، بالإضافة الى ملايين المشاهدين أمام شاشات أجهزة التليفزيون، لمناقشتهما فيما يعرضه كل منهما من خطط وأفكار وبرامج فى شتى المجالات.. وتذاع هذه المناقشات على الهواء مباشرة دون حذف أو تعديل، وفى وقت يسمح للغالبية العظمى من الشعب الأمريكي أن يتابعها.

ولم يقتصر الأمر على مناقشات اللجنة المتخصصة المشار إليها، فإن جميع طلبة وطالبات الجامعة قد شاركوا فيها بأبحاثهم، كل حسب تخصصه الدراسي. وانتشرت تجمعات الطلبة والطالبات لتبادل الآراء ومناقشة مادار فى المناظرة بين المرشحين لمنصب الرئاسةالأمريكية.

وقد أتيح لى أن أشترك فى بعض المناقشات الطلابية بناء على طلب بعض الأصدقاء منهم، فى محاولاتهم التعرف على رأى الأجانب فى الموضوعات التى عرضت خلال المناظرة، وخاصة ماكان منها متعلقا بالسياسة الخارجية.. فقد كان الرئيس فورد أول من حاول جادا تغيير صورة أمريكا بعد أن ظل وجهها القبيح يطل على العالم منذ اغتيال الرئيس جون كيندى.. وكان أهم رصيد إيجابى للرئيس جيمى كارتر هو أن نسبة ضريبة المبيعات فى ولاية جورجيا ٣٪ فقط، أى أقل من جميع النسب المطبقة فى سائر الولايات..

وقد دعتنى الصديقة سوزان ريتشاردسون SUSAN RICHARDSON من مدينة سالم SALEM جنوب ولاية إنديانا ـ للمناقشة بناء على طلب بعض صديقاتها وزميلاتها فى غير موضوعات المناظرة بين المرشحين لمنصب الرئاسة.. وفى الموعد المحدد تجمع عدد كبير من الطالبات حول مائدة مستطيلة. جلست أنا فى وسطها وبجانبى سوزان التى قدمتنى إليهن قائلة اننى مستعد للإجابة على جميع الأسئلة..

تحركت الفتاة الجميلة التى كانت تجلس قبالتى مباشرة، وقد بدا لى أنها تتزعم تلك المجموعة من الطالبات. وفى حركتها لمحت سلسلة ذهبية حول رقبتها وقد تدلت منها نجمة داود السداسية.. ابتسمت فقد توقعت مجال الأسئلة.

سألتنى الفتاة الجميلة وعيون الطالبات تتابعها..

= لماذا تكرهون اليهود؟

قلت وقد أحاطت عيونهن بى

= من قال أننا نكره اليهود؟.. إننا ـ لكى نكون مسلمين ـ يجب أن نؤمن بالأنبياء الثلاثة العظام، موسى وتعاليمه اليهودية، والسيد المسيح وتعاليمه المسيحية، والنبى محمد (صلى الله عليه وسلم) والديانه الاسلامية

سألتنى فى تحفز

= لماذا تحاربون اليهود فى اسرائيل إذن؟

قلت

= إننا لا نحارب اليهود ديانة، ولكننا نحارب اسرائيل كدولة اغتصبت أرض فلسطين وجعلت من شعبها لاجئين.. إنها فعلت ـ ومازالت تفعل ـ ماسبق أن فعله هتلر باليهود فى أوربا. وقد رفضناه جميعا، ولا أظن أنه يمكن أن نقبل أن يعامل الفلسطينيون بنفس المعاملة التى سبق لنا أن رفضناها عندما عومل بها يهود أوربا..

سألتنى

= أليس لليهود فى فلسطين حق تقرير مصيرهم وإنشاء دولة خاصة بهم؟

قلت

= لعلنا نلاحظ أن مشكلة فلسطين لم تثر إلا بعد الحرب العالمية الثانية عندما هاجر إليها عدد كبير من يهود أوربا وأرادوا إنشاء دولة لهم على أرضها. ولكن قبل ذلك بمئات السنين، كان شعب فلسطين ـ من اليهود والمسيحيين والمسلمين ـ يعيشون معا فى سلام وتعاون تامين.. مثلما كانوا يفعلون فى غالبية الدول العربية..

سألتنى فى غير تحفز

= هل هناك يهود فى مصر؟





The Impact of the 1976 Presidential Election

An objective and factual presentation on the impacts of electing either Jimmy Carter or Gerald Ford

Monday, November 1st at 7:30 p.m. at Ballentine 109

"Political Implication"
Professor Edward Carmines
Political Science Dept.

"Economic Impact"
Professor Phillip Saunders
Economics Dept.

"Sociological Perspective"
Professor Charles Reagan
Sociology Dept.

IDS OCT.29, 1976 **A Free University Program from** union board

دعوة لحضور مناقشة البرامج السياسية والإقتصادية والإجتماعية التى وردت فى المناظرة بين الرئيسين جيمى كارتر وجيرالد فورد قبل إنتخابات الرئاسة ١٩٧٦ .

قلت

= كان يقيم في مصر ـ قبل العدوان الثلاثي الذى اشتركت فيه انجلترا وفرنسا وإسرائيل سنة ١٩٥٦ ـ عشرات الآلاف من المصريين اليهود .كانوا يملكون حوالى ٦٠٪ من النشاط التجارى فى مصر.. وكانت لهم جميع حقوق المصريين بما فيها حق الترشيح والانتخاب. وكان الحاخام الأكبر للطوائف اليهودية يعين عضوا بمجلس الشيوخ مثل بطريرك المسيحيين الوطنيين وشيخ الجامع الأزهر.. وكانت لهم معابدهم التى يمارسون فيها عباداتهم فى حرية تامة، كما كانت لهم محاكمهم الخاصة بقضايا الأحوال الشخصية..

قالت فى تساؤل

= قيل أن الحكومة المصرية هى التى قامت بطرد اليهود من مصر بعد حرب سنة ١٩٥٦.

سألتها بدورى

= هل يمكن قانونا أن تطرد الحكومة المصرية أحد المصريين من بلاده؟ وهل يمكن أن نفسر طلبات الهجرة التى تقدم بها المصريون اليهود للحصول على موافقة الحكومة المصرية على خروجهم من البلاد طردا لهم؟

ابتسمت وهى تقول

= لا.. طبعا

فاستطردت قائلا

= إننى أستطيع أن أؤكد لك أن غالبية المصريين اليهود قد غادروا مصر تحت ضغط إحدى المنظمات اليهودية، بلغ حد التهديد بالقتل لمن يمتنع عن تقديم طلب الهجرة بمجرد إبلاغه بذلك.

سألتنى طالبة أخرى تجلس غير بعيد عن الأولى..

= لقد ذكرت أنك كمسلم تؤمن بموسى وتعاليمه اليهودية، فلماذا كان الاسلام بعد ذلك إذن؟

قلت

= الديانات الكبرى الثلاث تمثل ثلاث مراحل فى التاريخ الانسانى، وقد كان هذا الترتيب ضروريا للمرحلة الثالثة والأخيرة التى تنبأت بها التوراة فى سفر اشعياء.

تساءلت الطالبة الجميلة ـ ذات السلسلة الذهبية التي تدلت منها نجمة داود ـ فى دهشة لم تحاول إخفاءها..

= أحقا ما تقول؟.. هل تنبأت التوراة بالنبى محمد؟!

قلت فى هدوء.

= نعم..

سألتنى فى اهتمام.

= وكيف كان ذلك؟ هل يمكن أن تقول؟

أجبت

= لكى تكون إجابتي كاملة ومفيدة، يجب أن يكون أمامنا كتاب التوراة لذلك أقترح أن نحدد موعداآخر لاستكمال هذه المناقشة.

الفصل السادس

نبوءة التوراة ..
هـل تحقـقـت؟

نبوءة التوراة .. هل تحققت؟

فوجئت بالعدد الكبير من الطالبات اللاتى حضرن للاشتراك فى المناقشة مما اضطرنا إلى توسيع الدائرة باستعمال مائدتين متجاورتين، التفت حولهما الطالبات. وقد حملت بعضهن نسخا من التوراة المعروفة. وضعت أمامى نسخة من «الكتاب المقدس» الذى يجمع بين التوراة المعروفة .(العهد القديم) والإنجيل (العهد الجديد)، وقد تخللته بعض الأوراق الصغيرة لتحديد مكان الصفحات موضوع المناقشة..

قدمتني الفتاة الجميلة ـ ذات السلسلة الذهبية التى تدلت منها نجمة داود السداسية ـ إلى الطالبات بكلمة موجزة استعملت فيها وصف الصديق.. وقالت إن موضوع المناقشة لبيان ما ذكرته من قبل عن التوراة وأنها قد تنبأت بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

عندما فتحت صفحات الكتاب سادهن صمت عميق.. قرأت لهن من سفر إشعياء (ص ١١ : ١ ,٢) .. «ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله. ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب» ..

ثم قلت موضحا

– أى أن إشعياء يعطى سمات النبى الجديد بأنه رجل دولة ويقضى بين الناس، ومن نسل يسى..

سألتنى احدى الطالبات.

= ومن هو يسى؟

قلت

ـ طبقا لما جاء بالموسوعة المسيحية ENCYCLOPEDIA BIBLICA فإن يسى من نسل إسماعيل الابن الأول لإبراهيم.

قالت إحداهن معترضة وهى تقلب صفحات الإنجيل..

جاء بسفر أعمال الرسل (ص ١٣ : ٢٢ و ٢٣)!! وجدت داود من يسى رجلا حسب قلبى الذى سيصنع مشيئتى. من نسل هذا حسب الوعد أقام الله لإسرائيل مخلصا يسوع» ..

أوضحت قائلة

= أى أن نبوءة اشعياء خاصة بالسيد المسيح وليس بغيره.

قلت

= لو أن تلك النبوءة كانت خاصة بالسيد المسيح، لكان الأجدر ان يقال أنه من «نسل داود» ليكون منطقيا مع الصلة التي تربط بين السيد المسيح وداود، كما قال كتبة الأناجيل بأن السيد المسيح من نسل داود..

وهزت الفتاة الجميلة رأسها تستحثني على الاستمرار .. فاستطردت قائلا

= الوحيد الذى جاء من نسل إسماعيل، الذى كان نبيا ورجل دولة ويقضى بين الناس هو محمد (صلى الله عليه وسلم).

قالت إحداهن فى اعتراض.

= إن إسماعيل ونسله لا ينطبق عليهم وعد الله لإبراهيم

قلت

= إن وعد الله بمباركة الإسرائيليين - أبناء إسحق ويعقوب - والإسماعيليين معا بصفتهم نسل إبراهيم.. والمعروف أن النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) جاء من نسل إسماعيل، الذى يكون أتباعه الآن خمس تعداد سكان العالم تقريبا..

قالت احدى الطالبات

= إن وعد الله لإبراهيم لا ينطبق الا على أبناء إسرائيل - يعقوب بن إسحق..

قلت

= هناك فى سفر التكوين (ص ١٢ : ١٣) وعد الله لإبراهيم جاء فيه مايلى.. «وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك». ثم جاء أيضا.. «قومى إحملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة..» (سفر التكوين ص ٢١ : ١٨)

قالت طالبة فى تحفز واضح.

= إن إسماعيل ابن غير شرعى لابراهيم

ابتسمت فقد كنت متوقعا ذلك السؤال ، وقلت مؤكدا.

= بل هو ابن شرعى لإبراهيم، فقد وصفت التوراة أمه هاجر بأنها زوجة إبراهيم.. فقد جاء بسفر التكوين (ص ١٦ : ٣) «فأخذت ساراي ـ سارة ـ امرأة أبرام ـ إبراهيم ـ هاجر المصرية جاريتها وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له..»

توقفت قليلا حتى انتهين من مراجعة النص قبل أن أكمل حديثى .

= كما وصفت التوراة إسماعيل بأنه ابن ابراهيم ، فقد ذكر فى سفر التكوين (ص ١٦ : ١٥) «فولدت هاجر لأبرام ابنا ودعا ابرام ابنه الذي ولدته هاجر اسماعيل..» وجاء أيضا بنفس السفر (ص ٢٥ : ٩).. «ودفنه إسحق وإسماعيل ابناه» .

قالت وقد انكمش تحفزها.

= لقد طرد إبراهيم ابنه إسماعيل وأمه هاجر

قلت وأنا أتابع العيون المتطلعة نحوى.

= إذا رجعنا الى سفر التثنية ـ الكتاب الثانى من كتب موسى الخمسة ـ نجد أن هناك قاعدة واضحة وقاطعة تقضى بأنه «اذا كان لرجل امرأتان، إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين، المحبوبة والمكروهة. فاذا كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له، لا يحل له أن يقدم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة بكرا، بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته له حق البكورية» (تثنية ص ٢١ : ١٥ ـ ١٧)

وأوضحت لهن قائلا .

= وعلى ذلك لايمكن استبعاد إسماعيل من وعد الله الذى أعطى لإبراهيم قبل أن يولد له أى طفل، الذى جاء ذكره فى سفر التكوين (ص ١٢ : ٢ ,٣).. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك ويكون بركة. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض»،،

قالت الفتاة الجميلة بعد صمت لم يدم طويلا

= إن ما ذكرته من نبوءة أشعياء لا يكفى دليلا على كون محمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا، خاصة وأن المسيحيين يرون ـ كما ذكرت صديقتى ـ أن السيد المسيح هو المقصود بها.

قلت

= لقد جاء ذكر ذلك النبى فى سفر التثنية (ص ١٨ : ١٨) .. أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» ..

انتظرت لحظات حتى إنتهت الطالبات من قراءة النص ثم قلت موضحا ..

= نلاحظ أن هذه النبوءة قد حددت ثلاثة عناصر رئيسية وهامة تحدد شخصية النبى الجديد

تساءلت الفتاة الجميلة

= هل يمكن أن تذكر لنا هذه العناصر ؟

أحنيت رأسى دلالة على الموافقة، ثم قلت

= العنصر الأول أنه «نبي من وسط إخوتهم» .. هذه الكلمات خوطب بها الإسرائيليون من نسل إبراهيم وإسحق، وعلى ذلك فان كلمة «إخوتهم» تنطبق على الإسماعيليين من نسل إبراهيم وإسماعيل ابنه الأول. ويؤكد ذلك أن التوراة تعرف الإسرائيليين بأنهم إخوة الاسماعيليين (سفر التكوين ص ١٦ : ١٢ وص ٢٥ : ١٨)

تهامست الطالبات وهن يتبادلن الاطلاع على نص التوراة .. ثم قالت الفتاة الجميلة.

= أنا أوافقك هذا الرأى

ثم التفتت إلى زميلاتها، فهز البعض منهن الرأس إيجابا، فاستطردت قائلا

= وبذلك ندرك الخطأ الذى وقع فيه البعض بقولهم إن السيد المسيح هو ذلك النبى الذى ينطبق عليه الشرط الأول، إن السيد المسيح لم يكن من نسل إسماعيل ويسى، كما لم يكن من نسل إخوة الإسرائيليين .. لأنه هو نفسه كان إسرائيليا ..

سألتنى الفتاة الجميلة خلال ابتسامتها.

= وما الشرط أو العنصر الثانى لتحديد شخصية النبى الجديد ؟

قلت فى بطء مقصود.

= أن يكون مثل موسى.

وجاءنى رد الفعل سريعا عندما سألتنى طالبة.

= هل تريد أن تقول أن محمد (صلى الله عليه وسلم) مثل موسى؟!.. ابتسمت، فقد توقعت مثل هذا السؤال.. وقلت

= إذا أجرينا مقارنة بين الأنبياء الثلاثة العظام.. موسى والسيد المسيح ومحمد (صلى الله عليه وسلم) نلاحظ الآتى

١ ـ كان ميلاد كل من موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) عاديا، بينما كان ميلاد السيد المسيح بمعجزة حيث ولد من العذراء مريم..

٢ ـ تزوج كل من موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) وأنجبا أطفالا، فى حين أن السيد المسيح لم يتزوج ولم ينجب أطفالا.

٣ ـ كانت وفاة كل من موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) طبيعية، بينما رفع السيد المسيح إلى السماء حيا..

٤ ـ كان كل من موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيا ورجل دولة.. حيث كانت رسالة كل منهما إنشاء دولة بينما كان السيد المسيح نبيا فقط.

٥ ـ أرغم كل من موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) على الهجرة.. موسى إلى أرض مديان ومحمد (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة المنورة، أما السيد المسيح فلم يرغم على ذلك خلال فترة دعوته.

٦ ـ حاول أعداء كل من موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) القضاء عليهما فى مطاردات عسكرية أو معارك حربية، بينما لم يحدث ذلك للسيد المسيح.

٧ ـ كان انتصار كل من موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) على أعدائهما عسكريا وأدبيا، بينما كان انتصار السيد المسيح على أعدائه أدبيا فقط..

٨ ـ كانت التعاليم التى أوحى بها إلى موسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم) قد كتبت فى حياتهما، بينما تعاليم السيد المسيح لم تكتب فى حياته، بل إن أول إنجيل كتب بعد سنوات طويلة. حوالى عام ٦٢ م..

٩ ـ قبل الإسرائيليون نبوة موسى فى حياته، وقبل العرب نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) فى حياته أيضا، بينما رفض الإسرائيليون نبوة المسيح فى حياته..

استمر الصمت لحظات، حتى اعتدلت الفتاة الجميلة فى مقعدها، ثم سألتنى فى اهتمام.

= ما العنصر الثالث؟

قلت

= «أجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» .. وهذا العنصر الأخير لا يتوافر الا فى حالة النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فقط، لأن الملاك جبرائيل ـ جبريل ـ كان يأتى ويملى على محمد (صلى الله عليه وسلم) آيات من القرآن فكان يرددها بالضبط كما سمعها حينذاك . فكلمات الله ـ القرآن ـ قد وضعت فى فمه.

تحركت بعض الطالبات فى مقاعدهن..

شكرتنى الفتاة الجميلة وهى تصافحنى فى حرارة، وتساءلت عن إمكانية إجراء مناقشات أخرى على ذلك. وأسعدها أن أرحب بذلك دائما. وقالت خلال ابتسامة حلوة..

= إن اختلاف الرأى بيننا لن يؤثر على صداقتنا التى أعتز بها كثيرا.

أدهشنى قولها، فلم يسبق لها أن قدمت لى نفسها، أو ذكرت لى اسمها..

الفصل السابع

مصر الجميلة فى عيون العالم

مصر الجميلة .. فى عيون العالم

ما أن مالت الشمس إلى المغيب حتى بدأت نشاطى اليومى الذى اعتدته منذ بداية فصل الصيف. فقمت بتنظيف الساحة الخارجية الواقعة أمام المسكن، ثم المقاعد والموائد استعدادا لاستقبال الزائرين الذين يتوافدون على المكان، بعد أن يضاء المصباح الكهربائى الكبير الذى يتدلى من الشرفة.

كان المسكن الذى اختصت به السيدة زوجتى فى المدينة الجامعية يقع على ربوة، ويتكون من دورين، يشتمل على قاعة استقبال فسيحة ومطبخ بالدور الأول وحجرتين للنوم وحمام واسع بالدور الثانى. وأمام المسكن مساحة تزيد على مساحته وتحيط بها رقعة واسعة خضراء تناثرت فيها بعض الأشجار، ويشقها ممر حجرى ينحدر إلى الطريق المؤدى الى عدة تجمعات سكنية لطلبة وطالبات الدراسات العليا المتزوجين..

إعتاد المصريون والسودانيون وبعض العرب أن يلتقوا على هذه الساحة فى أمسيات نهاية الأسبوع حيث يتناولون الفاكهة. والحلوى ويشربون الشاى بالنعناع. وقد يشاهدون عرضا للشرائح الملونة عن مصر بعنوان «حياة أسرة مصرية».

كان العرض يبدأ بوصول طائرة إلى مطار القاهرة الدولى، والانتقال عبر الميادين الهامة حتى الوصول إلى منزلنا بحى العجوزة بمحافظة الجيزة، حيث أقدم مشاهد من حياة أسرتي فى مناسبات مختلفة، وكيف نقضى أجازة نهاية الأسبوع بزيارة الحدائق العامة والمتاحف أو القيام برحلات قصيرة إلى أهرامات الجيزة وسقارة والحديقة اليابانية بحلوان، وحدائق القناطر الخيرية ثم الفيوم وبحيرة قارون.. وكيف نقضى أجازة الصيف على شاطىء البحر بدءا من بورسعيد شرقا حتى مرسى مطروح غربا... مارا برأس البر وجمصة والاسكندرية.. ثم أخيرا رحلة أجازة نصف السنة الدراسية شتاء إلى الأقصر ومعابدها والمقابر الشهيرة بوادى الملوك، ثم أسوان بجمالها المتميز ومناظرها الخلابة..

وبعد انتهاء عرض الشرائح الملونة لأول مرة وإضاءة الأنوار، كان التصفيق الحاد يصدر- ليس فقط من المتواجدين بالساحة - بل من عدد كبير من الطلبة والطالبات

الأجانب الذين إفترشوا الأرض الخضراء الواسعة المنحدرة الى الطريق. وكانوا قد إتخذوا أماكنهم في هدوء تام خلال العرض، فلم يشعر بهم أحد.

كان الصدق في عرض المشاهد يزيد من الإقبال عليها ، فقد كان واضحا تماما أنه لم يتم إعدادها بقصد الدعاية السياحية لمصر، حيث كانت تعرض صور أفراد أسرتي ـ خاصة أمل وأماني ـ في مراحل سنية مختلفة، ولذلك كان المشاهدون الذين يفترشون الأرض الخضراء يتزايدون مع كل عرض جديد.

وتلقيت عدة دعوات من بعض المنظمات والهيئات والمدارس لعرض الشرائح الملونة بمقارها... وبدأ عدد كبير من الأمريكيين وغيرهم يترددون على الساحة لقضاء ساعات طويلة مع العائلات المصرية، يتناولون حلوى «البقلاوة» التي لاقت شهرة واسعة بينهم ويشربون الشاى بالنعناع الأخضر الذى زرعته في شريط ضيق حول الساحة متخلين بذلك عن مشروبهم المعتاد من القهوة النيسكافيه.

ومع نهايات فصل الخريف، انتقل الزائرون إلى قاعة الاستقبال: ثم جاء الشتاء ببرده القارص، وتراكم الجليد فوق الأرض ولاقت السيارات صعوبات كبيرة خاصة عند صعودها ذلك المنحنى المنحدر الواقع أمام مسكننا في اتجاه مبنى إيفرمان EVERMANN ومساكن ردباد REDBUD.

وعندما انخفضت درجة الحرارة إلى ٤٥ درجة تحت الصفر، أغلقت الجامعة والمدارس لمدة ثلاثة أيام. وتنبه على الجميع عن طريق جميع محطات الاذاعة والتليفزيون ـ بعدم مغادرة مساكنهم إلا للضرورة القصوى، ويشرط أن لا يبقى أحد في الخلاء لأكثر من خمس دقائق، حتى لا تتعرض حياته للخطر.. كان ذلك في شتاء عام ١٩٧٨.

وأذيعت أخبار السيارات التي تعطلت على الطرق السريعة ووفاة راكبيها بعد أن تحولت سياراتهم إلى ثلاجات..

وفي المساء تعثرت سيارة أحد المصريين ـ الدكتور محسن الصياد الأستاذ المساعد بكلية العلاج الطبيعي جامعة القاهرة ـ عن صعودها ذلك المنحنى المنحدر وفي سرعة خرجت أنا والسيدة زوجتي وبعض الضيوف، حيث شاهدنا الموقف خلال الواجهة

الزجاجية للمنزل وقدمنا المساعدة اللازمة حتى تحركت السيارة متخطية ذلك المنعطف المنحدر..

وتحولت قاعة الاستقبال إلى غرفة عمليات يتجمع فيها بعض المتطوعين من المصريين كل مساء، ليكونوا على أهبة الاستعداد لتقديم المساعدة السريعة اللازمة لكل سيارة تتوقف ـ بفعل الجليد المتراكم ـ عند ذلك المنعطف.. فاذا شعر أحدهم بالبرودة تسرى في أوصاله، أسرعوا به إلى داخل المسكن حيث يقدمون له مشروبا ساخنا..

وبدأ تقليد جديد، غريب على المجتمع الأمريكي.. فآلة التنبيه في السيارة لا تستعمل عادة الا في حالة واحدة فقط.. عندما ينبه قائد إحدى السيارات قائد سيارة أخرى. ارتكب خطأ مروريا.. ولكن قائدى السيارات في المدينة الجامعية بدأوا يطلقون آلات التنبيه مرتين ـ للتحية ـ عند مرورهم أمام مسكننا كأنما كانوا يشكروننا على المجهودات الشاقة التى بذلت خلال أيام الشتاء القارصة والجليد المتراكم، لإنقاذ قائدى السيارات التى تعثرت عند صعودها ذلك المنعطف المنحدر..

الفصل الثامن

إننـا لا نتقاضى أجرا عـن الأمانة

إننا لا نتقاضى أجرا عن الأمانة

كنت أقوم بإزالة الجليد الذى تراكم فوق الممر الحجرى بين مسكننا والطريق بعد أن توقف سقوط الثلوج.. وعندما لمحت سيارة المدرسة الثانوية وقفت استقبل ابنتى الكبرى أمل فى عودتها من المدرسة.. وبعد نزولها فى السيارة متجهة نحوى، رأيتها تنحنى على الأرض وتلتقط شيئا فى يدها ثم تنفض عنه بعض الجليد العالق به. وما أن تبادلنا التحية حتى بادرتنى بقولها..

= والدى، لقد وجدت هذه الحافظة

قلت بسرعة.

= كان يجب أن تتركيها مكانها ليجدها صاحبها فيه

قالت فى إعتذار.

= التقطتها حفاظا عليها، خشية ضياعها أو تلف محتوياتها تحت الجليد.

ـ قلت أطمئنها.

= لا بأس، وعليك الاتصال بصاحبها الآن...

قالت فى تساؤل

= كيف ذلك يا أبي وأنا لا أعرفه؟

ابتسمت لها قائلا.

= لاشك أنك ستجدين اسمه على الأقل فى إحدى الأوراق أو البطاقات

ترددت أمل كثيرا قبل أن تحاول سحب بعض الأوراق التي تبرز أطرافها من الحافظة. كان دفتر شيكات.. فقلت لها..

= ستجدين الاسم والعنوان، وربما رقم التليفون أيضا، فى أعلى الشيك.

تم الاتصال تليفونيا بصاحب الحافظة، الذى لم يكن قد عرف ـ حتى تلك اللحظة ـ أنه قد فقدها. وقال أنه سيحضر فورا لقربه من مسكننا.

علت الدهشة وجهه وهو يراجع محتويات حافظته عندما وجدها كاملة بما فيها من نقود ورقية.. قال.

= جرت العادة هنا على أن من يعثر على حافظة ويعيدها إلى صاحبها، أن يأخذ ما بها من نقود ورقية، مهما كانت قيمتها.. لأنه كان يمكنه أن يفعل ذلك ويلقى بالحافظة فلا يستردها صاحبها بما قد تحتويه من أوراق هامة ـ وخاصة دفتر الشيكات ـ تفوق قيمتها كثيرا قيمة النقود الموجودة في الحافظة.

وابتسم وهو يخرج من حافظته ما بها من نقود ورقية، وهو يقول موجها حديثه الى ابنتي..

= ليس من عادتي أن أحتفظ بمثل هذا المبلغ النقدى الكبير، ولكنه ـ على أية حال ـ حق لك..

قالت أمل في سرعة

= أشكرك، لا يمكنني أن آخذه.

سألها في اهتمام.

= لماذا؟! إنه حق لك بعد أن أعدت الى حافظة نقودى. قالت

= إننا لا نتقاضى أجرا عن الأمانة

بدت الدهشة على وجهه وهو يتطلع نحوى في تساؤل صامت قلت له.

= إن مجتمعنا يحرم أخذ اللقطة ـ التي يعثر عليها ـ أو جزء منها. والحمد لله أنك قد وجدت جميع محتوياتها كاملة..

قال الرجل لابنتي وهو مازال في دهشته

= أرجو أن تسمحي لي بأن أقدم لك أى شيء تقديراً لكَ..

قالت في ابتسامة، لما جال في خاطرها

= كل ما أرجوه أن تذكر دائما أنني مصرية ومسلمة..

= أهذا كل شيء؟

= نعم، أرجوك.

قال الرجل وهو يحنى رأسه في تقدير واحترام قبل أن ينصرف.

= سأفعل ذلك دائما، دون شك..

قلت لأمل وأنا أقبل وجنتيها.

= لعل واجبى أن أقدم أنا لك شيئا

وفى سعادة قالت

= أحقا يا أبى ؟!

أسرعت تجلس بجانبى، وقد توقعت منها أن تقدم لى كشفا طويلا بما تطلبه من المشتريات..قالت

= أنت تعرف صديقتى وزميلتى بالمدرسة ميدوريكو MIDORICO من اليابان.

= نعم أعرفها

= إنها تعانى مشكلة، فهل تساعدها كما تساعد الطلبة الأجانب بالجامعة

... هات ما عندك

= تقيم ميدوريكو مع شقيقها توشاكى TOSHAKI فى إحدى الشقق بمبنى إيفرمان EVERMANN

قلت لها مقاطعا

= إنه مخصص للمتزوجين من الطلبة والطالبات فقط

أكملت حديثها.

= ولذلك تقدم أحدهم بشكوى ضدهما لعدم توافر شرط الحصول على ذلك المسكن. فأرسل إليهما مسئول الإسكان بالجامعة يطلب منهما الإخلاء فورا..

قلت لها موضحا

= صديقتك ميدوريكو طالبة بالمدرسة الثانوية، وبالتالى ليس لها الحق فى الحصول على مسكن بالمدينة الجامعية..

قالت أمل فى اعتراض.

= ولكن شقيقها توشاكى طالب بالجامعة بالسنة الثالثة.

قلت

= من حقه فقط الإقامة باحدى الحجرات المشتركة فى المساكن المخصصة لطلبة الجامعة الذين يدرسون للحصول على درجة البكالوريوس.

وتساءلت أمل فى حيرة.

= وأين تقيم صديقتى ميدوريكو؟ - إنها لا تستطيع أن تقيم وحدها فى مسكن خارج المدينةالجامعية..

ونظرت الى عينى بكل عينيها وهى تقول

= لقد وعدتنى يا أبى منذ قليل بأن تقدم لى شيئا، وهذا ما أطلبه منك.

= أهذا كل مطلبك منى؟

= نعم يا أبى.

قلت مبتسما

= دعى توشاكى لمقابلتى هنا غدا الساعة العاشرة صباحا

وأسرعت تقبلنى على الوجنتين فى فرحة.

= شكرا يا أبى..

توجهت مع توشاكى إلى مبنى الادارة لمقابلة مسئول الاسكان بالجامعة، الذى قال فى شبه غضب.

لقد خدعنى كلاهما باسم عائلة مشترك، فخصصت لهما هذا المسكن على أنهما زوجان.

قلت له موضحا

= إنهما لم يحاولا خداعك إطلاقا.. لقد تقدما بطلب الحصول على مسكن لهما بالمدينة الجامعية دون أن يذكرا أنهما زوجان.. ولاشك أن الالتباس قد وقع بسبب تقاليدكم الخاصة بأن تحمل الزوجة اسم عائلة زوجها. وهما قد استعملا اسم عائلة واحدة لأنهما أخ وأخته

قال الرجل في إصرار.

= أرجو أن يخليا المسكن في أسرع وقت ممكن

قلت له مبتسما

= إنني أرجو أن تسمح لهما بالبقاء حتي نهاية العام الدراسي

قال مسئول الإسكان معترضا

= إن ذلك يخالف التعليمات الخاصة بالإسكان في الجامعة

قلت في غير ابتسام.

= لا أعتقد أن التعليمات بهذه القسوة. فالفتاة ـ طبقا لتقاليد بلادها ـ لا يمكنها الإقامة بمفردها في مسكن خاص.

أطرق مسئول الإسكان برأسه، فاستطردت قائلا..

= في هذه الحالة، سأضطر إلى استضافة الفتاة في مسكني، رغم ما قد يسببه ذلك ـ لها ولنا ـ من مضايقات بسبب اختلاف عاداتنا وتقاليدنا..

وبدا على الرجل أنه قد أسقط في يده.. قال.

= سيبقيان في المسكن حتى نهاية العام الدراسي فقط!

قلت وأنا أصافحه.

= شكرا على حسن تعاونك..

وفي الأيام التالية كان الطلبة اليابانيون ـ الذين يلتقون بي في كل مكان ـ يحيونني بانحناءةشديدة..

الفصل التاسع

احترام التلميذ للمدرس هل هو ضعف فى الشخصية

احتـــرام التـلـميذ للمدرس
هل هو ضعف فى الشخصية!

دعانى المشرف الدراسى على ابنتى الصغرى أمانى ـ الذى يقابل المشرف الأكاديمى فى الدراسة الجامعية حيث يطبق نظام المقررات الدراسية ـ إلى مقابلته بالمدرسة. وحدد اليوم والساعة ومكان اللقاء.

كانت ابنتى قد التحقت بالمدرسة الابتدائية UNIVERSITY MIDDLE SCHOOL بمدينة بلومنجتون بولاية إنديانا بالسنة السادسة ابتداء من العام الدراسى ١٩٧٧/٧٦ . استقبلنى فى مكتبه الواسع الملحق بقاعة الدرس المخصصة لدروس الجغرافيا.. كانت الخرائط المختلفة معلقة فى كل مكان، ونموذج للكرة الأرضية يتوسط مائدة كبيرة. كان المكتب ومحتوياته يؤكدون لك أنه خاص بمدرس جغرافيا. وقد عرفت منه أن المدرس لا ينتقل إلى قاعة مخصصة لاحدى السنوات الدراسية، بل ينتقل الطلبة إلى القاعة المخصصة للدراسة بالنسبة لكل مادة.. ولذلك كان لكل مدرس مكتبه الخاص الملحق بقاعة الدرس الذى يجمع فيه كل ما يحتاجه من وسائل الإيضاح التعليمية والكتب والمراجع العلمية المتخصصة فى مادته.

ويتنقل الطلبة بين قاعات الدرس خلال فترة العشر دقائق بين الدرس والآخر.. وعلى الطلبة ـ منذ بداية العام الدراسى ـ أن يحفظوا جغرافية مبنى المدرسة ومواقع قاعات الدرس المختلفة، بل ويقوم الكثير منهم بإجراء تجارب على الانتقال بين القاعات حسب الجدول الدراسى المحدد لهم ، حتى يمكنهم تحديد أقصر طريق بين القاعتين المتتاليتين.

وقد أعجبنى هذا النظام لأنه يتيح للمدرس إمكانيات هائلة فى إعداد قاعة الدراسة الخاصة به، بما يناسب مادته العلمية، وحتى لايسير فى طرقات المدرسة حاملا وسائل الإيضاح الخاصة به أو كراسات التلاميذ بين قاعات الدرس المختلفة وبين مكتبه فى حجرة المدرسين!

كما يتيح هذا النظام للتلاميذ أن يجددوا نشاطهم بالحركة والتنقل بين القاعات، مما يبعد عنهم الشعور بالسأم والملل، كما يوحى إليهم بالاحساس بأنهم يذهبون لتلقى العلم بإرادتهم.. فهم الذين يتوجهون إلى المدرس فى مكانه، وليس العكس..

سألنى المدرس ـ المشرف الدراسى على ابنتى.

= هل تعانى أمانى من الاحساس بالخوف ؟

أجبته

- لا

سألني

- هل تعاني أمانى من ضعف شخصيتها ؟

ضحكت وأنا أقول فى دهشة..

= أمانى! تعانى من الإحساس بالخوف وضعف الشخصية!

ابتسم المشرف الدراسى وقال.

= يبدو أننى لم أفهم ابنتك حق الفهم.. فهل يمكنك أن تعطينى فكرة عن بعض تصرفاتها الشخصية فى المدرسة التى كانت ملتحقة بها قبل حضورها إلى مدرستنا ؟

قلت

= سأذكر لك واقعتين قد يساعدان على إيضاح شخصية أمانى بالنسبة للإحساس بالخوف أو ضعف الشخصية..

قال وهو يقدم لى فنجانا من القهوة الأمريكية، أعده لى بنفسه فى مكتبه. إذ ليس هناك ساع أو فراش مخصص لذلك.

= يسرنى أن أسمع ذلك تفصيلا.. أرجوك.

قلت وأنا أعود بذاكرتى الى بضع سنوات مضت.

=كانت أمانى فى السنة الأولى الابتدائية فى كلية البنات بالزمالك نفس المدرسة التى كانت بها أختها الكبرى أمل فى السنة الأولى الإعدادية ـ وذات يوم جاءتنى أمل تشكو من أمانى وتصرفها معها فى المدرسة. فقد أرادت أمانى أن تتحدث مع أختها الكبرى فى موضوع يهمها. وفوجئت أمل بأختها أمانى تشير الى مجموعة من التلميذات بأن يمسكنها ويحضرنها إليها حيث وقفت .. وأطاعت التلميذات الأمر وأسرعن خلف أمل يحاصرنها حتى أمسكن بها.. وأخذنها إلى حيث وقفت أمانى فى انتظارهن..

وقد أدهش أمل أن مجموعة التلميذات تضم بعضا من تلميذات السنتين الثانية والثالثةالابتدائى..

وضحك المشرف الدراسى وقال يستحثنى على الكلام.

= والواقعة الثانية!

قلت وأنا لا أتمالك نفسى من الضحك..

= تقوم طالبات السنتين الثالثة والرابعة بكلية التربية الرياضية بالقاهرة ـ طبقا لبرنامج التربية العملية ـ بتدريس تلميذات المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية مادة التربية الرياضية، وتدريبهن على بعض الألعاب الرياضية المختلفة تبعا للمستوى الدراسى.. كانت والدتها ـ زوجتى ـ مدرسة فى تلك الكلية، وكان ذلك يعنى أنها مدرسة أولئك الطالبات اللاتى يمارسن عليها وظيفة مدرسة تربية رياضية.. وقد اعتادت أمانى أن تذهب إلى كل طالبة منهن وتسألها فى اعتزاز وثقة.

= هل تعرفين من أنا؟

وتنظر إليها طالبة التربية العملية وتقول مداعبة

= لا ياحبيبتى، أنا لا أعرف بعد.

وتردد أمانى فى اقتضاب كأنها تستنكر ذلك الجهل بها وبوالدتها.

= أنا ابنة عائدة البنا.

وبعد ذلك تستمتع أمانى بالمعاملة الخاصة التى توليها إياها جميع طالبات التربية العملية فى المدرسة..

ويبدو أن أمانى أرادت أن تؤكد لزميلاتها فى المدرسة مدى سلطة والدتها على المدرسات الصغيرات تحت التمرين.. فطلبت من والدتها أن تزورها فى المدرسة. وتحت إلحاحها الشديد حددت لها والدتها موعدا لذلك.. الساعة الحادية عشر ةصباح اليوم التالى..

كانت طالبة التربية العملية تؤدى عملها ـ أمام الأستاذة المشرفة على مقرر التربية العملية ـ مع تلميذات السنة الأولى الابتدائية، وبينهن أمانى. كانت الطالبة تناقش أستاذتها وعندما التفتت الى طابور التلميذات، لم تجد أحدا منهن. وأسقط فى يد الطالبة وتلفتت حولها فى ارتباك تبحث عن التلميذات فلمحتهن يمشين فى طابور تتقدمهن أمانى فى

اتجاه الباب الخارجي للمدرسة.. فأسرعت خلفهن تستدعيهن حتى تتم حصتها ورفضت التلميذات الاستجابة لها إلا إذا وافقت أماني على ذلك.

وسألت الطالبة أماني عن سبب ذهابهن الى باب المدرسة الخارجي، فقالت لها أماني أنها ـ مع كل زميلاتها ـ سينتظرن والدتها عائدة البنا التي ستحضر الساعة الحادية عشرة.. واستعطفتها الطالبة لكى تعود مع زميلاتها حتى لا يؤثر ذلك على درجتها فى مادة التربية العملية.. ووعدتها بأنها ستكون معها فى انتظار والدتها فيما بعد.. وعادت التلميذات مع أماني..

قال المشرف الدراسى وهو يبتسم

= إن لها شخصية قيادية إذن

قلت مؤكدا

= أظن ذلك

- سألنى فى حيرة.

= لماذا إذن ذلك الخوف الذى يعتريها عندما يدخل المدرس ـ أى مدرس ـ إلى قاعة الدرس أو يتحدث إليها؟

تساءلت فى تعجب.

= كيف يعتريها الخوف من المدرس؟!

قال فى أسى واضح.

= إنها تقف على قدميها كلما دخل المدرس إلى قاعة الدرس، أو كلما وجه إليها سؤالا أو اقترب منها ليتحدث إليها..

ولم أتمالك نفسى فضحكت كثيراً.. وقد أدهشه تصرفى.. قلت

= إنه ليس خوفا من المدرس أو ضعفا فى شخصيتها.. إنه احترام للمدرس..

اتسعت عينا المشرف الدراسى دهشة وتساؤلا.. فاستطردت موضحا.

= إننا فى مصر نحترم المدرس، ولذلك يقف التلاميذ احتراما له عند دخوله الى قاعة الدرس، وكذلك عند الإجابة على أى سؤال يوجهه لأحد التلاميذ، إذ لايجوز أن يتحدث التلميذ إلى المدرس وهو جالس، إلا إذا سمح له بذلك..

وذكرت له ما وقع لصديقى الدكتور أحمد حسنين حشاد ـ الأستاذ المتفرغ بهيئة المواد النووية حالياً ـ حيث تعرض لنفس هذا الموقف عام ١٩٦٢ عندما كان فى بعثة دراسية للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة يوتا.. كان أحمد حشاد يشارك أحد الطلبة الأمريكيين فى حجرة يجريان فيها أبحاثهما وتجاربهما المعملية. وكان أستاذهما يحضر اليهما بين الحين والآخر للإشراف على ما يقومان به ومراجعته. كان أحمد حشاد يقف على قدميه بمجرد أن يتخطى أستاذه باب الحجرة، بينما يظل زميله الأمريكى جالسا إلى مكتبه لا يتحرك. وقد حاول الأستاذ مراراً أن يثنى الدكتور أحمد حشاد عن تصرفه ذلك دون فائدة، فقد كانت إجابته دائما.. أن ما يفعله هو أبسط مظاهر احترام التلميذ لأستاذه طبقا لتقاليد المجتمع المصرى..

وابتسم المشرف الدراسى وهو يقول

= أتمنى أن يفعل الطلبة الأمريكيون نفس ما يفعله الطلبة المصريون.. وأرجو أن لا أكون قد ضايقتك بدعوتى لك وحديثى إليك عن أمانى

قلت..

= بالعكس تماما.. لقد أسعدنى ذلك جدا حتى أتعرف على بعض تقاليدكم. وسأطلب من ابنتى أمانى أن تحاول التصرف مثلما يفعل الآخرون.. وقد رجوته أن يتصل بى عند ملاحظة أى اختلاف عن المتبع فى المجتمع الأمريكى، حتى أوضح له الأمر. وأخبرته عن ملاحظتى الخاصة بجهل طلبة الجامعة الأمريكيين بجغرافية العالم، إذ لم يعرف عدد كبير منهم موقع مصر الجغرافى..

قال

= يؤسفنى أن أقرر بصحة ذلك، لأننا ندرس للتلاميذ جغرافية أمريكا فقط

تساءلت.

= لماذا لا يوضع فى البرنامج الدراسى دولة واحدة فقط من كل قارة حتى لا يتصور الأمريكيون أنهم يعيشون فى هذا العالم وحدهم!..

وفى العام الدراسى التالى، كان برنامج مقرر الجغرافيا قد أضيف إليه دراسة دولتين من كل قارة، دون حاجة إلى عرض الأمر على إحدى لجان وزارة التربية والتعليم، التى قد تستغرق اجتماعاتها عدة سنوات ـ تصرف خلالها مكافآت حضور الجلسات ـ قبل أن تصدر قرارا، أصدره مدرس الجغرافيا بإحدى المدارس الإبتدائية الأمريكية، فى لحظة اقتناعه بضرورته لمصلحة العملية التعليمية..

ويشترط لتعيين المدرس فى وظيفته حصوله على درجة الماجستير واذا اقتضت الضرورة تعيينه قبل ذلك، منحته إدارة المدرسة الفرصة للحصول على درجة الماجستير فى العامين التاليين.. لذلك تقدم الجامعات الأمريكية دراسات صيفية بتنظيم فصلين دراسيين مكثفين، لإتاحة الفرصة أمام المدرسين لاستكمال دراساتهم خلال أجازتهم الصيفية.

ولا يترك المدرس وظيفته التعليمية بالترقى، بل يبقى دائما فى وظيفة مدرس مع زيادة مرتبه، لأنه من الغباء الشديد أن يبعد المدرس عن عمله التربوى والتعليمى بعد ازدياد خبرته العملية.. فالمجتمع الأمريكى يدرك أهمية وظيفة ودور المدرس مثلما كان يدركها المجتمع المصرى ولا يقوم بالتدريس فى المدارس الابتدائية إلا المدرسون ذوو الخبرة الكافية والقدرة الفائقة، وليس العكس..

ولم أستطع أن أمنع شعورى بالأسف لما يحدث فى مصر ومعظم البلاد العربية ـ عندما يبعدون المدرسين ذوى الخبرة عن وظيفة التدريس إلى وظيفة إدارية أو إشرافية، عند ترقيتهم إلى درجات أعلى.. وبذلك يخسر المجتمع كفاءاتهم وقدراتهم التعليمية..

الفصل العاشر

الديك الرومى في عيد الشكر

الديك الرومى فى عيد الشكر

كانت الثلوج تغطى كل مكان، فدرجة الحرارة تنخفض كثيرا عن درجة التجمد ـ الصفر المئوى و ٣٢ فهرنهيت ـ أصابنى التهاب فى الحلق نتج عنه سعال، مما أقلق السيدة زوجتى، التى أصرت على التوجه إلى طبيب متخصص، رغم علمها بكراهيتى الشديدة لعرض نفسى على الأطباء.

خطوت داخل عيادة الطبيب حيث تفوح منها رائحة النظافة التامة وإستقبلتنى ممرضة جميلة لتملأ إستمارة البيانات، وبعدها قادتنى أخرى ـ لاتقل عن الأولى جمالا ـ إلى حجرة مجاورة لحجرة الطبيب لقياس درجة الحرارة والنبض والضغط.

وجاء دورى للعرض على الطبيب، بعد أن سبقتنى إليه البيانات الخاصة بى التى أثبتتها الممرضتان فى الاستمارة.. وبعد أن كشف على حنجرتى، قال مشيرا بيده.

= إن علاجك تجده فى محل البقالة الكائن على ناصية الشارع..

وابتسمت لمداعبته، فليس فى المدينة كلها محل بقالة على ناصية شارع. ولعله لمح ما ارتسم على وجهى فقال..

= إنك لا تحتاج إلا لقطعة من اللبان تمضغها كلما شعرت بجفاف فى الحلق..

ولما أبدت السيدة زوجتى قلقها وتخوفها قال الطبيب يطمئنها

= إن هذا أمر طبيعى جدا فى فصل الشتاء حيث يكون الهواء جافا بسبب تجمد كل الرطوبة العالقة به، ولذلك يلجأ الناس إلى مضغ اللبان حتى يقوم اللعاب بالدور الذى يقوم به بخار الماء فى الهواء فى الظروف الطبيعية .

عندئذ أدركت سر انتشار عادة مضغ اللبان بين الأمريكيين.. فقد كنت أحد الذين يعيبون عليهم ذلك..

ولعل عادة مضغ اللبان من العادات التى انتقلت إلى المجتمع الأمريكى من القبائل الأمريكية الهندية ـ الهنود الحمر ـ فقد كانت قبائل الشايان CHEYENNE ـ أكبر قبائل الغرب الأمريكى التى أقامت فى السهول العظمى غرب نهر المسيسيبىMISSISSIPPI

وشرق جبال روكىROCKY MOUNTAINS، وكانت المرأة الشايانية مشهورة بين كل قبائل الغرب لطهارتها.. ولم يكن من المعتاد ـ قبلا ـ أن يستطيع رجل إغواء فتاة منهم.. وإذا حدث أن استسلمت الفتاة، لحقها العار طوال حياتها، فلا يتزوجها أى رجل بعد ذلك..

وفى الظروف الاجتماعية الخاصة بقبائل الشايان، كان يلزم للرجل أربع أو خمس سنوات حتى يستطيع أن يحظى بزوجة.. وكان طلب الزواج يوجه مباشرة إلى أسرة الفتاة وليس إليها شخصيا.. بل إن الإجراء المناسب يتطلب من الشاب أن يرسل إحدى نساء أسرته المتقدمات فى السن نيابة عنه، لطلب الزواج من فتاة معينة..

لم تكن هناك فرصة لنشوء علاقات بين الجنسين بمجرد بلوغ النضج الجنسى للفتى والفتاة ـ كما يحدث فى بعض القبائل البدائية فى شرق أفريقيا ـ ولكن قد يحدث أن يرى شاب فتاة ويتمنى أن تكون حبيبته. إنه يعرف الممر الذى تسلكه من مسكن أسرتها إلى النهر عندما تحضر الماء.. أو إلى حيث تجمع الأخشاب فى الغابة.. وينتظرها عند ذلك الممر وهو يحاول أن يجتذب انتباهها إليه..وقد تتجاهله الفتاة تماما، وقد تسعده بأن تقف معه بعض الوقت لتبادل الحديث، ولكن ليس عن الحب اطلاقا.. وقد يستمر ذلك فترة ويلتقيان خارج القرية وقد يتبادلان الخاتم، وهذا يعنى أنهما مخطوبان..

ولكن الفتاة قد تتمنع عن التوقف وتبادل الحديث معه، فيلجأ الشاب إلى طبيب القبيلة ليساعده على اجتذاب الفتاة إليه.. ويعطيه الطبيب قطعة من اللبان ليقدمها إلى الفتاة، فإذا مضغتها فان أفكارها لا يمكن أن تبتعد عن الفتى الذى أعطاها إياها..

ولا يقتصر أثر الأمريكيين الهنود على إدخال الكثير من الكلمات والأسماء إلى اللغة الأمريكية، وإلى انتشار عادة مضغ اللبان، بل إن عيدا كبيرا يحتفل به الأمريكيون كل عام ـ يوم الخميس الرابع من شهرنوفمبر ـ هو عيد الشكرTHANKS GIVING الذى يرجع فى أصوله إلى الهنود الحمرAMERINDIANS..

وعيد الشكر من العادات القديمة فى كثير من المجتمعات الإنسانية فقد كانت معظم الشعوب الآسيوية والأوربية تحدد يوما خاصا للاحتفال باسداء الشكر لآلهتهم على انتصار حربى أو أى نعمة حصلوا عليا.. وعندما هزمت البحرية البريطانية أسطول الأرمادا

الأسبانى سنة ١٥٨٨م، أقيمت صلوات الشكر فى جميع الكنائس بانجلترا، كما كانت تقام صلاة الشكر إذا شفى أحد أفراد الأسرة المالكة البريطانية من مرض ألم به..

وفى المجتمعات الإسلامية اعتاد الناس أن يصلوا ركعتين لله تعالى على نعمته أو لإنقاذهم من خطر أحدق بهم..

وكان أشهر عيد للشكر فى الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك الذى أقامه المهاجرون الجدد فى مدنية يليموث PLYMOUTH بولاية ماسا شوستس MASSACHUSETTS ـ التى تقع فى الشمال الشرقى لأمريكا ـ فى خريف عام ١٦٢١م .كان أول شتاء يقضونه فى العالم الجديد قاسيا للغاية، لعجزهم عن الحصول على مايكفيهم من طعام.. ومات منهم أكثر من نصف عددهم. وقد أثار ذلك شفقة جيرانهم من الأمريكيين الهنود، فعلموهم صيد الحيوانات والطيور والأسماك وزراعة المحاصيل. وفى العام التالى كان المحصول وفيرا، فأعلن الحاكم ويليام برادفورد WILLIAM BRADFORD تحديد يوم لإقامة صلاة الشكر.. وعندما أقيمت الاستعدادات العظيمة للإحتفال بعيد الشكر الأول، دعى الأمريكيون الهنود ضيوفا على الحفل الذين أحضروا معهم عددا من الديوك الرومية WILD TURKEY التى إصطادوها من الغابات، مساهمة منهم فى الحفل..

وظل الأمريكيون المهاجرون والأمريكيون الهنود ـ سكان أمريكا الأصليون- يحتفلون معا بعيد الشكر ويتناولون الطعام على موائد وضعت فى الهواء الطلق، وقد تكدست بانواع الطعام، وفى وسط كل منها ديك رومى..

ومازال الديك الرومى ـ منذ ذلك اليوم ـ يتوسط مائدة الطعام فى كل بيت أمريكى يوم الاحتفال بعيد الشكر.. ويحرص الأمريكيون على دعوة بعض الأجانب لمشاركتهم الطعام ذلك اليوم.. وبهذه المناسبة تنخفض أسعار الديوك الرومية ـ وليس العكس كما يحدث فى مصر ـ حتى يتاح لكل أسرة أمريكية أن يتوسط أحدها مائدة الطعام فى ذلك اليوم.. بل إن بعض المحلات التجارية تمنح عدداً منها هدية للفائزين فى السحب الذى تجريه بين زبائنها فى تلك المناسبة..

وقد أخذت عنهم باقى مستعمرات نيوانجلند NEW ENGLAND المحيطة بهم هذا التقليد للاحتفال بعيد الشكر جماعيا. وأصبح عيدا سنويا منذ عام ١٦٨٠ فى ولاية

ماسا شوستس. وكانت ولاية كونكتيكات CONNECTICUT ـ المجاورة لها ـ قد جعلته عيدا سنويا منذ عام ١٦٤٧م. وكان المهاجرون الهولنديون في نيو نيدر لاندز NEW NETHERLANDS يحتفلون عدة أيام بعيد الشكر منذ عام ١٦٤٤.

وقد أعلن الرئيس چورج واشنطنGEORGE WASHINGTON يوما للاحتفال بعيد الشكر بمناسبة صدور الدستور الأمريكي سنة١٧٨٩ وأعلن الرئيس چيمس ماديسون JAMES MADISON يوما للشكر من أجل السلام بعد انتهاء الحرب الأهلية الأمريكية سنة ١٨١٢. وأصبح للكثير من الولايات الامريكية أعياد للشكر سنوية.. وطالب الأمريكيون بتاريخ مو حد يحتفلون فيه جميعهم بعيد الشكر سنويا..

وفي سنة ١٨٦٣ إختار الرئيس ابراهام لنكولنABRAHAM LINCOLN يوم الخميس الأخير من شهر نوفمبر موعدا لأول عيد قومي للشكر.. وتبعه في ذلك كل رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية حتى سنة ١٩٣٩، عندما حدد الرئيس فرانكلين روزفلتFRANKLIN ROOSEVELT اليوم التالي لآخر يوم خميس في شهر نوفمبر ـ كان ذلك يسمح برواج حركة البيع والشراء في الفترة بين عيدى الشكر والميلاد..

وقد اعترضت بعض الولايات الأمريكية على ذلك التحديد الجديد، وفي ديسمبر سنة ١٩٤١ أصدر الكونجرس الأمريكي ـ مجلس النواب ـ قانونا بتحديد يوم الخميس الرابع من شهرنوفمبر عيدا قوميا رسميا للشكر، ليتوسط مائدة الطعام في كل بيت ذلك الديك الرومي الذى قدمه الأمريكيون الهنود إلى المهاجرين الجدد في نوفمبر سنة ١٦٢١م.

الفصل الحادى عشر

لماذا فشلت جيرالدين فيريرو!

لماذا فشلت جيرالدين فيريرو!

المرأة الأمريكية مجنى عليها عندما جعلونا نحكم عليها من خلال المسلسلات التليفزيونية الشهيرة ـ دلاسDALLAS ونوتس لاندنجKNOTS LANDING وغيرهما ـ مثلما يحكم بعض أبناء البلاد العربية على المرأة المصرية من خلال كازينوهات شارع الهرم وبعض الأفلام التجارية الرخيصة في مبناها ومعناها، بما تعرضه من مخالفات للتقاليد والقيم الأخلاقية للمجتمع المصرى..

لقد راق لهم أن يصوروا المرأة الأمريكية متحررة من كل القيم والقيود الاجتماعية والأخلاقية، رغم أن الغالبية العظمى من نساء أمريكا محافظات..وبناء على الدراسة التى أجريت ـ بعد الفشل الذريع للسيدة جيرالدين فيريروGERALDINE FERRARO في انتخابات الرئاسة الأمريكية كنائب للرئيس في ٤٩ ولاية – تبين أن نسبة النساء المحافظات في الولايات المتحدة الأمريكية حوالى ٧٠٪ بينما نسبة النساء المتحررات ـ أو اللاتى يتجهن إلى التحرر ـ ٣٠٪ فقط.. وبذلك أدركوا سبب فشل السيدة فيريرو رغم أن عدد أصوات الناخبات يزيد كثيرا على عدد أصوات الناخبين، حيث أن نسبة عدد النساء إلى تعداد مجموع السكان ٥٢,٥٪، أى أن عددها يزيد على عدد الرجال بحوالى ١٢,٥ مليون امرأة..

وقد إعتبرت أجهزة الإعلام الموجهة المرأة المتحررة ـ لا المرأة العاملة ـ رمزا للعصر الجديد الذى بدأ بعد الحرب العالمية الثانية وخروج أمريكا منها كأغنى دولة في العالم.. وإنطلقت الدعوة للتحرر.. «إن الحرية هى الجوهر العصرى، أى أن يحيا الإنسان حياته وبطبيعته» وأخذت المرأة المتحررة ـ بشعرها المنسدل على كتفيها وبنطلونها الضيق ـ تنتقل من مغامرة إلى أخرى، وتمارس التجارب من أجل التجارب مرددة. «إننى أتمنى أن أفعل ما يروق لى دون أى قيد..»

وقد أثار سلوكها الغريب سخط الأمريكيين في معظم الولايات، وخاصة الوسطى والشمالية.. ومنذ سنة ١٩٦٤ ـ بعد هزيمة حرب فيتنام وكأثر لها – حدثت ثورة في السلوك والأخلاق ودارت المناقشات حول العلاقات الجنسية إلى مستوى لم يسبق له مثيل.. واستبعدت المحرمات المقرونة بالجنس عامة ـ والخيانة الزوجية خاصة ـ من عقل بعض الفئات الاجتماعية في أمريكا..

وقد استهجن غالبية أنصار «نضال المرأة الأمريكية من أجل حقوقها» موجة الأخلاق الجديدة، واستنكروا ما بدا من جنون الانغماس الجنسي.. فإن حركة تحرر المرأة ـ فى رأيهم ـ تعمل من أجل المساواة فى الأجر وفرص العمل وزيادة القوة السياسية والتمثيل النيابى عن المرأة فى كل المستويات السياسية لنظام الحكم..

ولعل هذه الحرية الجنسية هى التى جعلت المرأة الأمريكية ـ فى غالبيتها ـ حذرة من حركة التحرر.. فاذا كان البعض قد رأى أنها تعترض على عدم المساواة بين الرجل والمرأة ودور كل منهما اجتماعيا، فقد فسرها البعض الآخر بأنها شذوذ جنسى نسائى ورفض لأى علاقة جنسية مع الرجال..

والواقع أنه إذا تخيلنا خطا وهميا بين مدينة بوسطنBOSTON فى الشمال الشرقى للولايات المتحدة الأمريكية وبين مدينة سان دييجو فى الجنوب الغربى لولاية كاليفورنيا، وخطا آخر بين مدينة سيتل SEATTLE فى أقصى الشمال الغربى وبين مدينة چاكسونفيلJACKSONVILLE بولاية فلوريدا FLORIDA فى الجنوب الشرقى.. ووقفنا فى ملتقى تقاطع الخطين متجهين بوجوهنا نحو الجنوب، فإنه كلما تقدمنا يسارا نحو الساحل الشرقى على المحيط الأطلنطى، أو يمينا نحو الساحل الغربى على المحيط الباسيفيكى، أو جنوبا نحو خليج المكسيك، كلما زادت نسبة التحرر بين النساء حتى تصل إلى أقصاها فى المدن الساحلية الكبيرة، بينما تقل كثيرا فى الولايات الشمالية والوسطى..

وقد التقيت بفتيات أمريكيات محافظات جدا، دون ما حاجة إلى حجاب أونقاب.. ولم أكن لأصدق ذلك لو لم أعرف شخصيا بعضا منهن.. ولعل أبرزهن كانت الصديقة KELLYكالى التى كلفتها والدتها ـ السيدة نيكول هانسونNICOLE HANSON من ولاية مونتانا MONTANA ـ بمرافقتى فى زياراتى ومشاهداتى للمناطق السياحية فى ولاية كولورادوCOLORADO. وكالى طبيبة بيطرية ذات وجه جميل جدا.كانت فى الثالثة والعشرين من عمرها حينذاك ـ فى صيف عام ١٩٨٢ ـ وكانت تراعى فى اختيار ملابسها أن تكون طويلة حتى منتصف الساق، ذات اكمام طويلة ودون فتحة حول العنق.. كانت ترفض بإصرار أن يمسها رجل إلا بعد الزواج.

وقد شكت لى والدتها من ذلك، وأبدت تخوفها الشديد أن تقضى ابنتها كالى ـ رغم جمالها الباهر ـ حياتها كراهبة.! وقد رفضت الفتاة بشده أن تستجيب ـ ولو جزئيا ـ لرأى والدتها.. وقد دعتنى كالى إلى إجتماع دينى يضم عددا كبيرا جدا ممن يؤمنون بنفس أفكارها.. وتنتشر فروع هذا التنظيم الدينى الذى يحارب حرية العلاقات الجنسية قبل الزواج فى كثير من الولايات الأمريكية .

وعندما دعتنى كالى لتناول طعام الغذاء وزيارة مسكنها حيث تقيم مع صديقة تنتمى لنفس التنظيم الدينى، فوجئت بوجود جهاز التليفزيون موضوعا فوق دولاب كبير.. ولما سألتها عما إذا كان ذلك الجهاز عاطلا أجابتنى بقولها..

= لا، بل لأنه يعرض برامجا لا تروقنا..

وابتسمت، فقد تذكرت نفس الحوار تقريبا مع أحد الأصدقاء فى مصر عندما رأيت جهاز التليفزيون ملقيا أعلى دولاب حجرة نومه..

ولعل هذا التنظيم الدينى ـ وأمثاله فى الولايات المتحدة الأمريكية ـ قد قام كرد فعل لنشاط بعض التنظيمات الأخرى التى تدعو إلى نبذ فكرة الزواج وحرية العلاقات الجنسية..

وقد استمعت يوما إلى محاضرة نظمتها إحدى الجمعيات النسائية فى مدنية بلومنجتون بولاية إنديانا تحدثت فيها الدكتورة إليزابيثELZABETH BOYER رئيسة منظمة حقوق المرأة، وهى محامية متخصصة فى التشريعات الخاصة بحقوق المرأة. وكانت تصحبها المحاميتان مارى هولMARY HALL وإلين توماس ELLEN THOMAS

كان عنوان المحاضرة «الزواج، هل هو مخاطرة ؟!» وقد أدهشنى كثيرا هجوم السيدة المحاضرة على نظام الزواج وهى تسهب فى بيان مخاطره العديدة.. قالت أن جميع النساء مسئولات إقتصاديا عن أنفسهن الآن، سواء كن متزوجات أو غير متزوجات.. وأن النساء المتزوجات يجب عليهن أكثر وأكثر أن يعتمدن على أنفسهن إقتصاديا..

وقالت أن المرأة المتزوجة تواجه عدة مشكلات

١ـ الحمل والولادة دون تفكير مسبق في مشكلاته الاقتصادية.. والمرأة التى تحب الأطفال تجد نفسها تتجة نحو الفقر أو لعلها تعانيه فعلا!.

٢ـ فى حالة نقل وظيفة الزوج بعيدا، والمرأة لديها وظيفة مناسبة جدا، تضطر إلى تركها.. فالمراة التى ألقت بنفسها تحت مسئولية زوج ـ مهما كانت مهارتها الشخصية ـ قد لاتجد العمل المناسب لمؤهلها العلمى..

٣ـ تصل نسبة الزوجات اللاتى يتعرضن لاعتداء الأزواج BATTERED WIVES إلى ٢٥ ٪ أو ٢٦ ٪..

٤ـ فى حاله الانفصال ـ دون الطلاق ـ لا تستطيع المرأة التصرف فى أموالها إلا بموافقة الزوج..

٥ ـ الصعوبات التى تلقاها المرأة لاستعادة اسمها الأول بعد الطلاق. فاذا تزوجت ليندا ستيوارت من جونسون، أصبح اسمها مسز جونسون ـ، يبقى ذلك اسمها أيضا حتى بعد الطلاق منه فلا تستعيد اسمها الأول «ليندا ستيوارت» إلا بصعوبة فائقة.

وقالت الدكتورة إليزابيث بوير إن سبب الطلاق ـ فى رأيها- هو عدم استمرار الرجل فى تحمل مسئولياته الاقتصادية نحو الأسرة وأن الطلاق يقع كثيرا بعد حصول الزوج على درجته العلمية مهما كان كفاح الزوجة بجانبه حتى حصل عليها، لأن الرجل أنانى ولايحفظ الجميل..

وقالت أن المرأة الأمريكية يجب عليها أن تتوقع حالات أسوأ من ذلك فى الخمسين سنة القادمة، إذا لم تستطع أن تحقق لنفسها بعض الحماية القانونية..

وأخيرا ذكرت أنه قد أجرى إحصاء عن السعادة فكانت نتيجته أن أسعد الناس هم النساء غير المتزوجات، يليهن الرجال المتزوجون ثم الرجال غير المتزوجين.. وأخيرا النساء المتزوجات...

وقد استمعت إلى بعض المشكلات التى عرضتها الحاضرات بقصد إيجاد حلول لها، قبل أن أرفع يدى طالبا الكلمة، فأعطيت لى..

قلت بعد أن قدمت نفسى ـ كمحام أمام المحكمة العليا المصرية ومؤلف لبعض الكتب عن الزواج والأسرة والمجتمع ـ أننى قد لاحظت الهجوم الشديد للسيدة المحاضرة على نظام الزواج، وأنها قد اهتمت فقط ببيان مخاطره دون أن تحاول عرض الحلول للمشكلات التى أثارتها أو تلك التى عرضتها بعض الحاضرات، ولم أستمع إلى إجابة واحدة تضع حلا لإحداها..

لقد عرضت فتاة من ولاية تكساسTEXAS مشكلة النساء فى ولايتها حيث يطلق الرجال زوجاتهم قبل تقديم الإقرار الضريبى كل عام، حتى يستفيدوا من تخفيض نسبة الضريبة المستحقة عليهم، لأن المتزوجين يدفعون ضرائب أكثر من غير المتزوجين.. وعلى ذلك يقع الزواج والطلاق كل سنة مع موسم تقديم الإقرارات الضريبية.

وعرضت فتاة ثانية مشكلة تحصيل الدولة لضريبة الإرث ـ ضريبة التركات HERITAGE TAX ـ عند وفاة الزوج، عن كل المبالغ والأموال المشتركة بين الزوجين.. وأنه على الزوجة أن تثبت أنها اكتسبت أموالها بنفسها حتى تخرج أموالها من شريحة ضريبة الإرث..

وعرضت فتاة ثالثة مشكلة المرأة التى توفى عنها زوجها، وقبل اليوم المحدد لتشييع الجنازة طردها صاحب البيت من مسكنها لإنتهاء عقد الايجار بينه وبين زوجها بالوفاة..

وقلت.. إننا فى مصر ـ طبقا لأحكام القانون ـ ينتقل حق الإيجار كاملا للزوجة بعد وفاة زوجها، وتستمر إقامتها فى المسكن دون أى تعرض من المالك.. كما تتمتع المرأة المصرية باستقلال ذمتها المالية، ولها الحرية الكاملة فى التصرف فى أموالها دون اشتراط إذن زوجها، وبالتالى لا تخضع أموالها لضريبة الإرث (رسم الأيلولة)..

وقلت إننى ألاحظ اشتراك عدد من المحاميات فى الجمعية التى نظمت هذه المحاضرة.. وكنت أتمنى أن تكون أغراض هذه الجمعية أساسا هى تحرر المرأة من القيود القانونية التى تخضعها للرجل ـ فتلغى اسمها وذمتها المالية وتصبح تابعة لزوجها ـ وليس حريتها فى العلاقات الجنسية.

فالمرأة المصرية لا تفقد إسمها بالزواج، ولا تندمج ذمتها المالية فى ذمة زوجها، بل إنها تحتفظ باسمها واسم عائلتها، كما تحتفظ بذمتها المالية المستقلة تماما عن ذمة زوجها.

كما أن للمرأة المصرية الحق فى أجازة بأجر كامل مدتها ثلاثة أشهر عند ولادة طفل، ثلاث مرات طوال حياتها الوظيفية. وليس للمرأة الأمريكية هذا الحق.. وللمرأة المصرية الحق فى أجازة مدتها سنتان لرضاعة الطفل، ولها أن تختار بين قبض ربع الأجر أو أن تقوم جهة العمل بسداد قيمة اشتراك التأمين الإجتماعى..

لقد كنت أتصور أن المرأة الأمريكية تتمتع بحقوق كثيرة تفوق ما تتمتع به المرأة المصرية.. ولكنى فوجئت بما سمعته خلال هذه المحاضرة والمناقشات التى تلتها، والذى أكد لى أن المرأة المصرية تتمتع بحقوق كثيرة، قد تحتاج المرأة الأمريكية إلى سنوات طويلة من الكفاح للحصول عليها أو البعض منها، خاصة إذا كانت جمعيات حقوق المرأة تقصر طلباتها على حرية العلاقات الجنسية..

وقد كانت ثورة السيدة المحاضرة على كلمتى هى الوحيدة التى تعرضت لها فى الولايات المتحدة الأمريكية، فان من طبيعة الأمريكيين عامة ـ والمثقفين منهم خاصة ـ تقبل الرأى الآخر ومناقشته فى هدوء وصولا إلى الرأى الأفضل..

وقد تدخلت المحاميتان مارى هولMARY HALL وايلين توماس-ELLEN THOMAS لتهدئتها وإعادتها إلى المنصة التى تركتها غاضبة كما تدخلت السيدة ليندا بل LINDA BELL ـ من مدينة سبنسر SPENCERبولاية إنديانا ـ لترضيتى..

والواقع أن هناك فرقا كبيرا بين حرية المرأة وتحررها.. فالمرأة الأمريكية تمارس الحرية ولكنها تحتاج فعلا للتحرر من بعض صور الظلم الاجتماعى الذى يحيق بها، رغم تلك الحرية الواسعة التى تتمتع بها فى مجال العلاقات الشخصية.

فمنظمة حقوق المرأة الأمريكية تلهث وراء المزيد من الحرية الشخصية بينما تكافح المرأة المصرية من أجل التحرر.. ولذلك تتمتع المرأة المصرية بالكثير من الحقوق التى مازالت المرأة الأمريكية محرومة منها..

فالمرأة المصرية لا تهتم بالمساواة الكاملة بالرجل فى الحرية الشخصية، لأنها تدرك ـ بذكائها الفطرى ـ أن حدود هذه الحرية ترسمها التقاليد والقيم الدينية والاجتماعية.. ولذلك استطاعت أن تحقق لنفسها المساواة بالرجل فى الأجر الواحد عن العمل الواحد، وهو الحق الذى مازلت المرأة الأمريكية تتطلع إليه.. إذ أن هناك تفرقة فى المعاملة بين الرجل

والمرأة اللذين يؤديان نفس العمل، ولكن ليس بنفس الأجر. فأجر المرأة الأمريكية يقل عن أجر الرجل الذى يقوم بنفس العمل بقدر يزيد على الثلث..

ولعل حرية المرأة فى العلاقات الشخصية هى التى تجعل الشركات والمؤسسات تحجم عن شغل وظائفها الإدارية العليا بالنساء.. فعلاقات العمل متشابكة وقد تفسدها حرية المرأة فى العلاقات الشخصية..

وينتشر بين عدد كبير من النساء المتحررات فى أمريكا نظام الزواج بالمعاشرة. وهذا النظام ليس انحلالا يتيح حرية العلاقات الجنسية، إنه زواج قائم على اتفاق الطرفين وإعلانه بين الناس جميعا دون اتخاذ أية إجراءات قانونية أو دينية.. ولايطلق على الرجل وصف «الزوج» بل «الرفيق BOYFRIEND» كما يطلق على المرآة إسم «الرفيقة GIRLFRIEND». ولا تفقد المرأة اسمها، وتكون لها ذمتها المالية المستقلة..

وفى السبعينات تضاعف عدد الرجال والنساء الذين يمارسون نظام الزواج بالمعاشرة إلى ثلاثة أضعاف تقريبا ونتيجة لذلك زاد عدد الأطفال المولودين لأمهات غير متزوجات رسميا، حتى بلغ عددهم فى نهاية الثمانينات مليون طفل سنويا، أى بنسبة ٢٥٪ من العدد الكلى للمواليد فى أمريكا..

وأذكر يوم التقيت بالطالبة كيتى فرانكلين، KITTY FRANKLIN كانت سعيدة وهى تبلغنى أن والدتها قد اقتنعت أخيرا بمخاطر الزواج الرسمى والتخلى عنه، وممارستها الزواج بالمعاشرة..

وقد كان هذا النظام ـ الزواج بالمعاشرة ـ مطبقا حتى وقت غير بعيد فى بعض المجتمعات الأوربية.

والواقع أن الدوافع لانتشار هذا الشكل من الزواج هى فى غالبيتها إقتصادية، فتكاليف الزواج والطلاق باهظة، بالإضافة إلى خسارة أحد الزوجين لنصف أمواله عند الطلاق، حيث يحصل عليها الزوج الآخر.. تطبيقا لنظام تقسيم الأموال المشتركة بين الزوجين بالتساوى..

وعند تقديم الإقرارات الضريبية، يقدم الزوجان إقرارا ضريبيا واحدا، وبالتالي لا يتمتعان بالإعفاء من دفع الضريبة إلا عن مبلغ الثمانية آلاف دولار ـ وهو حد الفقر في المجتمع الأمريكي ـ أما الرفيقان، فيقدم كل منهما إقراره الضريبي منفردا، وبذلك يتمتع كل منهما بحد الإعفاء ـ الثمانية آلاف دولار الأولى ـ أي أنهما يستفيدان من إعفاء ضريبي بقدر ستة عشر ألفا من الدولارات.. وكان ذلك نتيجة لما قام به الكونجرس ـ مجلس النواب ـ الأمريكي بتعديل قوانين الضرائب، بتخفيف العبء عن الأفراد غير المتزوجين، وزيادته بالنسبة للمتزوجين !!..

وبذلك أصبحت الضريبة المفروضة على الدخل السنوى المشترك للزوجين تزيد على تلك التى يلتزمان بها لو كانا غير متزوجين بفارق ٢٣٦ دولاراً إذا كان الدخل المشترك خمسة عشر ألفا من الدولارات وبفارق ٣٦٥ دولاراً إذا كان الدخل المشترك عشرين ألفا من الدولارات، وبفارق ٥٣٥ دولاراً إذا كان الدخل المشترك خمسة وعشرين ألفا من الدولارات، وبفارق ٧٨٥ دولاراً إذ كان الدخل المشترك ثلاثين ألفا من الدولارات.. وهكذا.

ويطالب الأمريكيون بالغاء هذه الضريبة الظالمة..

ومع ذلك، غالبا ما يتحول الزواج بالمعاشرة إلى زواج رسمى، إذا استمرت الحياة المشتركة بينهما بنجاح لأكثر من سنة، أو إذا أنجبا طفلا..

وهناك بعض مظاهر الاختلاف بين المرأة الأمريكية والمرأة المصرية.. منها أن الأولى تستعمل يديها وشفتيها للتعبير عن مشاعرها نحو الرجل، فى حين تجيد المرأة المصرية التعبير بنظرات عينيها.. ولفتاتها الرشيقة..

فإذا إمتدح رجل امرأة أمريكية أو أثنى على جمالها وأنوثتها عبرت عن امتنانها لهذا المديح بيديها تعانقانه ويشفتيها تقبلان وجنتيه أو شفتيه ـ حسب طبيعة العلاقة بينهما ـ أما المرأة المصرية فإنها تنظر إليه بجانب عينيها وحركة من رموشهما لتنقل إليه نفس المعنى بالامتنان الذى عبرت عنه المرأة الأمريكية بالعناق والقبلات..

والمرأة الأمريكية تتميز بجمال عينيها، ولكن المرأة المصرية تتميز بسحرهما.. وبتلك القدرة الفائقة على التعبير عن المعانى الكثيرة التى لا تريد أن ينطق بها لسانها.. كما تتميز المرأة المصرية بخفة الدم والجاذبية دون حاجة إلى كشف بعض أجزاء جسمها..

وتتخذ المرأة المصرية من مطبخها وقدراتها على إعداد الطعام رأس الجسر فى إثباتها لوجودها.. فهى ملكة هذا الجزء من المسكن ومنه تستطيع أن تمد سلطانها بسهولة إلى حجرة أخرى.. وإلى سائر أجزاء المسكن.. فى حين تفتقد المرأة الأمريكية نقطة الارتكاز هذه، التى يمكن أن تنطلق منها لإثبات وجودها وتحررها الحقيقى.. فتناول الطعام فى المنزل ـ وخاصة وجبة الغذاء ـ نادر عند غالبية الشعب الأمريكى، لأن تناوله فى المطاعم الخارجية لا يكلف كثيرا، كما أن درجة جودته ونظافته عالية جدا، على خلاف بعض المطاعم الخارجية فى مصر، والتى تغالى كثيرا جدا فى أسعارها دون مراعاة الجودة المطلوبة..

الفصل الثانى عشر

أنا أختار زوجى ..
لذلك أدفع المهر

أنا أختار زوجى .. لذلك أدفع المهر

رن جرس التليفون، فاستأذنت ضيوفى الذين بدأوا يتواجدون بالساحة الخارجية مع بداية فصل الصيف. كانت المتحدثة سيسيليا ـ المشرفة الاجتماعية على طالبات الدراسات العليا المقيمات فى مبنى أيجنمان EIGENMANN.

جاءنى صوتها الرقيق

= عادل، معى ثلاث طالبات يعانين الشعور بافتقاد الأسرة والوطن، هل يمكننى الحضور معهن لقضاء المساء مع أسرتك لعل ذلك يساعدهن كثيرا..

= على الرحب والسعة..

وقبل مضى نصف ساعة، كانت سيسيليا ـ وبصحبتها ثلاث فتيات ـ تخطو على الممر الحجرى إلى ساحة مسكننا. وقفنا ـ أنا والسيدة زوجتى ـ لاستقبالهن والترحيب بهن..

تقدمت سيسليا وصافحتنى، ثم صافحت السيدة زوجتى، بعد أن قدمت كلا منهما إلى الأخرى. ثم التفتت وقدمت لنا الفتاة الأولى التى كانت تتقدم زميلتيها فى خطوات ثابتة وقوام منتصب ورأس مرفوع، يلتف حول جسدها الممشوق سارى هندى أحمر اللون..

= الأميرة رانيا RANIA من إحدى الإمارات الواقعة عند جبال الهيمالايا بشمال الهند.

ضمت رانيا كفيها وقربتهما إلى صدرها وهى تحنى رأسها تحية، ثم أفسحت مكانها لزميلتيها..

قدمت سيسيليا الفتاة الثانية التى كانت تضع أيضا ذلك السارى الهندى بألوانه المزركشة..

= ديبا DEEPA من الهند

ضمت ديبا كفيها ورفعتهما إلى ما تحت ذقنها، وأحنت رأسها تحية..

ثم قدمت سيسيليا الفتاة الثالثة التى كانت ترتدى سروالا واسعا أبيض، يعلوه رداء أخضر حتى ركبتيها.

= وسيمة WASIMA من باكستان

قالت بلغة عربية وهى تمد يدها مصافحة

= السلام عليكم

ابتسمت رانيا وقالت فى مرح

= يبدو أننا ـ ديبا وأنا ـ الوحيدتان اللتان لم تمدا أيديهما للمصافحة..

قالت زوجتى وهى تبتسم

= لاحظت ذلك.

فاستطردت رانيا

= إن تقاليدنا تحرم على المرأة ـ خاصة المتزوجة ـ أن تلمس بيديها رجلا آخر، لذلك نكتفى فى تحيتنا بضم الكفين مع انحناءة خفيفة من الرأس..

تضاحكت وأنا أقول متسائلا

= وكيف لنا أن نفرق بين الاثنتين ؟!..

أجابت رانيا

= إننى متزوجة، ويمكن ملاحظة الفرق بينى وبين الآنسة ديبا من هذا اللون الأحمر على مفرق شعر رأسى، وهذه الأساور الزجاجية الملونة ـ الحمراء والخضراء ـ التى وضعت حول معصمى عند الزواج..

نظرت ديبا إلى الأميرة رانيا وقالت فى غير مرح..

= عندما ألتقى بالرجل المناسب، سأتقدم إلى أسرته طالبة الزواج منه، وعندئذ لن يكون هناك فرق بينى وبينك..

سألتها فى دهشة

= من الذى يتقدم يطلب الزواج، أنت أم الرجل ؟!..

= أنا طبعا، فطبقا لتقاليدنا، الفتاة هى التى تطلب الزواج من الرجل الذى تختاره، ولذلك فهى تدفع المهر ثمنا لحق الاختيار..

قلت مداعبا..

= وهل يستطيع أن يرفض!.

إستمتعت الطالبات الثلاث بالأمسية الاجتماعية التى استمرت حتى منتصف الليل. وقبل أن تخطو ديبا خارج الساحة التفتت إلى زوجتى متسائلة..

= هل يمكن أن نزوركم مرة أخرى؟

أجابتها زوجتى بابتسامتها الحانية المضيافة

= إننا نرحب بكن فى كل وقت.

وترددت رانيا ودبيا ووسيمة على أمسيات الساحة كلما إعترى إحداهن الشعور بافتقاد الأهل والوطن..

وعندما نظم إتحاد الدراسين المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا إقامة ليلة مصرية فى مدينة بلومنجتون، دعى إليها أكثر من ثلاثمائة شخص من أساتذة الجامعة والعاملين بها والأصدقاء، كانت الطالبات الثلاث من بين المدعوين.

انتشر الضيوف حول أطباق الطعام المصرى برائحته التى تستثير الشهية، وقد كتب أمام كل منها اسمه دون ذكر مكوناته. وكان المصريون يتنقلون بين ضيوفهم ـ من المعارف والأصدقاء ـ يرحبون بهم. وعندما اقتربت من الأميرة رانيا قالت فى مرح..

= لقد أحببت جداً البامية المصرية. هل يمكن أن أعرف مكوناتها التى تجعل لها هذا المذاق اللذيذ؟..

أجبتها فى بساطة

= بامية خضراء ولحم ضأن مفرى وصلصة طماطم.

لم أكد أتم إجابتى حتى لاحظت امتقاع وجه رانيا وترنحها.. مدت يدها تستند الىّ وهى تقول فى صوت خافت .

= أرجو أن تقودنى بسرعة إلى الحمام

وهناك أفرغت كل ما فى جوفها من طعام.. ثم غلست يديها وفمها عدة مرات.. وعندما أبديت قلقى عليها قالت فى اعتذار .

= كان يجب أن أخبرك أننا لا نأكل اللحم إطلاقا..

قلت.

= كنت أظن أن التحريم قاصر على لحم البقر.



صورة تذكارية للعميد دكتور داولنج وسط مجموعة كبيرة
من الطلبة الأجانب وبجانبه الدكتور فاروق عبد الوهاب

الفصل الثالث عشر

من قال لا أعرف ..
فقــــد أفتـــــى

من قال لا أعرف فقد أفتى

«من قال لا أعرف، فقد أفتى» .. قاعدة يؤمن بها الأمريكيون ويعملون بها أيضا.. وقد أوجدتني هذه المقولة في حرج شديد ـ لبعض الوقت ـ عندما تحدثت يوما فيما ظنوا أنني لا أعرفه..

كنت أحد المدعوين إلى منزل الدكتور وليام برينين DR.W.BRENNAN لتناول الطعام بمناسبة عيد الشكر. فالأمريكيون يفضلون كثيرا أن يشاركهم بعض الأجانب في احتفالهم ذلك اليوم، كما فعل أجدادهم في أول احتفال بعيد الشكرعام ١٦٢١ بدعوة الأمريكيين الهنود، المعروفين في مصر باسم الهنود الحمر..

كان الديك الرومي يتوسط المائدة قبل أن يأخذه الدكتور برينين إلى المطبخ لتقطيعه واعداده والفصل بين اللحم الأبيضLIGHT MEAT واللحم الأحمر DARK MEAT حتى يختار كل واحد من المدعوين مايفضله..

وبعد تناول الطعام جلسنا جميعا في شبة دائرة نتجاذب أطراف الحديث. كان المدعوون من مصر والمملكة العربية السعودية. أبدت إحدى بنات الدكتور برينين الخمس ملاحظة عن حديثي باللغة الإنجليزية، فعقبت عليها السيدة زوجتي بقولها أنني كنت في مدرسة إنجليزية طوال دراستي الابتدائية والثانوية. وتلى ذلك مناقشة حول اللغة الأمريكية..قلت.

= إن اللغة الإنجليزية قد اختيرت لغة رسمية للولايات المتحدة الأمريكية بمعرفة الكونجرس بفارق صوتين فقط أكثر من الأصوات التى أعطيت لصالح اللغة الألمانية.

نظرت الفتيات الخمس إلى والدهن في تساؤل عن صحة هذه الواقعة التى ذكرتها.. فقال في بساطة... إنه لايعرف!..

وفوجئت بعيون الفتيات الخمس تتجه نحوى في شك وعدم ثقة تطالبنني بتفسير ما قلته وأنكر والدهن ـ الأستاذ بالجامعة ـ العلم به.. وأسقط في يدى ، فإنه من الصعب أحيانا أن يتذكر المرء مصدر معلوماته.. وبقيت صامتا لا أدرى ما أقول. وفجأة التفت

الجميع نحو الجد ـ والد الدكتور برينين ـ الذى كان يجلس مسترخيا فى مقعده ورأسه مسندا إلى الخلف، بعد وجبة دسمة.. كان يشير بأصبع يده نحوى وهو يقول..

= إنه قد قال الصدق، فقد حدث ذلك فعلا فى التصويت على الاختيار بين اللغتين الإنجليزية والألمانية..

وعادت عيون الفتيات الخمس تطل منها معانى الاعتذار عما جال فى خواطرهن نحوى.. سألتنى إحداهن وهى معروفة بتدينها الشديد مثل والدها، ومثل غالبية شعب أيرلندا.

=ما الفرق بين المسحية والإسلام؟

قلت مبتسما، فقد بدا واضحا أننى قد استرددت ثقتها..

= سمعت نفس هذا السؤال يوما توجهه إحدى السائحات إلى مرشدها السياحى فى المتحف المصرى بالقاهرة، وقد أجابها بقوله أن هناك فرقا واحدا بسيطا بينهما هو تحديد شخصية السيد المسيح.. هل هو إله، كما يقول المسيحيون، أم أنه نبى عظيم كما يقول المسلمون؟!

سألتنى فى اهتمام

= وما رأيك أنت؟..

قلت

= سأقول لك رأيى طبقا لما جاء بالاناجيل

قالت وهى تعتدل فى جلستها لتواجهنى

= هذا رائع، لأننى سأستطيع متابعتك فى كل ما تقول..

قلت..

= كان السيد المسيح يدعو نفسه دائما بابن الإنسان ولم يقل أبدا أنه ابن الله..

اعترضت الفتاة..

= قال ذلك مرة واحدة لأحد تلاميذه سرا وطلب منه عدم إعلان ذلك لأحد

قلت..

= لعل ذلك ـ إذا كان قد حدث ـ أدعى بنا ألا نصدق ذلك الراوى أو نثق به.

قالت بسرعة فى شبه احتجاج.

= إنه بطرس الذى قال له السيد المسيح.. أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى.. وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات، وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات..

قلت..

= قرأت لبعض الكتاب الأمريكيين المتخصصين أنه قد ثبت علميا أن هذه الكلمات قد أضيفت فى القرون الوسطى لأسباب سياسية، بقصد سيطرة الكنيسة الكاثوليكية فى روما، وبالتالى بابا الفاتيكان، على العالم بصفته خليفة بطرس*.

قالت فى تردد

= لا علم لى بذلك.

قلت

= قال بطرس يوما للسيد المسيح «ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك فماذا يكون لنا» التفت السيد المسيح وقال لبطرس «اذهب عنى ياشيطان أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله ولكن بما للناس» (١).. وفى صيغة أخرى.. «فانتهر السيد المسيح بطرس قائلا اذهب عنى ياشيطان لأنك لاتهتم بما لله ولكن بما للناس» (٢) كما قال له أيضا.. «قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات» (٣) فهل كان من الممكن ـ والمقبول عقلا ـ أن يختاره السيد المسيح ليودعه سرا هائلا مثل ذلك، بعد أن وصفه بأنه شيطان لايهتم بما لله؟

قالت بعد صمت دام لحظات

= لقد ندم بطرس على إنكاره للسيد المسيح

قلت

= لعلك تذكرين ما قاله السيد المسيح.. «أقول لكم كل من اعترف بى قدام الناس يعترف به ابن الإنسان قدام ملائكة الله. ومن أنكرني قدام الناس ينكر قدام ملائكة الله..»(٤)..

قالت

= إن يوحنا المعمدان قد شهد بأن المسيح ابن أنا الله عندما جاء من الجليل إلى الأردن، إلى يوحنا ليعتمد منه، ولكن يوحنا منعه قائلا.. «أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إلى!» (٥)..

قلت موضحا

= إن لقاءهما عند نهر الأردن ـ كما روته الأناجيل الأربعة ـ يتعارض مع ما جاء بشأنهما فيها ـ فالسيد المسيح ويوحنا المعمدان ـ ابن زكريا ـ لم يلتقيا قط.. لأنه بعد أن قبض على يوحنا وأودع السجن ـ وبعدما أُسلِمَ يوحنا ـ جاء السيد المسيح إلى الجليل ببشارة اقتراب ملكوت الله، ويقول أنه قد كمل الزمان واقتربت ملكوت الله.. (٦). ولما سمع يوحنا وهو في السجن بأعمال السيد المسيح أرسل إليه اثنين من تلاميذه ليقولا له.. «أنت هو الآتي أم ننتظر آخر..» (٧) ولم يفرج عن يوحنا حتى طلبت إبنة الملكة هيروديا رأس يوحنا المعمدان على طبق فأرسل الملك سيافا وأمر بأن يؤتى برأسه، فمضى وقطع رأسه في السجن (٨).. بل إن الملك هيرودس، لما سمع ببشارة السيد المسيح قال أن يوحنا المعمدان قام في الأموات (٩).. وهذا الكلام كله من الأناجيل نفسها..

قالت في تساؤل

= لقد جرت على يدى السيد المسيح معجزات كثيرة ؟

قلت

= كان السيد المسيح يصلى إلى الله ليمنحه القوة ليفعل تلك المعجزات وكان دائما يصلى.. فهو يمضى إلى موضع خلاء ليصلى هناك.. وكان يعتزل في البرارى ويصلى..(١٠).. وكان يمضى اليوم كله في الصلوات لله.. (١١). فهل كان يصلى لنفسه أو لله، كما جاء في إنجيل لوقا؟!.

وران الصمت لحظات قبل أن أستطرد..

= كان السيد المسيح واضحا في تعاليمه.. إنه مجرد رسول من الله، ولذلك كان يردد دائما.. «من يقبلني يقبل الذى أرسلني» (١٢).. «والذى يرذلني ـ يرفضني ـ يرذل الذى أرسلني..» (١٣).. «ومن يقبلني فليس يقبلني أنا بل الذى أرسلني»(١٤).. وكان السيد المسيح يؤكد دائما أنه إنسان يتكلم بالحق الذى سمعه من الله (١٥)«لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذى أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم» (١٦)و.. «لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون بأعمال ابراهيم. ولكنكم الآن تطلبون قتلي، وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذى سمعه من الله» (١٧)..

تساءلت ابنة الدكتور برينين

= هل تريد أن تقول أن السيد المسيح نفسه كان يعلم أنه رسول فقط وليس ابن الله ؟!.

قلت موضحا

= لست أنا الذى أقول ذلك، بل الأناجيل ذاتها بما ورد فيها.. فقد كان يردد أنه جاء «ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذى أرسلني» (١٨).. وقال في صلاته أن «الكلام الذى أعطيتني قد أعطيتهم، وهم قبلوا وعلموا أني خرجت من عندك وآمنوا أنك أرسلتني(١٩)... «فرفعوا الحجر حيث كان الميت موضوعا ورفع يسوع عينيه إلى فوق وقال أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لي. وأنا علمت أنك في كل حين تسمع لي ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا انك أرسلتني» (٢٠)..

سألتني

= ما الرأى في الثالوث المقدس ؟

قلت..

= فكرة الثالوث ـ أى التعدد ـ تتعارض مع الإيمان بالله الواحد. وقد جاء واحد من الكتبة إلى السيد المسيح وسأله.. «أية وصية هى أول الكل ؟» فأجابه السيد المسيح قائلا «أن أول الوصايا هى «إسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا إله واحد، هذه هى الوصية الأولى(٢١).. وسأله «أيها المعلم الصالح..» فقال له السيد المسيح «لماذا تدعوني صالحا،

ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله» [٢٢] ..وقد قال لتلاميذه « .. لا تدعوا لكم أبا على الأرض لأن أباكم واحد هو الذى فى السموات» [٢٣] ..

قالت

= لقد جاء السيد المسيح بملكوت الله

قلت معترضا

= لا، إنه جاء يبشر باقتراب ملكوت الله.. «قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله»[٢٤]وقال لتلاميذه «إكرزوا قائلين أنه قد اقترب ملكوت السموات» [٢٥] ..

سألتنى

= وهل هناك فرق؟

قلت

= لكى نعرف الفرق، يجب أن نعرف أولا معنى كلمتى «ملكوت الله»

تساءلت وعيناها تتجهان نحو والدها

=هل لهاتين الكلمتين معنى خاص؟..

قلت فى تأكيد

= نعم.. فملكوت الله تعنى ببساطة «مملكة الله»، أى أن يحكمها الله بقوانينه ، حتى يمكن أن نطلق عليها اسم «مملكة الله».. فالسيد المسيح كان يبشر باقتراب نزول قوانين الله التى تطبق فى مملكته أى «ملكوت الله»..

سألتنى فى إهتمام

= هل تعنى أن ملكوت الله ستأتى بعد السيد المسيح؟!..

قلت

= نعم.. والمثير للدهشة أن السيد المسيح قال لتلاميذه صراحة.. «أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره» [٢٦] ..

أطرقت برأسها لحظات قبل أن تسألنى

= هل تتعارض المسيحية مع الإسلام؟..

قلت

= الأصح أن يكون السؤال.. هل تتعارض تعاليم السيد المسيح مع تعاليم الإسلام؟.. والإجابة واضحة تماما بالنفى، لأن مصدرهما واحد.. ولعل أبسط مثال لذلك هو تحية السلام.. فقد كان السيد المسيح يعلم تلاميذه قائلا.. «حين تدخلون البيت سلموا عليه..»(٢٧).. وأى بيت دخلتموه فقولوا أولا سلام لهذا البيت» (٢٨).. «وعندما لاقاهما السيد المسيح قال سلام لكما» (٢٩)..

وكذلك الصلاة الربانية التى طالب السيد المسيح تلاميذه وتابعيه أن يرددوها قائلين «أبانا الذى فى السموات، ليتقدس اسمك، لتأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض، خبزنا الذى يكفينا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا، ولاتدخلنا فى تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد.. آمين» (٣٠).. وهذه تماثل تماما تعاليم الإسلام، لأننا نعبد إلها واحدا.

تساءلت فى اهتمام

= كيف يكون ذلك.وأنتم تقولون دائما أنكم تعبدون «الله»، بينما نحن نعبد الإله GOD ؟!

ابتسمت

= إنكم تستعملون الترجمة الإنجليزية لكلملة «الله»

= إذن لماذا تتمسكون فى حديثكم باللغة الإنجليزية بكلمة «الله» وليس ترجمتها الإنجليزية GOD ؟!

قلت

= لأن «الله» هو الاسم الوحيد الذى ليس له مثنى أو جمع ـ فالإله جمعه آلهة.. والرب جمعه أرباب وGOD جمعه GODS ـ مما يؤكد معنى التوحيد..

سألتنى إحدى أخواتها

= هل تؤمنون بان السيد المسيح قد ولد من العذراء مريم بكلمة من الله

قلت

= نعم..

وأضافت السيدة زوجتى

= لقد جاء بالقرآن الكريم فى سورة آل عمران.. «يامريم إن الله قد اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين.. يامريم إن الله يبشرك بكلمة منه إسمه المسيح عيسى ابن مريم..»

سألتنى ثانية

= هل تؤمنون بأنه قد صلب

قلت بسرعة

= لا.. «وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم».. وإذا راجعنا ما جاء فى الأناجيل خاصا بذلك نجد الآتى الذى يتفق تماما مع الآية القرآنية التى ذكرت الآن ترجمتها باللغة الإنجليزية..

أولا: أن يهوذا الإسخريوطى ـ التلميذ الخائن ـ عندما عرض على الكهنة اليهود أن يسلمهم السيد المسيح.. «فرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة فواعدهم..» (٣١).. وعندما جاءوا ليلقوا القبض على السيد المسيح كانوا لا يعرفون قسمات وجهه، فسألوا يهوذا كيف يعروفونه ليقبضوا عليه!. فقال لهم.. الذى أقبله هو هو فامسكوه.. وعندما جاء يهوذا الخائن إلى السيد المسيح قبله على خده.. فقال له يعاتبه «يايهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان؟ (٣٢) عندئذ شعر يهوذا بالندم لخيانته لسيده.. وعندما هجموا للقبض على السيد المسيح.. تركه تلاميذه كلهم وهربوا، وتبعه شاب لابسا إزارا على عريه وأمسكه الشبان» (٣٣)..

ثانيا: عندما سألوا المقبوض عليه.. «إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم. إن قلت لكم لا تصدقون» (٣٤).. ولما سألوه.. أفأنت ابن الله فقال لهم أنتم تقولون أنى أنا هو.. (٣٥). ولما سأله الوالى بيلاطس قائلا.. أنت ملك اليهود، فأجابه وقال.. أنت تقول. (٣٦).. وذلك لأن المقبوض عليه لايستطيع أن يجيب بنعم أو لا.. وإذا قال لهم حقيقتة، فلن يصدقوه.. وكذلك كانت إجابته ردا على سؤال قيافا رئيس الكهنة.. (٣٧).

ثالثا: عندما بحث الكهنة عن يهوذا الخائن ليدفعوا له الثلاثين من الفضة ثمن خيانته لم يجدوه، فاشتروا بالمبلغ قطعة أرض سميت بحقل الدم..

سألتني في اهتمام

= هل تريد أن تقول أن يهوذا الإسخريوطي هو الذى صلب وليس السيد المسيح؟!..

قلت

= ألا توحي إليك تلك الكلمات المتناثرة في الأناجيل بهذا المعنى؟ إن يهوذا الخائن لقي جزاء خيانته فورا واستسلم لقدره الذى استحقه، لذلك كان قوله لهم أنهم لن يصدقوه إذا أخبرهم عن نفسه..

سألتني إحداهن

= وأين ذهب السيد المسيح بعد ذلك؟

قلت

= لقد رفع إلى السماء حيا.

وتبادلت الفتيات الخمس النظر، وبعد صمت لم يدم طويلا قالت الأولى..

= إننى سأعيد قراءة الإنجيل من خلال ما ذكرته لنا الآن..

لم يغضب أحد ولم يرتفع صوت خلال المناقشة التى استغرقت وقتا طويلا.. فالأمريكيون يحبون العلم والمعرفة ويسعون إليهما ما دامت تخاطب عقولهم.. ولذلك لم أدهش كثيرا عندما التقيت بالدكتور برينين بعد ذلك مصادفة وقال لى.

= إن بناتى ينتظرن الدرس التالى..

وقد أسعدنى إهتمام الدكتور برينين وزوجته بالحضور إلى حفل الاستقبال الذى أقيم لى فى نهاية شهر يوليو سنة ١٩٨٢ بمنزل الصديق داڤيد سيرDAVD SARE. وكذلك حرصهما الشديد على أن نلتقى بهما ـ أنا والسيدة زوجتى، خلال زيارتنا الأخيرة لأمريكا ـ فى الليلة الوحيدة التى قضياها فى بلومنجتون، قبل سفرهما إلى ألمانيا لزيارة إحدى بناتهماهناك..

بـيان الهوامش

* لم تستطع كلتا الأمبراطورية البيزنطية والخلافة العربية الإسلامية أن تسيطرا علي إيطاليا، ولذلك بقيت تحت الحكم الروماني..

ومنذ عام ٥٠٠ م . بدأت أوربا الغربية تدخل فى عصور الظلام ولكن تنظيما واحداً كان ذا صلة بالحضارة القديمة استطاع البقاء فى الغرب.. هى الكنيسة المسيحية الرومانية..

وانتشرت الرهبنة بين الرجال والنساء والأديرة التى تحميهم من مجتمع العنف الذى كان يحيط بهم فى كل مكان تحت سيطرة البرابرة الجرمان والكلت. وكان جميع الأساقفة ورؤساء الأديرة والرهبان يتطلعون بكل تقدير إلى روما حيث استشهد بطرس التلميذ الأول للسيد المسيح.. وبدأ أسقف روما يراسل الأساقفة الآخرين ويرسل المبعوثين إلى بعض البلاد، ويدلى برأيه ونصائحه كلما أمكنه ذلك، محاولا جهده أن يحافظ على اللغة اللاتينية والعالم اللاتينى القديم..

وعندما لم يعد هناك إمبراطور فى روما، سيطر أسقف روما على الحكم فيها وبدأ ينشر سلطته على جميع المسيحيين الغربيين ويخضعهم لسلطاته الروحية والمدنية السياسية.. وبهذا نشأت السلطة البابوية فى روما.. ودعموها بآيتين فى الإنجيل بأن السيد المسيح قد اختار بطرس رأسًا للكنيسة معطيًا إياه مفاتيح مملكة السماء وأن ما يربطه على الأرض يكون مربوطا فى السماء. ولما كانوا يعتبرون أنفسهم خلفاء للتلميذ بطرس، فقد ورثوا عنه تلك السلطة الروحية التى أعطيت له.. وظل هذا المبدأ كحقيقة تاريخية من القرن الثامن إلى القرن الخامس عشر الميلادى، عندما أكتشف عدم صحة تلك الآيات وتزويرها، ومع ذلك ما زالت فى معظم الطبعات الحديثة..

R.R. PALMER, A HISTORY OF OLD AND MODERN WORLD, NEW YORK 1957 p. 19

١ـ إنجيل متى ص ١٦ : ٢٣

٢ـ إنجيل مرقس ص ٨ : ٣٣

٣ـ متى ص ٢٦ : ٧٥ ويوحنا ص ١٣ : ٣٨

٤ ـ لوقا ص ١٢ : ٩,٨

٥ ـ متى ص ٣ : ١٤,١٣

٦ ـ مرقس ص ١ : ١٤,٤

٧ ـ متى ص ١١ : ٣,٢ ولوقا ص ٧ : ١٩ ، ٢٠

٨ ـ مرقس ص ٦ : ٢٥ ـ ٢٨ ومتى ص ١٤ : ١٠

٩ ـ مرقس ص ٦ : ١٤ ولوقا ص ٩ : ٧ ـ ٩

١٠ ـ مرقس ص ١ : ٣٥ ولوقا ص ٥ : ٦

١١ ـ لوقا ص ٦ : ١٢

١٢ ـ لوقا ص ٩ : ٤٨

١٣ ـ لوقا ص ١ : ١٦

١٤ ـ مرقس ص ٩ : ٣٧

١٥ ـ يوحنا ص ٨ : ٤٠

١٦ ـ يوحنا ص ١٢ : ٤٩

١٧ ـ يوحنا ص ٨ : ٣٩, ٤٠

١٨ ـ يوحنا ص ٦ : ٣٨

١٩ ـ يوحنا ص ١٧ : ٨

٢٠ ـ يوحنا ص ١١ : ٤١, ٤٢

٢١ ـ مرقس ص ١٢ : ٢٨ ـ ٣٠

٢٢ ـ مرقس ص ١٠ : ١٧ و١٨ ولوقا ص ١٨ : ١٩,١٨

٢٣ ـ متى ص ٢٣ : ٩ ويؤكد نص هذه الآية خطأ المترجم - بعلم أو بغير علم- بوضع كلمة «أب» مرادفا لكلمة «إله» ولعل تصحيح الترجمة يجعل الآية أقرب إلى العقل والمنطق.. «لا تدعوا لكم إلها على الأرض لأن إلهكم واحد هو الذى فى السموات».

٢٤ ـ مرقس ص ١ : ١٥

٢٥ ـ متى ص ١٠ : ٧

٢٦ ـ متى ص ٢١ : ٤٣

٢٧ـ متى ص ١٠ : ١٢

٢٨ ـ لوقا ص ١٠ : ٥

٢٩ ـ متى ص ٢٨ : ٩

٣٠ ـ متى ٦ : ٩ ـ ١٣ ولوقا ص ١١ : ٢ ـ ٤

٣١ ـ لوقا ص ٢٢ : ٣ ـ ٥

٣٢ ـ لوقا ص ٢٢ : ٤٨

٣٣ ـ مرقس ص ١٤ : ٥٠, ٥١

٣٤ـ لوقا ص ٢٢ : ٦٧

٣٥ ـ لوقا ص ٢٢ : ٧٠

٣٦ ـ لوقا ص ٢٣ : ٣ ومرقس ١٥ : ٢ ومتى ص ٢٧ : ١١

٣٧ ـ متى ص ٢٦ : ٦٣, ٦٤

الفصل الرابع عشر

لماذا نجحت أغنية شادية

«مصر اليوم فى عيد»

لماذا نجحت أغنية شادية
« مصر اليوم فى عيد »

كانت احتفالات عيد الاستقلال يوم ٤ يوليو سنة ١٩٨٩ ذات طابع خاص، فقد كان العلم الأمريكى موضوع قضية قومية ثارت بين الرئيس الأمريكى والمحكمة العليا، بعد أن أصدرت حكمها الذى قضى باعتبار واقعة حرق علم أمريكا فى ميدان عام بمعرفة أحد الأمريكيين جريمة سياسية وليست جريمة عادية يخضع مرتكبها لأحكام قانون العقوبات.

وقد قال الرئيس الأمريكى چورج بوش GEORGE BOSH معبرا عن احتجاجه على ذلك الحكم، أنه لايدرى ماذا يمكنه أن يقول لجنوده الذين يحاربون تحت لواء هذا العلم فى أنحاء الكرة الأرضية، وكيف لا يعاقب الرجل الذى أحرق علم ورمز البلاد..

وامتلأت الشوارع فى جميع المدن الأمريكية بالأعلام بأحجامها المختلفة. فقد صنعت منها كميات هائلة تم توزيعها مجانا فى كل مكان.. وكان عرض عربات الزهور على شكل العلم الأمريكى..كان الاحتفال بعيد الاستقلال مظاهرة قومية تأييدا لرئيس أمريكا ضد المحكمة العليا..

وقد اتخذ العلم الأمريكى أشكالامتعددة حتى استقر أخيرا فى شكله الحالى بشرائطه البيضاء والحمراء الثلاثة عشر ونجومه الخمسين على أرضية زرقاء.. وقد أتخذت النجوم رمزا للسماء، وتمثل كل نجمة إحدى الولايات الأمريكية، ويرمز اللون الأحمر إلى الوطن الأم ـ بريطانيا ـ يفصلون بينها بالشرائط البيضاء رمزا لانفصالهم عنها.. والشرائط البيضاء ترمز للحرية. ويرمز العدد الكلى للشرائط ـ البيضاء والحمراء إلى الثلاث عشرة مستعمرة التى تضمها الولايات المتحدة الأمريكية.. وتضاف نجمة رمزا لكل ولاية تضم للاتحاد..وتنظيما لذلك صدرفى ٤ أبريل سنة ١٨١٨ قانون جديد يحدد يوم ٤ يوليو لإضافة نجمة عن كل ولاية جديدة.

وفى سنة ١٩١٢ كان العلم يضم ٤٨ نجمة بعد انضمام ولايتى أريزونا ARIZONA ونيومكسيكو NEW MEXLCO . وفى عام ١٩٥٩ كانت النجمة التاسعة والأربعون بانضمام ولاية ألاسكا ALASKA ثم أكملت جزر هاواى HAWAII النجمة الخمسين فى عام ١٩٦٠.

ويهتم الأمريكيون جدا برفع علم بلادهم فى كل مكان، وأن يكون فى حالة جيدة تماما، ولذلك يصنعونه من مادة لا تؤثر فيها عوامل الطبيعة.. وقد شاهدت على حائط قاعة الاجتماعات بمبنى قسم الخدمة العامة للطلبة الأجانب، خريطة كبيرة جدا للعالم، وقد ثبتوا علما صغير الحجم لكل دولة فى مكان عاصمة تلك الدولة.. وكان طبيعيا أن تبحث عيناى عن علم مصر فوق القاهرة.. وقد ساءنى كثيرا أن لا أجده..

لحنى أحد المسئولين فسألنى

= ما شكل علم مصر الآن ـ حينذاك فى عام ١٩٧٧ ـ حتى نضعه فى مكانه الخالى؟

قلت فى صدق

= لا أدرى، فقد جرت عليه تغيرات كثيرة لم نستطع متابعتها..

وعندما جاء الأستاذ الدكتور عبد العزيز سليمان- رئيس جامعة المنصورة الأسبق ـ وزوجته السيدة الدكتورة سعاد أبو السعود ـ أمينة تنظيم المرأة بالاتحاد الإشتراكى فى ذلك الوقت ـ لزيارة جامعة إنديانا، واجتمعا بالمصريين المقيمين فى المدينة الجامعية، أخذت الدكتورة سعاد تروى لنا مدى سعادتها الغامرة عندما كانا فى دول شمال أوربا فى طريقهما إلى أمريكا، وارتفعت الأعلام المصرية ذات يوم فوق المحلات التجارية معلنة وصول المنتجات الزراعية المصرية من البصل والبطاطس..

سألتها

= ما لون الأعلام المصرية التى رفعت هناك؟

قالت

= الأعلام الخضراء طبعا..

سألتها بعد أن هدأت موجة التعليقات التى اشترك فيها جميع الحاضرين..

= بالمناسبة، ما شكل علمنا المصرى الآن ـ حينذاك فى عام ١٩٧٧ ؟.. لقد سألونى عن ذلك فى قسم الخدمة العامة للطلبة الأجانب، ولم أعرف الإجابة..

وتبينت ـ لدهشتي ـ أنهما أيضا لا يعرفان، رغم مكانهما من قمة التنظيم السياسى الحاكم فى ذلك الوقت..- عام ١٩٧٧

ودارت مناقشة بينهما وبين الدراسين المصريين وعائلاتهم حول ضرورة عودة علم مصر الأخضر بهلاله ونجومه الثلاثة البيضاء.. وأنه رمز استقلالها وحريتها ونضالها وسيادتها. لم يكن يوما علم فرد أو أسرة حاكمة. والعلم هو أعظم رمز وشعار للوطن. وقد افتقد الشعب المصرى التجاوب بينه وبين العلم المثلث الألوان الذى لحقت به عدة تغييرات حتى جهل الكثيرون ـ حتى من المسئولين ـ ترتيب ألوانه، أو ما يتوسطه من رسم..

كان علم مصر ـ خلال الحكم العثمانى ـ أحمر اللون وبداخله ثلاثة أهلة وثلاثة نجوم ـ وعندما أعلن استقلال مصر سنة ١٩٢٢، اختارت مصر علمها الأخضر يتوسطه هلال واحد وثلاثة نجوم بيضاء. وقد انتشر هذا العلم بين المصريين، لا يخلو منه بيت، ولاتمر مناسبة عامة أو خاصة لا يرفع فيها.. فقد كانت الرابطة بين العلم الأخضر والشعب المصرى قوية جدا.

كان لونه الأخضر رمزا لنضالنا ولأرضنا الخضراء وذكرى أول علم لجيش المسلمين سنة ٦٢٦م، عندما بسط النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) عمامته الخضراء متخذا منها علما لجيشه. وكان الهلال الأبيض رمزا لإيماننا وطهارتنا ولقيمنا الاجتماعية والأخلاقية الفاضلة، وكانت النجوم رمزا لحضارتنا التى أضاءت فى الظلام..

لقد حمله الشعب المصرى فى ثورته ضد الاحتلال الإنجليزى، وفى معاركه من أجل الدستور، وفى كفاحه ضد الاستعمار القديم والحديث وغطى به جثث شهدائه..

لقد كان علم مصر الأخضر بهلاله ونجومه البيضاء هو العلم الذى رفع على معسكر الجلاء فى الإسماعيلية يوم ١٨ يونية سنة ١٩٥٦، وقبلها بعشر سنوات، كان هو العلم الذى رفع فوق ثكنات قصر النيل بعد إنزال علم بريطانيا خضوعا لثورة الشعب فى فبراير سنة ١٩٤٦ وانتصارا لها.. وفوق مبنى هيئة قناة السويس فى مدينة بورسعيد عندما تم تأميم قناة السويس يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦. وكان هو العلم الذى خفق فوق أرض سيناء عندما انسحبت منها إسرائيل سنة ١٩٥٧.

وعندما طوى علم مصر الأخضر ليرتفع مكانه العلم الثلاثي الألوان ألغى اسم مصر ـ أجمل وأقدس اسم ـ رسميا، واستبدل باسم الجمهورية العربية المتحدة، إثر الوحدة التي تحققت مع سوريا سنة ١٩٥٨ ، ليكون العلم المثلث الألوان تتوسطه نجمتان خضراوان رمزا لهذه الوحدة منذ ١٠ أبريل سنة ١٩٥٨ . وعندما تحطمت الوحدة بعد سنوات قليلة، بقي العلم المثلث بنجمتيه لا يرمز لشيء..

لقد عم الفرح المصريين جميعا عندما عاد إلى مصر اسمها الخالد، اسم البلد الوحيد الذى ذكر فى التوراة والإنجيل والقرآن الكريم.

وقد رفعت النجمتان ووضع مكانهما النسر، ثم رفع النسر ووضع مكانه الصقر فى عهد الرئيس أنورالسادات، ثم أعيد النسر بشكل مختلف ـ فى عهد الرئيس حسنى مبارك..

فإذا كان الملاحظ أن المصريين تغمرهم الفرصة عند رؤيتهم لعلمهم الأخضر، فمن المهم جدا ـ لتقوية الشعور بالإنتماء للوطن الذى يرمز العلم إليه ـ أن تحترم علاقة الحب بين الشعب ورمز وطنه... هذه العلاقة التى تجعل قلبه يخفق عند رؤية علمه يرتفع عاليا باللون الذى يحبه، وبالصورة التى يعشقها.

لذلك دعا إلى عودته عدد من الكتاب، على رأسهم الأستاذ إحسان عبد القدوس ـ رحمه الله ـ والكاتب الكبير مصطفى أمين، والاستاذ صلاح منتصر وكثيرون غيرهم، الذين يدركون أهمية الرابطة بين الشعب والعلم.

إن البعض يعزو النجاح الساحق الذى لقيته أغنية «مصر اليوم فى عيد» التى قدمتها الفنانة العظيمة شادية فى احتفالات تحرير سيناء يوم ٢٥ أبريل سنة ١٩٨٢ ، ليس فقط إلى الكلمات واللحن والصوت الجميل، بل إلى الزى الأبيض والأخضر الذى ارتدته الفنانة القديرة شادية، وهى تشدو بأغنيتها الرائعة، والذى يرمز إلى علم مصر الأخضر ذى الهلال والنجوم البيضاء..

الفصل الخامس عشر

أمريكا جنـة الأغنياء

أمريكا جنة الأغنياء

أمريكا جنة الأغنياء.. جميع الإمكانيات والخدمات متاحة على أحسن وجه لمن يملك مقابل الحصول عليها.. ولذلك فإن هناك نصيحتيين لا يمكن أن يقولهما أمريكى لآخر.. أن يلجأ إلى المحكمة، أو أن يذهب إلى الطبيب أو المستشفى، إذا لم يكن خاضعا لأحد أنظمة التأمين الصحى.. فكلاهما ـ المحكمة والمستشفى ـ باهظ التكاليف إلى درجة العجز..

ليس هناك مجال للغش التجارى، والواقع أن القضاء الأمريكى يقوم بدور هام جدا فى المحافظة على المجتمع ضد محاولات العابثين بنظمه وقواعده التى استقرت مع الأيام..

وإذا عرض بالأسواق إنتاج جديد من إحدى السلع يرتفع ثمنها عن سعرها السابق، فإن المعروض القديم منها لا يسحب من السوق ولا يتغير ثمنه،بل يبقى بنفس السعر القديم المنخفض بجانب السلعة الجديدة ذات السعر الأعلى.. مما يدل على الذكاء التجارى، لأن المشترين سيتهافتون على شراء السلعة القديمة، قبل أن يضطروا لشراء السلعة الجديدة بثمنها المرتفع.. ويعتبر غشا تجاريا وضع السعر الجديد على السلعة القديمة..

وفى المناسبات والأعياد المختلفة لا ترتفع أسعار السلع المطلوبة استغلالا لحاجة الناس، بل يحدث العكس تماما، وبذلك يزداد الإقبال على شراء السلعة.. ففى عيد شم النسيم ـ عيد الربيع ـ ينخفض سعر البيض، بل وقد يحصل كل من يشترى بما تزيد قيمته على خمسة دولارات أو عشرة، على كرتونة بيض مجانا. وفى عيد الشكر THANKSGIV-ING تنخفض أسعار الديوك الرومية حتى يتاح لكل بيت أمريكى أن يتوسط أحدها مائدة الطعام فى ذلك اليوم.

والسعر المعلن للسلعة هو لأجودها، وضمان ذلك أن المشترى نفسه هو الذى ينتقى ويختار دون تدخل من البائع أو أحد العاملين لديه.

والسلعة المعيبة ـ من غير المواد الغذائية ـ تباع بحالتها بعد وضعها فى مكان خاص تحت عنوان «AS IS» ـ أى كما هى ـ موضحا على كل منها عيوبها تفصيلا، حتى يكون المشترى على علم بها، مما يستبعد شبهة الغش التجارى.. ويكون ثمن هذه السلعة منخفضا جدا بالنسبة للسلعة السليمة تماما..

ولعل أهم ما يميز المجتمع الأمريكى، ذلك الانتشار الواسع لاستعمال الشيك فى المعاملات.. فكل واحد يضع نقوده فى البنك. لأنه لاقيود ولا شروط* ولاحاجة لوساطة لفتح حساب فيه !.. ويصرف من أمواله المودعة بالبنك بموجب شيكات، فيحولها البنك إلى حساب المستفيدين منها، الذين يصرفونها أيضا بموجب شيكات..وعلى ذلك تبقى الأموال دائما فى البنوك حيث يمكنها أن تستثمرها لصالح التنمية الاقتصادية فى المجتمع..

والأمريكيون لا يفعلون ذلك إعتباطا، لأن البنوك تقوم بدور هام جدا فى الثقة التى يضعها الناس فيها.. فأنت تصرف الشيك فى دقيقة واحدة، وليس فى ساعة ونصف الساعة، كما فى بعض البنوك المصرية.. وإذا حدث زحام فى أى وقت ـ والزحام عندهم أن يقف أمام الشباك أكثر من خمسة أفراد ـ يفتح شباك ثان أو ثالث، وهكذا دون أى تأخير..

ويستلم كل صاحب حساب فى البنك كشفا شهريا بحسابه مبينا به أرقام الشيكات وتاريخها وقيمة كل منها وتاريخ سحبها، ومرفقا به تلك الشيكات نفسها ـ موقعا عليها ممن صرفت له ـ حتى يقوم بمراجعتها بنفسه وإخطار البنك فى حالة وجود أى خطأ، وحتى يمكن اتخاذ الإجراءات الضرورية فى وقت مناسب، أو أن يحتفظ بالشيك ـ فى بعض الحالات التى تستلزم ذلك ـ كمستند للسداد..

والأمريكى لايفكر أبدا فى إصدار شيك بدون رصيد، لأنه يعلم أنه بمجرد حدوث ذلك يبلغ اسمه إلى جميع البنوك والمحلات التجارية فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، التى ترفض بعد ذلك قبول شيكاته تماما..

وبالنسبة لغير الأمريكيين، تبلغ السفارات الأمريكية فى بلادهم لاتخاذ الإجراء اللازم لتحصيل قيمة الشيك، ومراعاة ذلك عندما يتقدم أحدهم للحصول على تأشيرة دخول لزيارة أمريكا بعد ذلك، حيث يكون شخصا غير مرغوب فيه لإساءته للمجتمع الأمريكى بارتكابه جريمة نصب تؤثر على الثقة الواجبة للتعامل بالشيك..

والرجل الأمريكى ـ فى أى موقع عمل ـ يعرف تماما أنه مجرد ترس صغير فى إحدى العجلات الضخمة التى يدور بها الاقتصاد الأمريكى.. وقد قال لى چيم JIM ـ ميكانيكى

* ولكن هناك نوعا من الرقابة على الشيكات التى تبلغ قيمتها عشرة آلاف دولار فأكثر.

السيارات بمدينة بلومنجتون بولاية إنديانا ـ عندما سألته يوما عن السبب في إتجائه إلى تركيب الجديد من قطع الغيار للسيارة دون محاولة إصلاحها، رغم إمكان ذلك..

قال چيم..

= إننى عندما أضع إحدى قطع الغيار الجديدة في سيارتك، يعنى ذلك أن الوسطاء التجاريينDEALERS يعملون، وبالتالى يقوم المصنع بالإنتاج ـ تبعا لاستهلاك منتجاته ـ وإتاحة فرص العمل للكثيرين بعد ذلك. فالعمال يصرفون أجورهم لشراء المنتجات المختلفة ولقضاء إجازات نهاية الأسبوع خارج محال إقامتهم.. فتنتعش المطاعم والفنادق والموتيلات والمناطق السياحية ويزيد إستعمال وسائل المواصلات المختلفة من الطائرات والسيارات والقطارات.. وهذا يعنى فرص عمل أكثر وأجورا أكبر تزيد من قدرة دوران العجلةالاقتصادية..

وصناعة السياحة في أمريكا من أهم النشاطات الاقتصادية.. في البلاد، ويعمل بها حوالى ٣٥٪ من مجموع العمالة الأمريكية.. ويعود انتشار السياحة الداخلية في أمريكا وازدهارها إلى انتشار الفنادق والموتيلات بأجور إقامة مناسبة جدا بعيدة عن الاستغلال، وعدم رفع أسعار وجبات الطعام بمقولة أنها مناطق سياحية وأسعار سياحية ! ولذلك كانت في متناول الجميع..

ومصر تستطيع جذب عشرات – بل مئات الألوف من الأمريكيين لو أمكن القضاء على الاستغلال بصوره المختلفة في صناعة السياحة.. وتوفير مكان الإقامة المناسب لقدرات غالبية الشعب الأمريكى من الموظفين والعمال والطلبة.. وإلغاء تلك النظرة إليهم ـ التى تتسم بالغباء ـ على أنهم جميعا من أصحاب الملايين..

ويمكن الإستفادة من بعض النظم التى تطبقها دول أوربا الشرقية ـ مثل بلغاريا والمجر ـ بإتاحة الفرصة لأبناء البلاد بزيادة دخلهم بإعداد حجرة أو أكثر في مساكنهم ـ تحت إشراف هيئة سياحية ـ لتأجيرها للسائحين الذين يدفعون أجر إقامتهم مقدما بالعملة الحرة، ويستلم صاحب الحجرة حصته منها فورا، بعد خصم نسبة بسيطة مقابل المصاريف الإدارية للهيئة.. والضريبة المستحقة عن ذلك المبلغ، دون حاجة إلى فتح ملف ضريبى خاص وإدخاله في متاهات لا حصرلها.. ويكون لدى هيئة السياحة بيان كامل بهذه الأماكن واللغات التى يفضلها أصحابها حتى يسهل تعاملهم مع السائحين المقيمين معهم،

مع ضرورة تجريم أى تلاعب من أصحاب الحجرات المفروشة، أو من موظفى هيئة السياحة..

ويمكن للساحل الشمالى- على إمتداده من الإسكندرية حتى مرسى مطروح- أن يجتذب ملايين السائحين من بلاد شمال أوروبا، فى الفترة ما بين أول أكتوبر حتى آخر مايو- وهى الفترة التى لا يحتاج أصحاب الڤيلات والشاليهات إلى تواجدهم فيها- بإنشاء شركات سياحية متخصصة لتنظيم إستغلال هذه الإستثمارات العقارية الضخمة، التى تزيد على إثنين وعشرين مليارا من الجنيهات، لصالح الاقتصاد القومى، تجعل من الساحل الشمالى مركزا لمشروع قومى متكامل، بما يحققه من إيرادات ضخمة ومنافع اقتصادية كبيرة وإتاحة فرص عمل واسعة وذلك من خلال خطة عامة يدرك القائمون على تنفيذها أهمية الحفاظ على نظافة البيئة وعدم تلوث مياه البحر بمخلفات الصرف الصحى والوقوف بحزم ضد مشروعات الصرف فى البحر، التى يراد بها القضاء على استثمار وتنمية هذه المليارات من الثروة العقارية وما يمكن أن تحققه من فوائد اقتصادية ضخمة. وهذا يقتضى أن تضع الحكومة خطة طموحة بتوفير جميع الخدمات اللازمة وإنشاء مطار دولى كبير، تساهم فى إنشائه شركات الطيران المستخدمة له، وتشجير شريط عريض يمتد بطول الساحل الشمالى على حافة الصحراء- ترويه مياه الصرف الصحى- بأشجار الجاكرندا الضخمة والسريعة النمو ويمكن إستيراد بذورها من دولة زيمبابوى، بالإضافة إلى أشجار أخرى تقوم بتثبيت الرمال المتحركة ويمكن الحصول على بذورها من دولة البحرين، مع العمل على توطين تلك العصافير التى تلتهم الذباب والبعوض والمهاجرة من أوروبا فى فصل الشتاء بإقامة عشوش على كل ڤيلا أو شاليه على طول الساحل الشمالى. (راجع الفصل ١٨ من الكتاب).

وتبذل الحكومة الأمريكية جهدها لحماية سوق العمل بمنع الهجرات غير المشروعة.. وعند زيارتى لمدينة سان دييجو SAN DIEGO بولاية كاليفورنيا ـ القريبة من الحدود المكسيكية ـ تم إيقاف السيارات عدة مرات على طول الطريق للتفتيش عن المهاجرين المكسيكيين المتسللين.. وغالبا ما لا يسفر ذلك التفتيش فى السيارات عن القبض على أحد منهم، لأنهم يسلكون طريقا آخر على سفوح الجبال المخصصة لتدريب رجال القوات البحرية على إطلاق المدفعية من فوق السفن الحربية، ولذلك كان عدد كبير من المهاجرين المكسيكيين المتسللين هدفا لطلقات المدافع التى يطلقها رجال البحرية الأمريكية فى تدريباتهم العسكرية.. بعد أن يعبروا مضيقا مائيا عند منطقة كابريللو فى

قوارب مجدافية صغيرة حتى يستطيعوا الإفلات من رقابة الزوارق الحربية الأمريكية التى تجوب المنطقة..

والواقع أن المجتمع الأمريكى يدرك تماما أهمية التنمية الاقتصادية لتشمل كل مناطق الولايات المتحدة الأمريكية على اتساعها .. لذلك كانت مدينة واشنطن WASHING-TON D.C. مجرد عاصمة سياسية للبلاد. وتتوزع الأعمال والإدارات المختلفة بين عدة مدن متباعدة.. فالضرائب فى مدينة غير تلك التى بها الإدارة الخاصة بالرقم القومى SO-CIAL SECURITY NUMBER الذى يعطى للمواطن ـ ولكل من يقيم على الأرض الأمريكية ـ عند بداية تعاملاته مع الآخرين، غير المدينة التى بها إدارة الجوازات والجنسية والهجرة.. وهكذا.. بل إن قيادات القوات المسلحة المختلفة من قوات برية وبحرية وجوية، لا توجد فى مدينة واحدة، بل فى عدة مدن متباعدة، وبذلك تنتعش الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى كل مكان..

وعند إنشاء مناطق جديدة، لاتقام المبانى السكنية أولا بل تقام المشروعات التجارية والصناعية أولا، ثم تبدأ إقامة البيوت للسكنى تبعا لحاجة العاملين فى تلك المشروعات الجديدة..

وتعتبر شبكة الطرق الأمريكية من أحسن شبكات الطرق فى العالم، التى تصل بك إلى كل مدينة وقرية، بل وإلى قمم الجبال أيضا.. وقد سرت فى طريق رائع يتجه من الشمال إلى الجنوب فوق قمم سلسلة جبال روكى.. ومع ذلك فمنذ عدة سنوات كتب البعض يطالبون بضرورة إعادة النظر فى شبكة الطرق بقصد تحسينها، بعد أن مضى عليها خمسة وعشرون سنة..

وقد عرضت الولايات المتحدة الأمريكية يوما على الحكومة المصرية أن تقوم بعمل شبكة طرق تغطى مصر كلها.. ولكن بعض الكتاب هاجموا المشروع بمقولة أن أمريكا تريد طرقا معبدة لتسهيل توزيع منتجاتها من الكوكا كولا ولم يدرك أولئك الكتاب ـ للأسف الشديد ـ أهمية شبكة الطرق فى التنمية الاقتصادية وفى انتقال المدنية الحديثة إلى كل ربوع مصر. ولعل رفضهم حينذاك ـ الذى تبنته غالبية الشعب المصرى وأنا منهم ـ كان نابعا من الشعور بعدم الثقة فى المشروعات الاقتصادية التى تتقدم بها أمريكا إلى دول منطقة الشرق الأوسط، عندما كانت تحاول أن ترث الإستعمار البريطانى الذى بدأت تغيب عنه الشمس.. ولم نكن نعلم حينذاك أن ما كان يسمى بمشروعات «النقطة

الرابعة» هو استثمار لأموال طائفة المورمون ـ التى تحكم ولاية يوتا ـ خارج البلاد وكان موقف شعب مصر تطبيقا للمثل القائل «من لدغته الحية يخاف من الحبل».

وقد بدأت الرأسمالية الصغيرة تبحث لها عن دور فى المجتمع الأمريكى. وفى نهاية عام ١٩٧٦ دعتنى الصديقة أندريهANDREA إلى ندوة يعقدها تنظيم جديد باسم آموىAMWAY ـ وهو اختصار لكلمتىAMERICAN WAY ـ ليشرح أهدافه. وقد قدمتنى فى الإجتماع إلى خطيبها ـ وزوجها حاليا ـ الصديق كنتون يوهىKENTON YOHEY الذى كان مشرفا على الندوة. وقد أصبحت هى نفسها بعد ذلك عضوا بارزا فى التنظيم الإقتصادى الجديد..

وتقوم فكرة AMWAY على أن الثمن الحقيقى لإنتاج أى سلعة هو خمس الثمن الذى تعرض به للمستهلك.. وتضاف الأربعة أخماس مقابل مصروفات النقل والتوزيع والعمولات المختلفة لتجار الجملة والتجزئة والتى يتحملها المستهلك فى النهاية وقامت AMWAY بغرض تخفيض نسبة الأربعة أخماس إلى أدنى حد ممكن.. وبدأت بنظام تعاونى بين الرأسمالية الصغيرة ـ أصحاب عشرات الآلاف ومئات الآلاف من الدولارات ـ يعتمد على القيام بعمليتى الإنتاج والتوزيع بمعرفة أعضاء التنظيم، الذين يستثمرون أموالهم فى هذه المشروعات.

وفى عام ١٩٨٩ دعيت إلى بعض اجتماعات هذا التنظم الذى ينتشر بسرعة فى أنحاء الولايات المتحدة الأمريكية، وتنتشر معه قيم اجتماعية جديدة تحكم علاقات الأعضاء وأسرهم، فهم يؤمنون بالحرية دون التحرر من القيم والأخلاقيات..

وقد عرفت أخيرا ـ من الصديقين أندريه وكنتون ـ أن رأسمال تنظيم «الطريق الأمريكىAMWAY» قد بلغ عدة ملايين من الدولارات وأن اجتماعاته فى صيف عام ١٩٩٢ كانت تضم ستة وعشرين ألفا من الأعضاء الذين ينتمون إلى طبقة الرأسمالية الصغيرة ـ نسبيا ـ وهم يأملون أن يمتد نشاطهم الإقتصادى إلى خارج أمريكا، كما فعلت طائفة المورمون من قبل عن طريق مشروع النقطة الرابعة..

والسؤال هو.. هل يتركهم الرأسمال المالى فى نيويورك يفعلون ذلك ويسحبون السجادة ـ بما عليها من أرباح باهظة ونفوذ سياسى ضخم ـ من تحت أقدامه؟ أم يوجه إليهم ضربة قاصمة كما سبق أن فعل مع الرأسمال العربى فى «يوم الاثنين الأسود» الشهير..

الفصل السادس عشر

أحسن محاضرة كانت عن بنات مصر

أحسن محاضرة كانت عن بنات مصر

بادرتني الدكتورة عايدة مصطفى ـ الأستاذ بكلية التربية الرياضية للبنات جامعة حلوان ـ عندما التقيت بها في طريق عودتها من الجامعة، حيث كانت تدرس للحصول على درجة الدكتوراة في التربية الرياضية من جامعة إنديانا.

= مبروك، جاء ترتيبك الأول!..

قلت ضاحكا

= الأول على من ؟!.. إنني لا أنتظم في دراسة ولا أؤدي إمتحانا حتى يكون ترتيبي الأول أو الأخير..

قالت والبشر يضيء قسمات وجهها

= أقسم لك أن ترتيبك الأول.. هل تذكر تلك المحاضرة التي ألقيتها - بدلا عني ـ في كلية التربية الرياضية ؟..

قلت

= نعم، أذكرها جيدا

قالت

= لقد أجرى إستفتاء بين الطلبة والطالبات ـ كما جرت العادة كل عام ـ عن أحسن محاضرة خارجية وأحسن محاضر خارجي. وقد فزت أنت بالمركز الأول في كليهما..

= أحقا؟!.. كم يسعدني ذلك..

فقد جاءتنا يوما الدكتورة عايدة مصطفى ـ وهي زميلة وصديقة حميمة للسيدة زوجتي ـ تعرض حيرتها بسبب ما طلبته منها الدكتورة ماكلين DR. MAC.L EAN الأستاذة بكلية التربية الرياضية HPER أن تحاضر طالبات الكلية في موضوع «فلسفة تعليم التربية الرياضية للمرأة في مصر» وتشكو من عدم وجود وقت فراغ يسمح لها باعداد المحاضرة بسبب استعدادها للإمتحان التأهيلي للدكتوراة QUALIFYING EXAM.

قلت لها مداعبا..

= هل تريدين أن أتولى ذلك عنك؟!..

وكأنما الغريق قد أمسك بقشة..

= أحقا ما تقول؟!.. هل تقوم باعداد المحاضرة والقائها؟!..

وبعد تردد ـ لم يدم طويلا ـ وافقت. وبعد يومين أبلغتنى الدكتورة عايدة مصطفى أن الدكتورة ما كلين ستتصل بى تليفونيا لتحديد الموعد. واتصلت بى الدكتورة ما كلين تليفونيا وتحدد الموعد والمكان. وذكرت لى أن مدة المحاضرة خمسون دقيقة تبدأ فى الساعة السادسة مساء، وأن نصف الوقت ـ على الأكثر ـ لإلقاء البحث والباقى للمناقشة..

قدمتنى الدكتورة ما كلين لطالباتها اللاتى تجمعن فى قاعة واسعة وقبل أن أبدأ قراءة البحث الذى أعددته، طلبت أن تكون أسئلة المناقشة كتابة، حتى لا يحدث أى سوء فهم بسبب اختلاف لغتى الإنجليزية البريطانية عن اللغة الإنجليزية الأمريكية..وبعد إنتهائى من إلقاء البحث قالت الدكتورة ما كلين أنها قد فهمت كل كلمة نطقت بها. وتبعا لذلك فانها لاترى ضرورة لكتابة الأسئلة.. وسألت الحاضرات عن ذلك، فوافقنها..

كان موضوع المحاضرة عن فلسفة تعليم التربية الرياضية للمرأة المصرية، وتطور فكر المجتمع المصرى نحو قيام الفتاة بممارسة الرياضة والاشتراك فى المباريات المحلية والدولية.. والاعتراض على ذلك لأسباب لاتختلف كثيرا عن الأسباب التى يتعرض لها النشاط الرياضى للفتيات فى المجتمعات النامية..

كانت البداية اشتراك المرأة المصرية فى ثورة سنة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول باشا ضد الاستعمار البريطانى. ومنذ ذلك الحين بدأت المرأة المصرية تطالب بكافة حقوقها السياسية والإجتماعية، ومنها حقها فى التعليم العالى بجميع تخصصاته، مما دفع بعض السيدات إلى الدراسة فى الخارج فى التخصصات التى لا تتوافر فى مصر حينذاك.. مثل التربية الرياضية. وكانت بعثة الأستاذة الدكتورة نفيسة الغمراوى إلى إنجلترا. وبعد عودتها قامت بانشاء المعهد العالى للتربية الرياضية للبنات بالقاهرة سنة ١٩٣٦.

بدأ عدد طالبات المعهد قليلا جدا، ثم تزايد مع السنوات.. فقد بدأت الدراسة بالمعهد بطالبتين فقط ثم تزايد العدد إلى ست طالبات.. وفى سنة ١٩٥٢ بلغ عدد الطالبات ٤٨ طالبة..

وبدأت نظرة المجتمع المصرى إلى المعهد العالى للتربية الرياضية والتحاق الفتيات به تتغير مع إدراك أثر ممارسة الرياضة عليهن. فقد تميزت طالبات التربية الرياضية برشاقة وخفة الحركة تبعا لتناسق مقاييس الجسم وتحسن النغمة العضلية بما يؤدى إلى كفاءة الأداء الحركى فى الحياة اليومية، ورفع مستوى لياقتها البدنية. بالإضافة إلى ما إتسمت به من الروح المرحة والتفاعل الاجتماعى حتى أطلق البعض على المعهد العالى للتربية الرياضية للبنات اسم «مصنع الجمال».. وفى عام ١٩٥٥ أنشىء المعهد العالى للتربية الرياضية للبنات فى الإسكندرية..

وقد تناولت فى المحاضرة أيضا بعض العادات والتقاليد المصرية التى كان لها أثر فى تحديد نظرة المجتمع إلى ممارسة الفتيات للرياضة وتطورها وإقبال الرجال ـ وأنا أحدهم ـ على إختيار زوجاتهم من خريجات معهد التربية الرياضية، لما يتصفن به من قدرات شخصية، بدت فى المظهر العام ونمو الشخصية..

وبدأت المناقشة قبل السادسة والنصف مساء، وتطرقت بنا الأسئلة بين عدة موضوعات حتى كان السؤال عن طريقة إختيار الزوجة فى المجتمع المصرى، فى ضوء تلك العادات والتقاليد..

قلت إن المجتمع المصرى فى المدينة ـ الحضر - كان انفصاليا حتى عام ١٩٣٠ تقريبا. وكان إختيار الزوجة يتم ـ تبعا لذلك ـ عن طريق الخاطبة التى كانت تحمل فى حقيبة يدها ـ دائما ـ مجموعة كبيرة من صور الفتيات لتعرضها على أسر الرجال طالبى الزواج..

وعندما يختار طالب الزواج إحدى الصور، تذهب والدته إلى منزل أسرة الفتاة ـ صاحبة الصورة ـ لزيارتهم فى موعد سبق تحديده والإعداد له..

كانوا يجلسونها ـ أم طالب الزواج ـ على أريكة فى مواجهة الداخل إلى المكان، لتستقبل عيناها العروس وهى تتقدم نحوها فى رداء قصير حتى الركبتين، حاملة بين يديها صينية تضع فوقها فنجانا مملوءا حتى حافته بالقهوة التركية وكوب ماء، لتقدمهما لوالدة طالب الزواج.. دون أن تتخطى القهوة حافة الفنجان لتنسكب على الطبق تحته..

فقد كانت القهوة ـ في المجتمع المصرى الحضرى ـ هى مشروب الضيافة، وكان يجب أن تتأكد أم العريس من قدرة العروس ـ التى ستصبح ربة بيت ابنها ـ على إجادة عمل القهوة التى ستقدمها له ولضيوفه..

وكانت خطوات الفتاة الثابتة بفنجان القهوة الممتلىء لحافته دون إنسكاب دليل على سلامة قواها العقليةMENTAL HEALTH وعلى توافقها العضلى العصبىCOORDINATION.

وعند إنصراف الفتاة تتابع عينا الأم مشيتها وساقيها حتى الركبتين لتتأكد من اعتدالهما وحسن شكلهما، لأن الساقين المعوجتين تؤديان إلى حدوث تشوهات فى الحوضPELVIC DEFORMITY،وبالتالى صعوبة وتعسر عملية الولادة DIFFICUL OF OBSTRUCTED LABOUR.

فاذا إجتازت الفتاة المرحلة الأولى من الاختبارات، بقيت الأم لتناول العشاء الذى تعده الفتاة. ويجب أن تشتمل مكوناته على البيض المسلوق. وتجلس الفتاة ـ العروس ـ على الأريكة بجوار أم العريس أثناء تناول الطعام، لتقوم لها بدور المضيفة وخاصة تقشير البيض المسلوق دون أن تخدش الجسم الداخلى للبيضة.. لتقدم بذلك دليلا آخر على سلامتها العقلية وتوافقها العضلى العصبى ومهارتها اليدوية..

وبعد العشاء تقدم المكسرات ـ من البندق واللوز والجوز ـ حيث تقوم العروس بتكسير قشر البندق واللوز باسنانها، وتقدم محتواه سليما لأم العريس، لتقدم بذلك دليلا على سلامة أسنانها الطبيعية وقدرتها على التحكم فى حركة فكيها..

وتخرج والدة طالب الزواج من حقيبتها خيطا وابرة خياطة، وتطلب من الفتاة أن تضع الخيط فى ثقب تلك الإبرة ـ لتختبر قوة إبصارها ـ وأن تقوم بتثبيت أحد الأزرار، كاد أن يترك مكانه فى ردائها، لتمتحن بعض قدراتها فى الشئون المنزلية.. وخاصة تثبيت أزرار ملابس الزوج ورتق جوارِبه !..

وخلال ذلك كله، تتحدث إلى الفتاة لتتأكد من سلامة نطقها للكلمات والحروف وقد تتحدث إليها همسا لتختبر قدرتها السمعية.. أو تجذب شعرها لتتأكد أنه طبيعى غير مستعار..

فاذا اجتازت الفتاة المرحلة الثانية من الاختبارات، كانت المرحلة الثالثة.. فتقرر الأم ـ والدة العريس ـ قضاء الليلة في بيت الفتاة، التي تدعوها للمبيت في حجرتها.. وتنامان معا في فراش واحد، لتختبر الأم طريقة الفتاة في النوم، وتراقب الأصوات التي تصدر عنها، وتشم الرائحة التي تخرج من فمها..

وتتم المرحلة الرابعة والأخيرة من الإختبارات صباح اليوم التالي، عندما تودع أم العريس الأسرة المضيفة، وتحتضن العروس وهي تغمرها بالقبلات. وتطول فترة الإحتضان، ويبدا الأم ـ في حركات مدربة ـ تحاول التأكد من أن جسد عروس ابنها طبيعي كامل النمو!!.

كانت صيحات الطالبات وصرخاتهن قد بدأت تعلو مع الحديث عن المرحلة الثالثة ثم الرابعة..

سألتني إحدى الطالبات..

= وأنت، كيف تزوجت، هل اختارتها لك والدتك؟!..

أجبتها مداعبا..

= لا، لقد قمت أنا بما كان يجب أن تقوم به أمي..

وتعالت صيحات الطالبات المرحة التي كثيرا ما تخللت الأسئلة والإجابات عليها».

قلت مصححا..

= الواقع أن لجنة من أساتذة كلية التربية الرياضية للبنات قد قامت بجميع تلك الإختبارات نيابة عن والدتي.. فان الاختبار الشخصي الذي يجرى للطالبات المتقدمات للالتحاق بكليات التربية الرياضية ـ وأنتن أدرى به مني ـ لا يختلف كثيرا عما كانت تفعله أم العريس قبل عام ١٩٣٠ في مصر..

وفي الساعة التاسعة والربع مساء ـ وليس في السابعة إلا عشر دقائق ـ أجبرت الدكتورة ماكلين الطالبات على الإنصراف من المكان، لأنه يجب إغلاق المبنى في تمام الساعة التاسعة والنصف..

وقبل نهاية العام الدراسي، كان ذلك الفوز المزدوج بالمركز الأول في الاستفتاء الذي أجري بين طالبات الكلية..

الفصل السابع عشر

هل يمكننى أن أساعدك!

هل يمكنني أن أساعدك!

لم أكن أظن أن شاعر الربابة المصرى، الذى كان يجوب المدن والقرى فى مصر، يروى قصص أبوزيد الهلالى والشرقاوى وحسن ونعيمة وغيرهم، يمكن أن يكون له شبيه ـ بصورة أو بأخرى ـ فى المجتمع الأمريكى.. حتى كان يوم السبت الموافق ٢٢ يونيه سنة ١٩٩١ .. عندما توجهت إلى مبنى أيجنمانEIGENMANN ـ فى المدينة الجامعية لجامعة إنديانا حيث كنت أقيم ـ للقاء بعض الأصدقاء من المصريين والعرب، احتفالا بعيد الأضحى المبارك.

عندما خطوت إلى داخل القاعة الواسعة بالدور الأرضى من المبنى، وجدتها مكتظة بطلبة وطالبات قسم اللغة الروسية يستمعون فى انتباه شديد إلى سيدة أمريكية تروى لهم قصصا من الفولكلور الشعبى الروسى القديم باسلوب شيق جدا. وقد إستعانت فى إلقائها بحركات رشيقة من يديها ولفتات رأسها وتعبيرات وجهها وعينيها الواسعتين الجميلتين..

وجدتنى أخطو على أطراف أصابع القدمين، لأجلس فى أقرب مكان أتيح لى حتى أستمع إلى مارى هاملتونMARY HAMILTON راوية القصة STORYTELLERفى شغف بالغ، وهى تنطق الكلمات والحروف نطقا سليما كاملا حتى لا تفوت سامعيها كلمة واحدة منها. ثم وهى تحاكى أصوات الحيوانات التى وردت أسماؤها فى القصة..

وقد بدأت مارى هاملتون حياتها العملية فى مهنة التدريس، ثم حصلت على درجة الماجستير فى علم المكتبات من جامعة كنتاكىKENTUCKY فى مدينة لوڤيلLOUISVILLE، قبل أن تمتهن رواية القصة التى تدر عليها دخلا أكبر كثيرا من مهنة التدريس..

وهى تحب مهنتها جدا وتستمتع بإلقاء القصص كما تستمتع بالقراءة.. وليست هى التى تحدد موضوعات القصص التى ترويها، بل الجهات التى تستدعيها.. ولذلك فهى تعرف أيضا حكايات جحا لترويها لمن يطلبونها..

وماری هاملتون نموذج رائع لفتاة الريف الأمريكی المثقفة.. فملابسها تغطی ساقيها إلى منتصفهما، ولا تكشف عن صدرها أو ذراعيها وهی لاتضع أية ساحيق، ولعلها تكتفی بجمالها الطبيعی..

وعندما تحدثت إليها عن مهنتها كراوية للقصة وعرفت أنها تقيم فی مدينة لوڤيل ـ هكذا ينطقونها ـ بولاية كنتاكی، سألتها إن كانت تستطيع معرفة عنوان ورقم تليفون أحد الأشخاص الذين يهمنی الإتصال بهم بشأن مشروع بناء الهرم.. وفی بساطة شديدة لا تعادلها إلا بساطة مظهرها، أعربت عن استعدادها التام لمعاونتی فی التوصل إلى ذلك الشخص..

وقبل مضی أسبوع واحد وصلنی خطابها وبه كافة البيانات المطلوبة، مع عرض كريم منها أن تكون مرشدتی السياحية إذا ما قررت يوما زيارة ولاية كنتاكی..

وقد فعلت ذلك، وأدركت سبب اطلاق إسم «ولاية الحشائش الزرقاء» على ولاية كنتاكی BLUE GRASS STATE عندما لاحظت اللون الأخضر الداكن الذی تتميز به تلك الحشائش، مما لا تراه فی أی ولاية أخرى..

وقد كانت ماری هاملتون خير مرشدة سياحية، جابت بی ولاية كنتاكی حتی لايفوتنی شیء من المبانی التاريخية ومزارع الخيول الشهيرة وكهوف الجبالMAMUTH CAVES التی تمتد إلى أعماق بعيدة تحت الأرض، نزلنا إلى أحدها على عمق ٢٥٠ قدما ـ ٧٥مترا ـ تحت سطح البحر. وقد كونت المياه الجوفية مع الحجارة أشكالا جميلة على مدى عشرات الآلاف من السنين.. ولم أكن لأتخيل هذه الصورة لو لم أرها بنفسی..

ولعلنا نذكر ما يرويه الأدب الشعبی المصری على لسان «أمنا الغولة» قولها.. لولا سلامك سبق كلامك لأكلت لحمك قبل عظامك!. فی القصص التی كانت تحكيها لنا أمهاتنا لتعليمنا ضرورة وأهمية أن نبادر بالتحية والسلام. ولعل مصدر هذه الرواية الشعبية يرجع إلى بعض التقاليد فی صعيد مصر.. التی تقضی بأنه إذا كان هناك رجل يقف متربصا ليقتل رجلا آخر.. وعندما مر هذا الرجل الأخير بمن يقف له مترصدا، ألقی إليه بالتحية فأجابه عليها، لا يستطيع الرجل الأول أن يقتله، فقد حرم عليه ذلك.. إذ منعه السلام من أكل اللحم والعظام!..

وفى أمريكا كنت أشعر بالبهجة وأنا ألقى فى طريقى وجوها مبتسمة تلقى بتحيتها البسيطة «هاى ـ HI» .. وأعتقد أن هذه العادة الجميلة قد تطورت بفعل الرغبة فى الشعور بالأمان من الأشخاص الذين يلتقى بهم كل منهم فى طريقه.. عندما كانت المسدسات عالقة بحزام كل رجل، وأصابعه تداعبها استعداد لاطلاقها.. ولعل التقاليد الصعيدية المصرية كانت سائدة أيضا ـ بشكل ما ـ فى مجتمع رعاة البقر الأمريكيين..

وفى عودتى من أمريكا ـ فى صيف عام ١٩٨٧ ـ زرت لندن بانجلترا وقد ضايقنى كثيرا أن التقى بوجوه جامدة لا يعرف الإبتسام طريقه إليها.

وعندما كنت أتمشى فى حديقة مجاورة للمسكن الذى أقيم فيه ـ كما تعودت صباح كل يوم ـ رأيت طفلة مع والدتها تتابعنى بعينيها البرئيتين وعندما اقتربت منها ابتسمت للطفلة.. وفجأة جذبتها أمها بعيدا حتى لا تصيبها عدوى الإبتسام..

وفى أمريكا لن تضل طريقك أبدا، لأنك ستجد دائما من يرشدك إليه، حتى قبل أن تسأله ـ وتسمع كثيرا الكلمات البسيطة.. «هل يمكننى أن أساعدك MAY I HELP YOU» فى كل مكان تذهب إليه..

وعندما كنت فى برلين عام ١٩٦٩ وقفت كثيرا لأسأل، ولا إجابة واحدة، فهم دائما لا يعرفون.. وقد سألت أحدهم يوما عن المتحف المصرى الشهير هناك، ولم تتغير إجابته، رغم أن المتحف كان على بعد خطوات منا..

وعندما كنت فى باريس عاصمة فرنسا ـ فى عام ١٩٧٦ ـ حاولت دون جدوى أن أجد من يرشدنى إلى الطريق. وقد ذكر لى الطبيب إيهاب شاكر حافظ ـ النائب بكلية الطب جامعة القاهرة، والذى قضى عدة سنوات فى فرنسا ـ أنه قد أدهشه جدا عند زيارته لأمريكا سنة ١٩٨٨، أن يتطوع الأمريكيون لإرشاده إلى الطريق بمجرد أن يقف متلفتا حوله.. وذكر أن إحدى السيدات الأمريكيات قد رافقته يوما حتى أوصلته إلى الجهة التى أرادها.. وقال إن ذلك عكس ما كان عليه الحال فى فرنسا.

وفى صيف عام ١٩٨٩، تعرض الصديق عبد الفتاح محمود ـ أحد أفراد المجموعة المصرية التى شاركت فى إجتماعات بدفورد بولاية إنديانا بشأن بناء الهرم هناك ـ لموقف

مثير.. فبعد وصول المجموعة إلى مطار نيويورك، إتجهوا ليستقلوا الطائرة المتجهة مباشرة إلى إنديانا بوليسINDIANAPOLIS عاصمة ولاية إنديانا، حيث كنا فى انتظارهم.. وبمجرد أن إلتقوابنا سألونا.

= هل سبقنا إليكم عبد الفتاح ؟..

وبدا الجزع على ملامحهم عندما جاءتهم الإجابة بالنفى..

لقد سأل الصديق عبد الفتاح محمود عن الطائرة المتجهة إلى إنديانا بوليس فأشار له بعضهم إلى إحدى الطائرات، فدخل إليها معتقدا أن زملاءه قد سبقوه إليها..وقد غلبه النوم بمجرد أن جلس على مقعده بعد رحلة طويلة مباشرة من القاهرة إلى نيويورك. ولم يستيقظ إلا عندما بدأت عجلات الطائرة تلامس الأرض، فلم يسمع تعليمات المضيفة ليعرف أن الطائرة ستتوقت لبعض الوقت فى مطار مدينة كليفلاند CLEVELAND بولاية أوهايوOHIO وخرج عبد الفتاح من الطائرة ظنامنه أنه قد وصل إلى نهاية الرحلة. ولكنه لم يجد بانتظاره أحدا، كما لم يجد أحدا من زملائه فى الرحلة. وتوقف سير الحقائب دون أن يرى أثرا لحقيبتى السفر الخاصتين به. وعندما تنبه إلى حقيقة الموقف أراد العودة إلى الطائرة لا ستكمال الرحلة إلى غايته، لكنه فوجىء بأنها قد أقلعت منذ دقائق..

وأسقط فى يده، فقد كانت آخر طائرة تغادر كليفلاند إلى إنديانابوليس فى ذلك اليوم.وأشفق عليه العاملون بشركة الطيران فاستضافوه على نفقة الشركة فى أحد فنادق المدينة حتى صباح اليوم التالى، عندما أوصلته سيارة الشركة إلى المطار ليستقل الطائرة المتجهة إلى إنديانابوليس.

وهناك لم يجد أحدا فى إنتظاره أيضا، ولكنه وجد حقيبتيه قد سبقتاه منذ اليوم السابق..

وقف عبد الفتاح بجانب حقيبتيه حائرا ، لايدرى ماذا يفعل أو الى أين يذهب، عندما تقدم إليه أحد الأمريكيين يعرض عليه مساعدته «MAY I HELP YOU»، فأخبره عبد الفتاح بقصته.. وقدم الرجل نفسه.

= وارن هينيجرWARREN HENEGER من مدينة بلومنجتون بولاية إنديانا.

وقد عرض على صديقى عبد الفتاح أن يقوم بتوصيله إلى مسكن الصديق ولترسير في الغابة حيث كنت أقيم، عندما أخبره عبد الفتاح أنه العنوان الوحيد الذى يعرفه..وتوجه وارن هينيجر بسيارته إلى الغابة، فلم يجد أحدا هناك، لأننا كنا في ذلك الوقت في مدينة بدفورد لحضور حفل الاستقبال الذى تقيمه الغرفة التجارية لأفراد المجموعة المصرية..

أخذه إلى أحد الفنادق حيث قامت إدارته باجراء الإتصالات التليفونية حتى تمكنت من الإتصال ببعض أعضاء الغرفة التجارية الذين توجهوا إليه فورا للعودة به من بلومنجتون إلى فندق ستون هينج STONEHENGE.

كنت أترك حفل الاستقبال ـ الذى بدأ في موعده ـ بين وقت وآخر، لأتنسم أى معلومات عن عبد الفتاح من مكتب استقبال الفندق. وعندما علمت أنه وصل إلى المكان، أسرعت إلى الخارج وقد أنستنى فرحتى برؤيته بعض المحظورات في المجتمع الأمريكى، بأن لا يعانق الرجل رجلا آخر..

وكانت تينا سيكلر TEENA SECHLER رئيسة لجنة السياحة بالغرفة التجارية ـ وهى أحد أبطال عملية درع الصحراء في الخليج العربى ـ تقف في أحد الأركان وعيناها تدمعان بغزارة.. سألتها عما بها، فقالت إنها حزينة وقلقة بسبب ما وقع لصديقنا، تقصد عبد الفتاح محمود.. فقلت لها أنه قد وصل إلى الفندق، ثم ناديته وقدمته لها..

وكان رائعا أن يرى الإنسان الفرحة تزغرد على وجه جميل تبلله الدموع..

الفصل الثامن عشر

طائر يلتهم الذباب والبعوض وينقذ محصول الخضار والفاكهة

طائر يلتهم الذباب والبعوض وينقذ محصول الخضار والفاكهة

يبدأ موسم الأمطار عادة فى نهاية شهر مارس أو أوائل أبريل ليساعد على ذوبان الجليد الذى تكون الأرض والمبانى قد اكتست به خلال الشهور الثلاثة أو الأربعة السابقة.. ويزداد هطول الأمطاربغزارة شديدة ولأيام متتالية فى شهر يونية، وتصل درجة الرطوبة فى بعض الولايات الوسطى ـ الشرقية منها والغربية ـ إلى أقصاها، حتى لا يطيق الإنسان إحتكاك ملابسه بجسده، ولذلك تقل المساحة المغطاة من جسم بعض الناس إلى أدنى حد ممكن..

وتتجمع مياه الأمطار فى قنوات جانبية لأرصفة الشوارع التى تنحدر معها.. فالشوارع المستوية لا وجود لها إطلاقا، مثلما كانت شوارع القاهرة الرئيسية ومعظم شوارع الإسكندرية، عندما كان يقوم برصفها مهندسون!..

وتجد المياه طريقها إلى بالوعات تأخذها إلى مواسير لتعبر بها تحت الشارع، لتجد قناة أكثر إتساعا، حتى يتكون نهير صغير يؤدى فى النهاية إلى بركة صناعية أقيم حولها متنزه عام، تناثرت فيه الموائد الخشبية بمقاعدها وأماكن لاشعال النار واعداد الطعام من اللحوم والدواجن والهامبورجر.. وتجد ـ غير بعيد عن كل مائدة ـ برميلا كبيرا بغطاء محكم به كيس من البلاستيك لوضع الفضلات المتبقية من الطعام والشراب، إذ لا يترك الأفراد مائدتهم إلا بعد تنظيفها تماما وإعادتها إلى الحالة التى وجدوها عليها، والتى يحبون أن يجدوها عليها فى المرات التالية..

ورغم أن هذه السلوكيات كافية لمنع جذب الذباب وتشجيعه على الإقامة والتكاثر والانتشار، فانك ستجد دائما بجانب بركة المياه عامودا طويلا ومرتفعا جدا كصارى العلم يحمل فوق قمته بيتا خشبيا صغيرا يحتوى على عدة فتحات تصلح عشا لنوع معين من الطيور التى تعيش فى جماعات.. واسم هذا الطائر بيربل مارتن PURPLE MARTIN، وهو ينتمى لفصيلة الطيور التى يطلقون عليها اسم الطيور الملتهمة أو البالعة THE SWALLOWS لأنها تلتهم وتبتلع الحشرات الطائرة من الذباب

والبعوض وغيرها من الحشرات الصغيرة.. ولها قدرة فائقة على الطيران.. وهى ذات أرجل قصيرة وأفواه واسعة لإلتقاط الحشرات الطائرة وابتلاعها بسرعة عجيبة وبكميات كبيرة جدا. وتتميز هذه الطيور بأنها تقضى معظم ساعات يومها فى الطيران ـ أكثر من أى نوع آخر من الطيور ـ تروح وتجيء بحثا عن الذباب والبعوض..

وهناك عدة أنواع من هذه الطيور، يعيش بعضها على إبتلاع الحشرات الطائرة وحدها، والبعض الآخر يلتقط بعض الحبوب أيضا.

ويتميز طائر البيربل مارتن PURPLE MARTIN بأنه يعيش على إلتهام الذباب والبعوض والحشرات الطائرة الصغيرة فقط، دون الحبوب.. وله قدرة فائقة على إلتهام ما بين ألفين إلى ثمانية آلاف حشرة يوميا.. كما يختلف عن باقى أنواع فصيلته باللون البنفسجى للرأس والجسم، واللون الأسود للجناحين التى تبدو مثلثة الشكل عند الطيران. كما يتميز هذا الطائر بقدرته الهائلة على تغطية مساحات شاسعة حول عشه (دائرة قطرها ٨ كيلومتر) لقوته وقدرته العالية على الطيران. وهو يعيش عادةفى عش مجمع يصنع خصيصا له، ويوضع على إرتفاع عال، ولذلك يتجه إلى هذا العش المجمع اذا إلتقى به فى نطاق طيرانه، لتكوين مستعمرة جديدة.

وهو من الطيور المحبوبة على نطاق واسع نظرا لفائدته كآكل للذباب والبعوض، ولاتبدى تخوفها من الإنسان ولذلك تقيم أعشاشها غير بعيد عنه.. وقبل أن يقوم الإنسان ببناء الأعشاش الخشبية له، كان يقيمها فوق حافة الصخور LEDGES أو على أغصان الأشجار المغطاة أو المحمية. وترتبط هذه الطيور بأعشاشها وغالبا ما تعود إليها سنة بعد أخرى. ويحدث أن تنتقل من عش إلى آخر جديد يكون غير بعيد عنه. وتعمر هذه الطيور لمدة ١٦ سنة..

وقبل إكتشاف الأوربيين لأمريكا بزمان بعيد، كان الأمريكيون الهنود ـ الهنود الحمر ـ القاطنون فى الجنوب الشرقى يقيمون أعشاش طائر البيربل مارتن فوق أعمدة، وهو نفس المتبع حاليا هناك..

ومنذ عدة سنوات نشرت جريدة الأهرام ـ فى عددها الصادر يوم ٢٨/ ٨/ ١٩٨٣ ـ تحت عنوان «هذه الذبابة تكلف مصر كل سنة خمسين مليون جنيه» موضوعا عن توصل

العلماء المصريين إلى سر تدهور محصول الفاكهة فى مصر طوال السنوات السابقة.. وأن ذلك السر هو ذبابة الفاكهة التى تقضى عليها فوق أشجارها وقبل تمام نضجها.. وأنها ــ هذه الذبابة ــ قد تسببت فى خسارة مصر نحو خمسين مليونا من الجنيهات سنويا. ولذلك لم تتجاوز صادراتنا من الفاكهة المليون جنيه حسب آخر الإحصائيات. وأنها ــ هذه الذبابة القاتلة ــ قد أصابت ٢٧٥ ألف فدانا من رصيدنا من فدادين مزارع الفاكهة الذى يبلغ ٣٥٠ ألف فدان أى أنها قد أصابت حوالى ٧٨,٥٪ من مزارع الفاكهة فى مصر. وأنها تقضى على فاكهة المشمش والخوخ والمانجو والجوافة والموالح..

ففى شهرى مارس وأبريل تلتهم ذبابة الفاكهة محصول المشمش، ثم تتسلل إلى حدائق الخوخ والمانجو والجوافة، وتختتم نشاطها التدميرى بالموالح.. وتتجلى خطورتها فى أنها تنتقل من محصول لآخر بسرعة تفوق جهود المقاومة. وترفض جميع الدول الأوربية شحنة الفاكهة كلها إذا إكتشفت ثمرة واحدة فقط منها مصابة بذبابة الفاكهة، خوفا من انتشار الحشرة فى مزارعها.. مع أن الذبابة نفسها دخلت مصر سنة ١٩٠٤ عن طريق بورسعيد فى شحنة فاكهة واردة من البلاد الأوربية..

وجاء فى التحقيق الصحفى المنشور أن الحل النهائى والجذرى للقضاء على هذه الذبابة اللعينة، هو تعقيم ذكورها بالإشعاع الذرى ثم إطلاقها إلى حدائق الفاكهة، خلال أكبر مشروع علمى بالعامرية يتكلف سبعة وعشرين مليونا من الدولارات، وتقوم بتنفيذه الوكالة الدولية للطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة..

والمشروع ــ كما جاء فى التحقيق الصحفى المنشور فى أغسطس سنة ١٩٨٣ ــ سيقضى على ذبابة الفاكهة فى وادى النيل ــ مصر والسودان معا ــ فى خلال سنتين، أى أن ذلك قد تحقق فرضا قبل نهاية عام ١٩٨٥ !!..

وذبابة الفاكهة المعروفة باسم «ذبابة ثمار البحر المتوسط» لا يمكنها أن تطير لأبعد من نصف كيلو متر. وخلال حياة الأنثى منها ــ التى تمتد شهرا كاملا ــ تضع حوالى ستمائة بيضة.. ونظام الزراعة فى مصر يمثل البيئة المناسبة لهذه الذبابة. فمزرعة الفاكهة الواحدة بها صف جوافة وصف مانجو وصف موالح.. وهكذا، مما يساعد على انتشار الذبابة وبقائها طوال السنة.

وفى ٣ ـ ٤ ـ ١٩٩٠ نشرت جريدة الأهرام أن أحد المسئولين عن التصدير يطالب باعادة مشروع مقاومة ذبابة الفاكهة الذى توقف مما يؤثر على الصادرات المصرية فى المستقبل!..

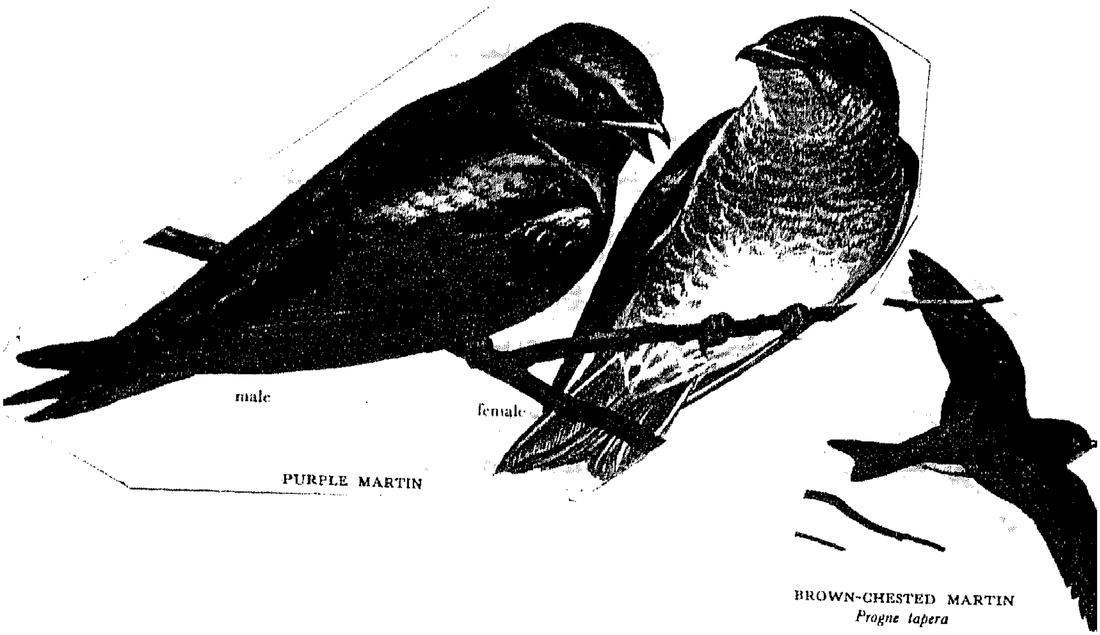
وأنا لا أريد أن أقلل من قيمة المشروع الإشعاعي الذرى.. فمعلوماتى عن مدى إمكانية إنتشار ذكور الذباب التى تم تعقيمها.. ليغطى جميع مزارع الفاكهة فى مصر والسودان خلال سنتين.. ينقصها الكثير، خاصة وقد مضت حوالى عشر سنوات ـ منذ التاريخ السابق تحديده للقضاء نهائيا على هذه الذبابة ـ وما زالت المزارع تشكو من الذبابة اللعينة، بعد أن قضى المشروع الذرى على السبعة وعشرين مليونا من الدولارات، دون الذبابة!!

ومصر لا تعانى من ذبابة ثمار البحر المتوسط وحدها، بل تعانى من جميع أنواع الذباب والبعوض التى تتضافر كافة الجهود لتهيئة البيئة المناسبة لحياتها ونموها وتكاثرها وانتشارها.. وقد إجتاحت أسراب كبيرة من الذباب والبعوض مدينتى بورسيعد وبورفؤاد، التى تنقل الأمراضى والعدوى بين الأطفال والكبار. ويرجع إنتشارها بشكل واسع إلى وجود حظائر تربية المواشى فى منطقة العزب وبعض المزارع السمكية القريبة من بحيرة المنزلة، والتي تعتبر مرتعا خصبا للناموس والحشرات..

كما ظهرت فى محافظة الفيوم ذبابة بيضاء منذ عشر سنوات تقريبا، إلتهمت خلالها آلاف الأفدنة المزروعة بالطماطم ولم تفلح فى القضاء عليها جميع أنواع المبيدات الحشرية. فهرب المزارعون من زراعة الطماطم. وانحسرت المساحة المزروعة بها من ٧٢ ألف فدان إلى ١٢ ألف فدان فقط فى عام ١٩٩١ .. مما ترتب عليه إرتفاع رهيب فى أسعار الطماطم.

وقد أوجدت الطبيعة ما يمكن أن يقضى على كل هذا الذباب والبعوض دون الإلتجاء إلى استعمال المبيدات الحشرية السامة أو البحث عن الذكور لتعقيمها بالاشعاع الذرى بسبعة وعشرين مليونا من الدولارات.

وطائر البيربل مارتنPURPLE MARTIN هو أنسب أنواع الطيور المتهمة THE SWALLOWS للبيئة المصرية ومناخها، ويبتلع الواحد منها ما بين ألفين إلى ثمانية آلاف ذبابة وبعوضة يوميا، ولا يأكل الحبوب إطلاقا..



طائر البربل مارتن وعصفور النار

فاذا كنا نستورد العديد من طيور الزينة، فلماذا لا تستورد المحافظات ـ خاصة القاهرة والإسكندرية والجيزة وبورسعيد والإسماعلية والفيوم ـ وأيضا مزارع الفاكهة الكبيرة، هذا الطائر من أمريكا حيث يعيش فى معظم ولاياتها ويهاجر من بعضها شتاء هربا من الجليد.. وعلى ذلك فالمناخ المصرى يناسبه تماما، ويمكنه التأقلم معه خاصة إذا إستوردناه فى شهرى أكتوبر ونوفمبر..

وفى مصر يمكن إقامة الأعمدة المرتفعة التى تحمل فوق قمتها عشا مجمعا لهذا الطائر فى الحدائق العامة وفى حدائق القصور الجمهورية وفى مناطق زراعة الفاكهة، بحيث تنتشر فى المدن الهامة وحولها.. وتطلق هذه الطيور ـ بمجرد إستيرادها ـ بالقرب من هذه الأعمدة. ولن تحتاج إلى أى مساعدة منا بعد ذلك، إلا تحريم صيدها!..

ولعلنا ببضعة آلاف من الدولارات ـ نستورد بها عددا مناسبا من هذا الطائر، حيث كان ثمن الزوج الواحد مع العش المجمع سنة ١٩٧٨ ـ عندما عرضت السيدة زوجتى المشروع على السيد/ ممدوح سالم رئيس وزراء مصر فى ذلك الوقت ـ حوالى خمسين دولارا.. يمكننا أن ننقذ محصول الفاكهة المصرية السنوى، وأن نقضى على مشكلة إنتشار الكثير من الأمراض التى ينقلها الذباب والبعوض بالقضاء على وسيلة الإنتقال.

وهناك حوالى ٧٩ نوعا من هذه الطيور التى تنتشر فى عدة جهات من العالم، منها النوع الأوربى الذى يعيش فى منطقة الإعتدال الشمالى ـ أى شمال مدار السرطان ـ ويهاجر من أوربا جنوبا نحو الساحل الشمالى لأفريقيا مع بداية الخريف حيث تبدأ الطيور فى التجمع فى مجموعات كبيرة تعد بالآلاف غالبا ـ قبل أن تبدأ رحلتها نحو الجنوب وهى تطيربالنهار فقط وتتناول غذاءها من الحشرات الطائرة أثناء ذلك.

وأحيانا تؤخر هذه الطيور هجرتها الجماعية حتى تبدأ أول بواكير البرد فى تنظيف الهواء من الحشرات الطائرة، بشرط أن لا تقل درجة حرارة الجو عن ١٥ درجة مئوية (٤٨ درجة فرنهيت) وإلا تعرضت للهلاك.

وهذه الطيور صغيرة الحجم، جسمها رشيق وأملس، أجنحتها طويلة ومدببة، لونها داكن يميل إلى السواد، وصدرها يميل إلى البنى الفاتح.. وأرجلها قصيرة وأقدامها صغيرة

وضعيفة، ولذلك تسير على الأرض بصعوبة، وهي لاتفعل ذلك إلا في حالة جمع بعض المواد اللازمة لبناء العش.

وتقضى هذه الطيور معظم وقتها فى الطيران ذهابا وإيابا ومنقارها مفتوح لإلتهام الحشرات الطائرة، ولذلك لا تطير على إرتفا ع عال..

ويميل النوع الأوربى من هذه الطيور إلى إقامة العش فوق المبانى غير المرتفعة.. فهى تفضل الحياة بالقرب من الإنسان ولا تظهر خوفا منه وترتبط بمكان عشها وتعود إليه سنة بعد أخرى، وغالبا إلى نفس العش. وتقوم أحيانا بتجديد العش، وقد تقيم عشا جديدا بالقرب من العش القديم. ويشترك كل من الذكر والأنثى فى بناء العش من الطين والقش والحشائش.

وتبيض الأنثى عادة من ٤ ـ ٥ بيضات، ثم تقوم بحضانة البيض وينام الذكر ليلا بجانب العش، يحتضن البيض بالنهار أثناء غياب الأنثى، ولكنه لا يستطيع أن يحتفظ للبيض بدرجة الحرارة المناسبة، لأنه ليس لديه فى صدره تلك البقعة التى تمتلىء بالشعيرات الدموية التى تستعملها الطيور فى تدفئة البيض.

ومدة حضانة البيض تتراوح بين ١٤ ـ ١٦ يوما تبعا لمدى رعاية الأنثى لدورها. وتمتد مدة رعاية أفراخها من ٢٠ ـ ٢٤ يوما، حتى تستطيع الطيران فور ترك العش. وتعود الأفراخ عادة إلى نفس العش للمبيت عدة ليالى بعد مغادرته لأول مرة. وعادة تقيم الأفراخ الأولى فى نفس المكان وتقوم بمساعدة والديهم فى إطعام أفراخهما بعد ذلك. كما تقوم الطيور التى لا وليف لها، أو تلك التى فقدت أفراخها، بالمساعدة فى إطعام الأفراخ بالعش المجاور. ولذلك تعيش هذه الطيور فى عشوش مجمعة ومتقاربة..

ويشجع الإنسان هذه الطيور على الإقامة والتكاثر ـ لتقوم بالتهام الحشرات الطائرة من الذباب والبعوض ـ باقامة عش الصناديق الخشبية الذى يضم مجموعة من العشوش المتجاورة.

وقد لاحظت تواجد أعداد من هذه الطيور فى الإسكندرية ـ خاصة فى منطقة العجمى حيث يطلقون عليها اسم «عصفور النار ـ خلال شهور الصيف وفى العامرية‍و وبرج

العرب وكينج مربوط يطلقون عليها اسم «سلو» (بفتح السين وسكون اللام والواو) ويبدو أن الاسم مشتق من اسم فصيلة هذه الطيور SWALLOWS ويبدو أنها قد تخلفت عن العودة إلى الشمال فى الموعد المناسب من حيث المناخ ووجود الحشرات الطائرة فى الجو أثناء النهار حتى تجد غذاءها الضرورى لاستمرار الطيران فى رحلة العودة، دون أن تتعرض للهلاك.

ولذلك أنصح باقامة عشوش مجمعة متقاربة على طول الساحل الشمالى ـ من العريش شرقا حتى مرسى مطروح غربا ـ مع زيادة زراعة الأشجار دائمة الخضرة بالقرب منها، لتشجيع هذه الطيور على الإقامة فى مصر لتوافر غذائها بكثرة والمناخ المناسب طوال العام.

الفصل التاسع عشر

لمـــاذا يتفوقـــون؟

لماذا يتفوقون؟

يدهش الكثيرون عندما يشاهدون فيلما ناجحا ثم يعرفون أن المخرج شاب تجاوز الخامسة والعشرين من عمره بقليل.. ولعل دهشتهم تعود الى حيرتهم فى الاجابة على سؤال يراودهم!! متى بدأ هذا المخرج دراسة فن الاخراج السينمائى حتى يمكنه أن يتفوق فى عمله على النحو الذى شاهدوه؟!»..

هل يمكنهم أن يصدقوا أن تعليمه بدأ فى المدرسة الإعدادية فى سن الثانية عشرة من عمره؟!

تنبهت يوما الى أن ابنتى الصغرى أمانى ـ التلميذة بالصف السابع بالمدرسة المتوسطة أو الاعدادية ـ مازالت تحتفظ ببعض الكتب التى استعارتها من مكتبة المدينة MON-ROE COUNTY LIBRARY وكان إلحاحى شديدا عليها لتنتهى من قراءتها حتى تعيدها بسرعة لمنع تراكم الغرامات بسبب تأخير كل كتاب عن أربعة عشر يوما أو تجديد إستعارته قبل نهاية المدة..

أخذت الكتب بنفسى الى المكتبة لأعتذر عن التأخير ولأدفع الغرامة المقررة عن كل يوم تأخير لكل كتاب.. وأدهشتنى المسئولة عن المكتبة عندما أخبرتنى بأنهم لا يحصلون أي غرامات تأخير على الكتب التى يستعيرها تلاميذ المدارس، بخلاف الحال مع غيرهم، تشجيعا لهم علي الإستعارة والقراءة. وعرفت أيضا ان من حق ابنتى أن تستعير آلة تصوير سينمائى ٨ مم وفيلم خام مدته عشر دقائق لتقوم بتصوير مايحلو لها من المناظر الطبيعية أو مواقف الأشخاص أو بعض الحيوانات والطيور. فاذا نال عملها الاعجاب يتم عرضه بمحطة تليفزيون الجامعة. وبذلك تظهر مواهب الانسان فى التصوير والاخراج السينمائى مبكرا.

كانت ابنتى أمانى تستعير بعض الأفلام وآلة عرضها وشاشة العرض وتقوم بتنظيم ذلك مع صديقاتها وزميلاتها بالمدرسة الاعدادية من الأمريكيين والأجانب. وبعد العرض تعيد الآلة والأفلام الى المكتبة.. دون أن تدفع ايجارا عن ذلك، أو ضمانا عند الاستعارة.

وقد قامت أماني ـ وهى فى سن الثانية عشرة بتأليف مسرحية باللغة الانجليزية وإخراجها وعمل الماكياج للممثلات الصغيرات كتطبيق عملى لما درسته فى المدرسة عن التمثيل والإخراج والماكياج.

وأذكر أن تلك المسرحية التى استغرق عرضها حوالى عشر دقائق كانت تضم جميع صديقاتها فى مثل سنها تقريبا. وكانت لاحداهن شقيقة صغرى عمرها ست سنوات، تلازمها فى اللعب. ولم يكن لهذه الصغيرة دور في شخصيات المسرحية مما آلمها جدا وجعلها تنزوى فى ركن بعيد عنهن.. وأوجدت لها أماني دور «الجدة العجوز» فى المسرحية، التى تقف متكئة على عصاها ولا تقول شيئا إطلاقا.. وكان مدهشا للغاية ان تبدو هذه الطفلة فى شكل امرأة عجوز بفعل الماكياج البسيط الذى عملته لها أمانى.

وقد بدأ أثر هذا التعليم المبكر واضحا فى تفوق إبنتى عند عمل الماكياج لفريق التمثيل بالجامعة الأمريكية بالقاهرة سنة ١٩٨٩، فى أحد المقررات الإختيارية.

وقد درست إبنتى الكبري أمل فى مدرستها الثانوية مقررا خاصا بعمل التورتة CAKE DECORATION. وكان عليها أن تأخذ معها الى المدرسة يوم الاثنين من كل اسبوع كعكة تم إعدادها فى المنزل. لتقوم بعمل الزينة أو الديكور لها.. وتحفظ فى ثلاجة كبيرة بالمدرسة حتى تنتهى من عملها، ثم تحضرها إلى المنزل بعد تقييم المدرسة لها.. وقد كان شعورها بالسعادة عظيما لاتقانها هذا الفن.. ولذلك حرصت إبنتى على الاحتفاظ بصداقتها لمدرستها السيدة ميرسير MRS. MERCIER التى علمتها هذا الفن الجميل.

وحتى الآن تجامل إبنتى بنات الأسرة فى إعداد وتزيين كعكة العرس، التى لايمكن مضاهاتها أو مقارنتها بما تقدمه أكبر الفنادق فى مصر. وقد رفضت بشدة أن يقوم غيرها بتزيين كعكة عرسها يوم ١١ أغسطس سنة ١٩٨٨.

وكانت أمل قد درست قبل ذلك مقررا اختياريا آخر فى الأشغال اليدوية والنسيج. وكان المشروع الذى تقدمت به في نهاية الفصل الدراسى «علم مصر» فى ذلك الوقت لتقديمه هدية الى الرئيس أنور السادات فى مؤتمر الدارسين المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا والاتحاد السوفيتى ـ سابقا ـ الذى عقد بالقاهرة فى صيف عام ١٩٧٨،



الرئيس محمد أنور السادات يصافح الدكتورة عايدة البنا وهو
يتسلم منها علم مصر الذى تسجته إبنتها أمل حينذاك

وقدمته نيابة عنها والدتها الدكتورة عائدة البنا، والدكتور فاروق عبدالوهاب رئيس الاتحاد في ذلك الوقت.

وعندما صافح الرئيس السادات السيدة زوجتي، حيا فيها الأم التى حافظت على المشاعر الوطنية لابنتها خلال تواجدها بعيدا عن أرض مصر.

وقد كتب الأستاذ موسى صبرى ـ رئيس تحرير جريدة الأخبار ـ تحت عنوان «هذا هو الحب» رأيت شباب مصر الدارس فى أمريكا وكندا والاتحاد السوفيتي.. استمعت اليهم وهم يتحدثون عن آرائهم وأفكارهم وآمالهم بالنسبة لمصر، التى لم ينفصلوا أبدا عن ترابها حتي أن طفلة احدى الدارسات فى أمريكا، عندما امتحنت فى مدرسة أمريكية فى مادة «النسيج» اختارت أن تنسج علم مصر (جريدة الأخبار ١٥ ـ ٨ ـ ١٩٧٨).

ولعل هذه المقررات الاختيارية التى تقدمها المدارس فى أمريكا بقصد تنمية مواهب ومهارات الطلبة والطالبات من أهم عوامل إقبالهم على الدراسة بحب وشغف، وكذلك نبوغ الكثيرين فى مجالات عمل متعددة، لأنهم يختارونها بأنفسهم وطبقا لاتجاهاتهم الشخصية.

الفصل العشرون

كيف تتعلم الدخول إلى محراب المكتبة

كيف تتعلم الدخول إلى محراب المكتبة

أعجبني قول الآنسة ايمان راشد المعاودة ـ رئيسة المكتبة المركزية بالمنامة عاصمة دولة البحرين ـ أن المظاهر الحضارية التي تعبر عن مجتمع ما ـ في رأيها ـ ثلاثة هي المطار الذي يستقبل الوافدين، والمتحف الذي يعرض التراث، والمكتبة التي تنشر العلم والثقافة..

وأضيف اليها رابعها، وهي دورات المياه العامة، والخاصة أيضا.. فالنظافة سلوك حضاري، ونظافة دورات المياه تعبير عن السلوك الحضاري لأفراد المجتمع..

ومن المؤلم ان لا يعرف الكثيرون ـ ولعلهم الأغلبية ـ كيف يتعاملون مع الكتاب والمكتبة.. وقد حاولت المدارس المصرية معالجة ذلك بأن يشتمل الجدول المدرسي على حصة ـ أو حصص ـ في المكتبة. ولكن بدائية وسيلة التعليم في هذه الحصة، لايمكن أن يغير شيئا مما هو قائم بالنسبة لجهل الغالبية بكيفية التعامل مع الكتاب والمكتبة.. وذلك لسبب بسيط هو أن فاقد الشيء لا يعطيه، مما يقتضي عقد دورات تدريبية خاصة في علم المكتبات للمدرسين والمدرسات الذين تناط بهم تلك الحصص المكتبية..

وحصة المكتبة يومية في البرنامج الدراسي لجميع المدارس الابتدائية والاعدادية ـ المتوسطة ـ في أمريكا. وقد أعدت مكتبة المدرسة لتكون صورة مصغرة من مكتبة الجامعة التي تضم ملايين الكتب. وتبدأ حصة المكتبة بتعليم التلاميذ كيفية الدخول في سكون تام الى معبد الكتب، ثم كيفية البحث في الفهارس الثلاثة عن الكتاب المطلوب، أحدها خاص باسم المؤلف والثاني بعنوان الكتاب والثالث بموضوع الكتاب. فإذا حصل التلميذ على الرقم الخاص بالكتاب، توجه الى المكان المناسب للترقيم واستخرج الكتاب بنفسه.. ثم يتجه الي مكان يجلس فيه للاطلاع في سكون حتى لا يزعج الآخرين.. وعندما تنتهي حصة المكتبة، لا يعيد التلميذ كتابه الى مكانه على الرف، فقد يخطيء الترتيب الرقمي، ولذلك يضعه على مائدة مخصصة لذلك حتى يقوم الموظف المسئول عن ترتيب الكتب رقميا باعادة جميع الكتب الي أماكنها الصحيحة، حتى يمكن أن يجدها بسهولة تلاميذ الحصة التالية.

وتتطور حصة المكتبة الى تعليم التلاميذ طريقة البحث العلمي في بساطة يجهلها الكثيرون من طلبة وطالبات الجامعات المصرية والعربية، مما يجعلهم يجدون صعوبة كبيرة عندما يحتاجون الى المكتبة في دراساتهم المتقدمة.

ومكتبة الكونجرس في واشنطن ـ العاصمة السياسية ـ هي أكبر مكتبة في الولايات المتحدة الأمريكية كلها، ولعلها أكبر مكتبة في العالم أجمع.. ويطبق نظام ترقيمها للكتب في جميع المكتبات في أمريكا. وعندما كنت هناك عام ١٩٧٩ كانت هناك عشر جامعات تمتلك أكبر عشر مكتبات، من بينها المكتبة الرئيسية لجامعة أنديانا في مدينة بلومنجتون بولاية إنديانا..

وتعمل هذه المكتبة من الساعة الثامنة صباحا حتى منتصف الليل. ولكن تبقى قاعات القراءة والبحث مفتوحة طوال الأربع والعشرين ساعة، حتى يجد الطلبة والطالبات مكانا هادئا للمذاكرة أو البحث العلمي في أى وقت يشاءون.

وفي اكتوبر سنة ١٩٧٧ قررت ادارة جامعة إنديانا إغلاق المكتبة العامة في الساعة الخامسة مساء يومي الجمعة والسبت من كل اسبوع، لأن ميزانية المكتبة لا تسمح بتعيين موظفين دائمين بها للعمل في تلك الساعات ـ بين الخامسة ومنتصف الليل ـ ولأن عدد الطلبة الذين تقدموا للعمل ساعات محددة PARTIMERS بالمكتبة LIBRARY WORK STUDY JOB قليل جدا مما اقتضى الغاء بعض الساعات يومي الجمعة والسبت..

واعترض الكثيرون من رؤساء الأقسام والاداريين بالجامعة على ذلك القرار واحتج الطلبة وأعضاء هيئات التدريس بالكليات المختلفة. وأعلنوا خطتهم السلمية لاعلان احتجاجهم، بأن يجتمعوا في الساعة الرابعة والنصف بعد ظهر يوم الجمعة والسبت بالدور الأول في المكتبة وكل منهم يحمل معه كتابه، ثم يمتنعون عن الانصراف من المبنى في الساعة الخامسة مساء. ويبقون في أماكنهم في هدوء تام..

وقال البعض أن إغلاق مكتبة الجامعة مبكرا في هذين اليومين يبين بوضوح كيف يؤثر عجز الميزانية على التعليم..

وتم اجتماع طارىء بين الدكتور روبرت أونيل DR. ROBERT M. ONEIL نائب رئيس الجامعة والدكتور وارد شاب DR. WARD B. SHAAP عميد الميزانية والتخطيط، والدكتور كارل جاكسون DR.W. CARL JACKSON عميد مكتبات الجامعة، استمر لأكثر من ساعتين، تقرر بعده الغاء القرار السابق مستجيبين لاعتراض الطلبة وأعضاء هيئة التدريس بالجامعة.

ويقدم أمناء المكتبة خدماتهم ببساطة شديدة الى كل من يطلبها. وأذكر بكل التقدير الصديق جيمس بولوك JAMES W. POLLOCK الذى كان رئيسا للقسم العربي بالمكتبة الرئيسية للجامعة، فقد كان موسوعة حية، يعرض خدماته ومعلوماته على الجميع خلال ابتسامته التى توحى اليك بمشاعر الألفة والصداقة التى يحملها للجميع. كان يعرف جميع المراجع العربية الهامة بالمكتبة، والتى لم أكن أحلم يوما أن تتاح لى فرصة الاطلاع عليها في ظل النظام الحالى بدار الكتب المصرية.

وقد أكد لى كل من الصديق جيمس بولوك والدكتور بروت DR. K. D. BREAULT الأستاذ المساعد بقسم الاجتماع بجامعة سينسناتى بولاية أوهايو ـ ما لمسته أن الأمريكيين يضعون العلم والأمانة العلمية فوق كل اعتبار آخر. فقد اكتشفت فى شهر فبراير سنة ١٩٨٥ أننى أول من قال بنظرية «العقل والجسد» ـ النظرية الثالثة فى أصل الحب ـ بعد نظرية أفلاطون الأولى «الرغبة فى الاكتمال». ونظرية سيجموند فرويد الثانية «من النرجسية الى الارتباط والمودة»، فى كتابى الأول «التنظيم الاجتماعى للعلاقات الجنسية» وقد أرشدنى الدكتور بروت الى الاجراءات التى يجب على اتخاذها لاثبات حقى القانونى فى الأسبقية عن الدكتور ستانلى شاكتر DR. STANLEY SCHACHTER أستاذ علم النفس بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك الذى كتب عنها سنة ١٩٦٤. وقد نصحنى الدكتور روبرت بارسال جميع الأوراق والمستندات الخاصة بالموضوع الي مجلة تاريخ النظريات Journal of the History of Ideas مع ترجمتها.

وكان من الضرورى أن يتم تسجيل كتابى الذى تضمن «نظرية العقل والجسد» فى المكتبات الأمريكية وأجهزة حفظ المعلومات. وقد ساعدنى على اتمام هذه الخطوة الهامة

الصديق جيمس بولوك، وقيد الكتاب برقم (H Q 663. 3 - A2 - S27 - 1960) وتمت الخطوة التالية باخطار الهيئة القائمة على تاريخ النظريات والآراء والهيئة القائمة على تحرير مجلة علم النفس الاجتماعى والتى تضم قمة علماء العالم فى هذا المجال، فى شهر أغسطس سنة ١٩٨٧.

ولا يبقي بعد ذلك إلا اجراء واحد، وهو أن يقوم أحد الأساتذة المصريين ـ أو العرب ـ فى علم النفس الاجتماعى بنشر بحث باللغة الإنجليزية حول تقييم النظرية الثالثة التى قلت بها سنة ١٩٦٠، ومقارنتها بما كتبه الدكتور ستانلى سنة ١٩٦٤.

وتضم المكتبة مجموعات ضخمة من الكتب من جميع أنحاء العالم، وبجميع اللغات الحية وتلك التى توارت فى الظلام مع تطور وتقدم المجتمعات الإنسانية.. وقد احتفلت المكتبة بحصولها على مجموعة نادرة من الكتب عن الصين والتبت والديانة البوذية، أظن أن الرهبان ـ أتباع الدلاى لاما ـ قد استطاعوا تهريبها من مخابئها الى خارج حدود التبت، التى تحتلها الصين الشعبية.

وعندما قامت ثورة خومينى فى إيران، تدفقت على المكتبة مجموعة هائلة من الكتب عن ايران والمذهب الشيعى الذى يعتنقه الغالبية العظمى من الايرانيين، حتى تساعد الباحثين على فهم وإدراك التغيرات الاجتماعية والسياسية التى تقع فى تلك البلاد..

وفى كل دور من أدوار المكتبة الأحد عشر، توجد ماكينة تصوير ـ على الأقل ـ بالاضافة الى عدة ماكينات مختلفة المقاسات بالدور الأرضى، تعمل جميعها باستعمال العملة أو الكارت الممغنط بتكلفة بسيطة للصورة الواحدة بأى حجم تريد.. دون اشتراط تقديم طلب أو موافقة أحد الموظفين أو سداد الرسم المطلوب!!..

وهذه ليست الخدمة الوحيدة التى تقدمها المكتبة لمن يرتادونها فهناك مكتب المراجع REFERENCE ROOM الذى تلجأ اليه ليساعدك فى البحث عن المراجع المختلفة، بل والأبحاث التى نشرت حول أى موضوع تحدده.

وقد أعيانى البحث يوما عن كتاب هام عن الحياة الاجتماعية والأسرية فى مصر الفرعونية، ولم أجد له أثرا على أرفف المكتبة رغم وجود بطاقة باسم الكتاب فى

الفهارس. ولجأت الى المكتب طالبا المساعدة، فقامت احدى الموظفات بالمكتب بالتأكد أولا من عدم وجود الكتاب فى المكتبة أو فى استعارة خارجية له، قبل أن تقدم لى استمارة صغيرة كتبت فيها اسمى وعنوانى ورقم تليفوني وعنوان الكتاب واسم المؤلف.. ولم يمض اسبوع واحد حتى تسلمت إخطارا من المكتبة بالتوجه لاستلام الكتاب المطلوب. وفى نفس اليوم تلقيت مكالمة تليفونية من مكتب المراجع بنفس المعنى..

وعندما توجهت لاستلام الكتاب فوجئت بأنه قد ورد من احدى المكتبات الجامعية بأمريكا، بأقصى الشمال الشرقى على المحيط الأطلنطى بولاية كونكتكات CONNEC-TICUT التى تبعد عن ولاية إنديانا بثلاث ساعات طيران على الأقل، وأنه قد أرسل باسمى خصيصا بشرط أن تكون استعارته لمدة خمسة عشر يوما فقط دون تجديد، يعاد بعدها الى مكتبته.. ولم أدفع سنتا واحدا مقابلا لذلك، فهى احدى الخدمات المكتبية العديدة.

ورغم أن الكتب فى متناول يد الجميع، فلا يستطيع أحد أن ينقل ملكيتها الى نفسه والخروج بها من المكتبة، لأن بابها لن يفتح له ويدق جرس بصوت مرتفع يعلن وجود لص للكتب، وعندئذ يدعى الشخص لمكتب الاستقبال CIRCULATION OFFICE لمراجعة ما يحمله من الكتب، لعله قد نسى أن يتخذ اجراءات الاستعارة التى من بينها سحب القوة الممغنطة من الكتاب حتى يفتح الباب لحامله..

وقد كنت يوما بالمكتبة العامة للجامعة عندما إنطلقت أجراس الإنذار الخاصة بالحريق. فأسرعت ـ طبقا للتعليمات ـ بالنزول الى الدور الأرضى، مثلما فعل جميع العاملين بالمكتبة وروادها وحضرت سيارات الإطفاء والإسعاف والشرطة وحاصرت مبنى المكتبة وقد ضبط أحد الطلبة ينزوى فى ركن بعيد يدخن سيجارة، مخالفا بذلك التعليمات الخاصة بمنع التدخين فى مبنى المكتبة العامة، إلا فى قسم محدد بالكافتريا الواقعة بالدور تحت الأرضى... وقد حضرت سيارات الإطفاء والإسعاف والشرطة قبل أن ينتهى الطالب من تدخين سيجارته.. ذلك ان جهاز الإنذار لا ينطلق فقط فى مكان تواجد الدخان الناتج عن أى اشتعال ـ ولو كان سيجارة ـ بل إنه ينطلق فى نفس الوقت فى الجهات الثلاث

المطلوب إخطارها فورا.. ولذلك تحركت سيارات الاطفاء والاسعاف والشرطة فورا الى أماكنها المحددة لها تماما من قبل فى دقائق قليلة.. وقد أمكنها ذلك لأن تعليمات المرور الواضحة فى شأن أولوية مرورها فى حالات الضرورة فقط ـ عندما تطلق ذلك الصوت المميز لها ـ يحترمها جميع قائدى السيارات، حيث ينحرفون بسياراتهم نحو الجانب الأيمن للطريق ويوقفونها، ليفسحوا لتلك السيارات طريقها السريع على الجانب الأيسر..

وبالمكتبة قسم للأجهزة السمعية والبصرية كانت ترأسه شخصية نشطة كثيرة الحركة، يقظة جدا ومنضبطة فى عملها لأقصى درجات الانضباط. كانت سريعة الانفعال فى مواقف الغيرة على العمل، هى الصديقة سوزان بوليتانو MRS SUSAN POLITA-NO وقد بدأت صداقتها بالسيدة زوجتى عندما عملت فى هذا القسم تحت رئاستها: وقد توطدت العلاقة بين الأسرتين حتى أطلقت سوزان على طفلتها اسم أمانى ابنتى الصغرى. وقد التقت الأسرتان كثيرا فى الساحة الواقعة أمام منزلنا هناك أو فى الغابة حيث منزل والديها ولتر وهيلين سير WALTER AND HELEN SARE وحيث غرسنا شجرة تفاح رمزا للصداقة الدائمة بين الشعبين المصرى والأمريكى قبل عودتنا الى مصر سنة ١٩٧٩.

الفصل الواحد والعشرون

اضبط .. حرامى!

اضبط .. حرامي!

ماكدت أعود من زيارتي لأحد المرضي بالمستشفي، حتى أبلغتنى السيدة زوجتى أن الأميرة رانيا قد اتصلت تليفونيا، وأنها ترجونى أن أتصل بها بمجرد عودتى.

وما أن سمعت رانيا صوتى حتى قالت فى لهقة واضحة

= عادل، أرجو ان تحضر الى حجرتى فى أسرع وقت. إنى انتظرك الآن، أرجوك .

ما أن طرقت الباب حتى فتحته لى، كأنما كانت تنتظرنى خلفه.. قادتنى الى المقعد الوحيد بالحجرة وجلست هى على طرف فراشها..

بادرتها..

= ما خطبك ؟ لهجتك أقلقتنى.

قالت فى نبرات مرتعشة.

= أنا فى مأزق خطير.. يهددنى ويهدد أسرتى.. أرجوك أن تساعدنى.

تحركت فى مقعدى وقد اعترانى القلق..

= ماهو؟!..

اهتزت شفتاها لكنها لم تجب..

قلت

= رانيا، أرجو أن تخبرينى.

انخرطت فى بكاء تحول الى نشيج، ثم شهقات كأنما تجد صعوبة فى التنفس.

أخذت أهدىء من روعها حتى استكانت وكف بكاؤها.

سادنا الصمت لحظات قبل أن تقول فى صوت خافت.

= أنا متهمة فى قضية سرقة.

وارتفع صوتها فى ضراعة.

= ساعدني، أرجوك أن تنقذ شرفي وشرف أسرتي.

اعتدلت في جلستي لأواجهها.

= من الذي يتهمك؟

ترددت قبل أن تقول.

= أحد المحلات التجارية الكبرى.

= وكيف كان ذلك.

تلعثمت رانيا

= اتهموني بسرقة رداء للنوم.

سادنا صمت ثقيل قطعته بسؤالي.

= وهل فعلت ذلك؟

قالت في تردد..

= أنا مظلومة

حدقت في عينيها وأنا أقول..

= أرجو أن تقولي الحقيقة، اذا كنت تريدين حقا مساعدتي لك.

أجهشت رانيا في بكاء عنيف، لكني لم أحاول تهدئتها، وظللت صامتا أواجهها بعيني حتى هدأت تماما، ثم قلت في غير لين

= أريد الحقيقة كاملة...

وبدأت تتحدث خلال شهقات بكاء..

قلت في لهجة آمرة.

= كفى بكاء، حتى أسمع وأعي كل كلمة تقولينها..

لملمت رانيا نفسها وبدأت تقول ورأسها ساقط أمامها..

= ذهبت اليوم الى المتجر الشهير بسوق المدينة، وقد أعجبني رداء للنوم من الحرير.

وبعد أن تأكدت من مناسبته لى فى الحجرة الخاصة بذلك، وضعته فى حقيبة يدى الكبيرة التى كنت أحملها حينذاك. وعند مرورى بالبائعات، لم تلتفت إحداهن نحوى، ولكن بمجرد أن خطوت خارج المتجر، أسرع خلفى أحد العاملين به وقال انهم يريدوننى بالداخل.. واقتادنى العامل الى مكتب الادارة حيث أخذوا منى الحقيبة وأخرجوا منها رداء النوم الحريرى.. اعتذرت لهم وعرضت عليهم أن أدفع ثمنه ولكنهم رفضوا. تحرر محضر بذلك وطلبوا منى التوقيع عليه ففعلت وعرفت منهم أنهم سيرسلونه الى المحكمة لاتخاذ اجراءات محاكمتى بتهمة السرقة.

وانخرطت رانيا فى بكاء لم يستمر طويلا، فقد جاءها صوتى خشنا.

= لماذا فعلت ذلك؟!

ترددت فى صوت خافت.

= زميلة أخبرتنى أن أحدا لن يرانى إذا أخذت شيئا من أحد المتاجر الكبرى.

سألتها فى شك..

= ألم تخبرك زميلتك تلك عن عدسات التصوير الخفية المنتشرة فى كل أنحاء المتجر، وخاصة فى حجرات تجربة الملابس؟!..

اتسعت عيناها دهشة..

= لا، لم تقل لى شيئا فى ذلك

وفى صوت أردته هادئا، تساءلت.

= هل أنت فى حاجة ماسة الى هذا الرداء الحريرى؟.. وهل يعوزك ثمنه أيتها الأميرة رانيا؟!

ران بيننا الصمت ودموعها تنساب من عينيها فى غير بكاء.. ثم قالت فى صوت خفيض..

= إن شرفى وشرف أسرتى فى خطر كبير.. أرجوك أن تساعدنى.. أرجو أن لا تتخلى عنى..

حرصت على أن تبقى ملامح وجهى جامدة وأنا أقول

= سأحاول، ولكنى لا أستطيع أن أعدك بشيء ..

أجهشت رانيا بالبكاء، وأخذت تردد كلاما بلغتها لم أفهم منه الا كلمتى «أبى وأمى» كأنما كانت تستنجد بهما لانقاذها. كان صوتها مشحونا بالضعف والألم والانكسار..

وفجأة سقطت رانيا علي الأرض وقد مدت يديها نحوى وهى تقول فى ضراعة..

= إن حياتى وشرفى بين يديك، أرجوك أن تنقذهما..

أسرعت أرفعها عن الأرض، فقد هز مشاعرى بشدة أن أرى رانيا ـ الأميرة صاحبة القوام المنتصب والرأس المرفوع ـ ساقطة على ركبتيها تلتمس المساعدة.. لم أستطع الا أن أتخلى عن جمودى وقلت فى عطف..

= أعدك بأننى سأبذل كل ما أستطيعه لمساعدتك، ولكن الأمر قد يحتاج الى بعض الوقت..

وقبل أن انصرف طلبت منى ـ ودموعها تنساب من عينيها ـ أن لا أخبر أحدا عن ذلك الموضوع.

أومأت برأسى موافقا، فقالت

= أرجو أن تبقى على إتصال دائم بى.. يوميا، أرجوك.

مضت أسابيع ورانيا على اتصال دائم بى، تتابع كل خطوة أخطوها فى محاولاتى إنهاء الموضوع وديا، ومنع إحالة الدعوى الجنائية الى المحكمة.

كانت تدعونى الى حجرتها كلما شعرت بالخوف واليأس يعتريانها. وكانت تحاول أن تستبقينى أطول وقت ممكن، فقد كان مجرد وجودى يبعث الطمأنينة الى نفسها، ويشعرها بأنها لا تواجه الأمر وحدها..

كنت أعرف مدى الخوف الذى يملأ قلبها من إرتجاف شفتيها. وعندما سألتنى يوما عن عقوبة جريمة السرقة من أحد المتاجر طبقا للقانون الأمريكى، وأخبرتها بأنها الحبس لمدة

سنة أو دفع غرامة قدرها خمسة آلاف من الدولارات. إمتقع وجهها وبدأت تبكى فى صمت وجسدها يرتجف هلعا..

تركتها حتى هدأت، ثم قلت فى عطف.

= رانيا.. لا تخافى، إننى لن أتخلى عنك. لن يمسك أحد بسوء..

قالت وعيناها تنظران الى لاشىء..

= إننى لن أحتمل فضيحة إحالتى الى المحاكمة.. سأقتل نفسى حتى لا ألوث شرفى وشرف أسرتى..

لم أستطع إخفاء الذعر الذى شاب لهجتى.

= أرجوك يا رانيا، لا ترددى هذه الكلمات..

فرفعت رأسها ونظرت إلىّ وقد بدا الإصرار فى عينيها وهى تقول

= إنهم لن يحاكموا ميتا.. أليس كذلك ؟!

روعتنى هذه الفكرة التى اجتاحت رأسها، لكننى تمالكت نفسى وقلت فى هدوء..

= إن خطواتى لحل المشكلة مقيدة بوعدى لك أن لا أخبر أحدا.. اننى فى حاجة الى طلب العون من بعض الناس الآخرين..

لانت نظراتها، ولكنها لم تفه بكلمة واحدة، فاستطردت..

= إننى أعدك بأن يكون ذلك فى أضيق نطاق ممكن، وللضرورة القصوى..

هزت رأسها يمينا ويسارا دلالة الموافقة..

وقبل أن أفتح الباب لأنصرف، التفت اليها قائلا.

= أرجو أن تستبعدى فكرة الانتحار.. الآن على الأقل، حتى أعلن لك أننى قد فشلت تماما.

قالت وقد انتصبت قامتها وارتفع رأسها.

= لك اسبوع واحد منذ الغد

لم يغمض لى جفن تلك الليلة، واضطررت أن أخبر زوجتى بالقصة كاملة، التى قالت وقد ارتسم الخوف على قسماتها...

= لا تدعها تفعل ذلك.. لا تتركها. أبذل كل جهدك لإنقاذها.

الفصل الثانى والعشرون
كنت أكثر حرصا على التقاليد الهندية

كنت أكثر حرصا على التقاليد الهندية

أسرعت فى الصباح إلى مكتب باتريشيا بدنجر PATRICIA BIDDIN GER ـ مستشارة شئون الطلبة الأجانب.

= لقد جئت إليك أطلب خدمة كبيرة، هامة جدا وعاجلة..

ابتسمت باتريشيا وهى تقول

= أنت تعلم أن طلباتك جميعها تجاب فورا، فإننا نقدر تماما ما تؤديه لقسم الخدمة العامة للطلبة الأجانب.

قلت فى صوت جاد

- أريد ترتيب مقابلة لى مع وكيل نيابة المدينة لأمر فى غاية الأهمية.

سألتنى خلال ابتسامتها.

= هل يمكن أن أعلم شيئا عن هذا الأمر؟

= طبعا...

أخبرتها بما فعلته الأميرة رانيا وعن فشل كل محاولاتى الشخصية لإنهاء الموضوع وديا، ثم قلت..

= لقد اضطررت الى اللجوء اليك لمعاونتى بعد أن هددت رانيا بالانتحار إذا لم أنجح فى محاولاتى خلال هذا الاسبوع، لأنها ترى ـ وهذا حق- أنهم لن يقدموا ميتا الى المحاكمة، وبذلك تنقذ شرفها وشرف أسرتها.

امتقع وجه باتريشيا، وبدا الارتباك واضحا عليها. استأذنت لحظات، وعادت بعد فترة برفقة الدكتور روجرز DR. ROGERS عميد شئون الطلبة الأجانب، الذى بادرنى بقوله قبل أن تلتقى أيدينا مصافحة..

= عادل، أرجوك أن تتابع هذا الموضوع بكل اهتمام. لا تدعها تقتل نفسها.. لا تتركها تفعل ذلك ولو اضطررت لملازمتها أربعا وعشرين ساعة فى اليوم..

وشعرت بيده ترتعش وهو يمسك بذراعى..

= إننا نضع كل ثقتنا الكاملة فيك، وسنعمل على تحقيق كل ماتطلبه فى هذا الشأن.

طمأنته، فاستطرد..

= إننى احتاج يومين فقط لترتيب اللقاء المطلوب..

وفى المساء توجهت لزيارة رانيا فى حجرتها ـ التى كانت تلازمها معظم الوقت خشية أن ترى زميلاتها جريمتها مرتسمة على قسمات وجهها ـ وأبلغتها بما تم.. وقد ضايقها فى أول الأمر أن تعلم باتريشيا والعميد الدكتور روجرز بالموضوع، وخشيت انتشار الخبر.. فطمأنتها على ذلك، وعلت وجهها ابتسامة..

قلت وأنا أحاول أن أبدو مرحا.

= يسعدنى أن تعرف الابتسامة ـ مرة أخرى ـ طريقها الى شفتيك.

تم ترتيب اللقاء مع وكيل النيابة المختص. وفى الموعد المحدد توجهت أنا وباتريشيا الى مكتبه بمبنى المحكمة فى وسط المدينة..

بدأت باتريشيا الحديث عن المشكلة وأهمية حلها بسرعة حتى لايقع حادث انتحار فى الجامعة، خاصة وأن الفتاة من أسرة كبيرة جدا فى بلادها.

إلتفت وكيل النيابة نحوى يسألنى عما أريد، فقلت:

= أرجو أن يحفظ التحقيق نهائيا وفى أسرع وقت حتى لايقع ما نخشاه.

تساءل وكيل النيابة فى نبرات يشوبها الاحتداد..

= كيف تطلب منى أن أفعل ذلك، وقد يكون هناك تنظيم أكبر وراء هذه الجريمة.. وقد يضم طالبات أخريات؟..

أجبته فى هدوء.

= أنا واثق تماما أن التصرف فردى وليس هناك أى تنظيم جماعى بشأنه..

قال وكيل النيابة فى لهجة لم تشعرنى بالارتياح..

= كيف يمكنك أن تكون واثقا بهذا الشكل؟!

شعرت باتريشيا بتطور لهجة الحوار بيني وبينه فقالت ـ خلال ابتسامتها المعتادة ـ موجهة حديثها الى وكيل النيابة..

= لقد نسيت أن أقدم لك عادل سركيس.. إنه محام أمام المحكمة العليا في مصر، وأحد المتطوعين النشطين بقسم الخدمة العامة للطلبة الأجانب بالجامعة، ولعله أقدرهم على فهم وحل مشكلات الطلبة الوافدين من الشرق وهو المسئول عن هذه الحالة ومتابعتها ومكلف بها شخصيا من العميد الدكتور روجرز..

اعتذر وكيل النيابة عن لهجته الأخيرة بسبب سوء الفهم وقال موجها حديثه لي..

= سأحفظ التحقيق نهائيا، وأرجو أن تعتبره كذلك من الآن.. هل هذه كل طلباتك؟

قلت في هدوء

= لا، ليس هذا ما أريده.. الآن على الأقل..

اتسعت عينا وكيل النيابة، والتفت الى باتريشيا، التي التفتت بدورها نحوي متسائلة في دهشة. فقلت

= أرجو أن تحدد موعدا في مكتبك لتحضر الفتاة بنفسها وتعتذر اليك أولا عن فعلتها بصفتك ممثلا للقانون والمجتمع، قبل أن تصدر قرارك بحفظ التحقيق.

قالت باتريشيا في قلق..

= إن هذا الإجراء قد يكون قاسيا بالنسبة للفتاة، وقد يسبب لها ألما شديدا

قلت في إصرار..

= إنه ضروري ـ من وجهة نظري ـ حتى لا تظن الفتاة أن حل مشكلتها كان سهلا وبلا أدنى عقاب ..

هز وكيل النيابة رأسه وهو يقول

= أنا أتفق معك في هذا الرأي.

وتحدد اللقاء ظهر اليوم التالى..

لم أستطع أن أخفى فرحتى بالنتيجة التى توصلنا اليها وأنا أبلغ الأميرة رانيا بالموعد المحدد فى مكتب وكيل النيابة للاعتذار وحفظ التحقيق نهائيا.

كنت أقود سيارتى الى مبنى المحكمة وقد جلست رانيا بجانبى صامتة شاحبة الوجه. تنبي حركات يديها وقدميها عن قلق بالغ. ولاحظت ـ لدهشتى ـ أنها ترتدى بنطلونا، وليس السارى الهندى الذى كانت تحرص دائما على ارتدائه..

كانت باتريشيا تنتظرنا عند نهاية الدرج المؤدى الى مكتب وكيل النيابة. تقدمت رانيا نحوها بخطوات متعثرة ووجهها ساقط نحو الأرض، تحاول أن تتوارى خلف ظهرى. وفتحت باتريشيا ذراعيها لتستلقاها بينهما وتحتضنها وتربت على ظهرها فى حنو بالغ..

وقدمت رانيا اعتذارها ـ خلال دموع الندم ـ أمام وكيل النيابة بحضورنا ـ أنا وباتريشيا ـ الذى أعلنها بحفظ التحقيق نهائيا.. وقال يطمئنها.

= لم يعد هناك ما تخشينه الآن.

عادت رانيا الى صمتها، حتى أنها نسيت أن تلقى الى بالتحية عندما أوصلتها الى مدخل المبنى الكبير الذى تقيم فيه.

وفى المساء دعتنى تليفونيا لزيارتها، وحددت الساعة الثامنة مساء موعدا لذلك..

كانت رائحة البخور الهندى تعبق جو الحجرة عندما دخلت اليها. استقبلتنى رانيا بابتسامة رائعة على شفتيها، وأسرعت تدير المفتاح فى الباب.

سألتها عن سبب ذلك، فقالت خلال ابتسامتها، انها لا تريد ضيوفا آخرين.. ولذلك أيضا أسدلت ستارة النافذة المطلة على مدخل المبنى،

وقفت فى وسط الحجرة مترددا، فقد رأيت المقعد الوحيد فى حجرتها مكدسا بأشيائها.

وقفت رانيا قبالتي لحظات وعيناها تتطلعان إلى وجهي، قبل أن تتقدم نحوى فاتحة ذراعيها.. تراجعت إلى الخلف.

فسألتنى فى اعتراض..

لماذا تراجعت بعيدا عنى؟

قلت في شبه اعتذار..

= يبدو أننى أكثر حرصا على التقاليد الهندية.. كما أننى لم أتعود أن أحصل على مقابل للخدمات التى أؤديها، مهما كانت..

قالت وقد أدهشها تصرفى..

= ليس الأمر مقابلا لما فعلته لي، إننى قد أصبحت ملكا لك منذ اللحظة التى أنقذت فيها حياتى وشرفى وشرف أسرتى..

قلت في هدوء..

= إن المجتمع الإنسانى قد ألغى نظام العبيد منذ سنوات طويلة..

انفرجت شفتاها عن ابتسامة مرحة.

= ان الأمر ليس عبودية.. اننى لك وحدك طبقا لتقاليدنا، فلولاك ما كنت أعيش الآن..

بقيت فى وسط الحجرة لا أدرى ما أقول أو أفعل.. ولعلها لمحت ترددى والحيرة التى تعترينى، فقالت.

= سأكون حريصة على تقاليدنا..

مدت ذراعها نحوى ووضعت يدها على ذراعى ثم قالت.

= إننى أهب نفسى لك..

قلت متسائلا فى اعتراض.

= هل نسيت أنك امرأة متزوجة، وأنه لا يجوز لرجل آخر ـ طبقا لتقاليدكم ـ أن يلمس حتى كفيك؟!

أجابت بسرعة.

= قبل حضورك، غسلت جسدى بماء طاهر، وأطلقت شعرى من ضفيرته ولم أضع اللون الأحمر على مفرق شعرى، وخلعت الأساور الزجاجية الملونة من معصمى، التى وضعوها حوله يوم زفافى

سألتها فى دهشة

= وهل يعفيك ذلك من التزاماتك الزوجية؟ وهل يعطيك الحق فى مباشرة علاقة مع رجل آخر؟!..

قالت فى نبرات واضحة

= إن علاقتى الزوجية السابقة ستنقضى نهائيا بمجرد قبولك لما وهبته لك.

قلت:

= أننى أنتمى لمجتمع لا يبيح إرتباط الرجل والمرأة إلا فى شكل معين هو الزواج..

إبتسمت قائلة..

= لك وحدك أن تصيغ علاقتنا فى الشكل الذى يناسبك وترضاه

= لا أستطيع الزواج بك

ضحكت رانيا وهى تقول

= ألأ نك متزوج؟!.. أنا أعلم ـ من صديقتى وسيمة ـ أن الرجل المسلم يستطيع الزواج بأكثر من واحدة.. وزوجتك قد لاتعترض على استعمالك حقاً لك..

قلت

= إذا افترضنا ـ جدلا ـ موافقة زوجتى، فان ديانتى لا تبيح لى الزواج إلا بامرأة تدين بأحد الأديان السماوية الثلاثة.. اليهودية، والمسيحية، والإسلام..

قالت فى غيظ لم تهتم بإخفائه.

= الذين يبيحون أكل اللحم!..

ابتسمت لقولها، ثم قلت

= ذلك لأننا نعبد إلها واحدا وإن اختلف طريقنا إليه..

تراجعت رانيا وتهاوت جالسة على فراشها، وقد أحاطت وجهها بكفيها..قالت كأنما تحدث نفسها..

= لقد عشت أكثر من عشرة أسابيع لا أرى الحياة إلا من خلالك حتى أصبحت جزءا منك، فكيف تقطعنى وتلقى بى جانبا ؟!..

فاجأتنى كلماتها، ولكنى تمالكت نفسى وقلت.

= سنبقى أصدقاء..

رفعت وجهها يغشاه الألم..

= أنت لا تعرف أن ارتباطى بك قائم منذ أنقذت حياتى وشر فى ..

قلت..

ـ كنت أؤدى واجبى

استطردت رانيا كأنها لم تسمعنى

= وسيبقى قائما إلى أن تطردنى من حياتك ومن هذا البلد فى أسرع وقت..

قلت فى صوت حرصت على أن يكون هادئا

= تعلمين أننى لا أملك الحق فى ذلك.

وارتفعت نبرات صوتها فجأة

= يجب أن لا يبقى كلانا فى بلد واحد.

تساءلت محاولاً تهدئتها..

= لماذا لا تبقين أنت هنا لاستكمال دراستك، حيث أننى سأعود لمصر بعد شهور قليلة، ولا أظن أننى سأعود إلى أمريكا مرة أخرى

قالت ودموعها تنساب على وجنتيها..

= يجب أن نفترق بسرعة، وأنا لا أستطيع أن أطلب منك أكثر مما فعلته من أجلى..

قامت رانيا متثاقلة إلى مكتبها وعادت وبيدها تذكرة طائرة، ناولتنى إياها وهى تقول..

= أرجو أن تحجز لى مكانا على أول طائرة لأعود إلى وطنى، ويجب أن لا يعلم أحد بذلك وأن تكون أنت الوحيد الذى يذهب بى إلى المطار.

وتهدج صوتها..

= بهذا وحده ينتهى ارتباطى بك.

ظلت رانيا صامتة طوال الطريق، رأسها ساقط على صدرها وعيناها لا تحيدان عن يديها المتشابكتين فى حجرها.. وعندما وصلنا إلى المطار كانت حريصة على أن تتقدمنى دائما فى خطواتها. ولم تلتفت مرة واحدة إلى الخلف أو تنبس ببنت شفة، حتى دخلت الطائرة..

وقبل مغادرتى للولايات المتحدة الأمريكية أرسلت إليها خطابا استحثها على العودة لاستكمال دراستها العليا، ولكن خطابى أعيد إلى رفق كتاب يقول كاتبه... أن الأميرة رانيا قد لقيت حتفها - هى وزوجها وشقيقتها ـ فى حادث سيارة بعد أسبوعين فقط من عودتها إلى بلدها..

وعندما أبلغت العميد الدكتور روجرز وباتر يشيا بيدنجر بذلك ارتسمت على ملامحهما مظاهر الحزن الشديد..

قلت وأنا أغالب مشاعرى

= إننا نقول فى مصر.. «وما تدرى نفس بأى أرض تموت».. لقد منعناها من أن تقتل نفسها هنا، لكى تقتل هناك حيث كان مقدرا لها..

الفصل الثالث والعشرون

ضفدعة لكل طالب
والخنزير لثلاثة

ضفدعة لكل طالب والخنزير لثلاثة

كان الدكتور سيسيل بيرد ـ DR.CECIL BYRD الرئيس الأسبق للجامعة الأمريكية بالقاهرة ـ أحد المدعوين إلى الحفل الذى أقمناه فى منزلنا بالمدينة الجامعية إحتفالا بمنح الدكتور محمد عبد الخالق علام ـ نائب رئيس الجامعة الأمريكية ـ درجة الدكتوراة الفخرية فى القانون من جامعة إنديانا سنة ١٩٧٩

كنا ـ زوجتى وأنا ـ نتحدث إليهما بشأن خطاب جامعة إنديانا الذى تسلمته إبنتى الكبرى أمل، تخطرها فيه بنجاحها بتفوق فى الامتحان الذى عقدته لطلبة وطالبات السنة النهائية بالمدارس الثانوية الراغبين فى الالتحاق بها ـ كما جرت العادة بذلك كل عام وتعلنها بترحيبها بقبولها بين طلبتها فى العام التالى، بعد اتمام دراستها الثانوية

كانت أمل منذ طفولتها تتطلع إلى أن تكون طبيبة.. وعندما كانت فى المدرسة الإبتدائية كانت تفرض على خادمة المنزل أن لا تدعوها إلا باسم «الدكتورة أمل».. وعندما إلتحقت بالمدرسة الثانوية فى أمريكا أبلغت المرشدة العلمية ـ أو الدراسية ـ برغبتها تلك، حتى تراعى ذلك عند تحديد المقررات المطلوبة للالتحاق بكلية الطب.ولذلك كان التركيز على مقررات الطبيعة والكيمياء والأحياء..

وقد استفادت ابنتى بدراستها فى المدرسة الثانوية بشمال مدينة بلومنجتون، حسب التوزيع الجغرافى لمحل الإقامة. ففى حصة الكيمياء، كان كل طالبين ـ لا أكثر ـ يجريان معا التجربة العلمية وكان الجميع يلتزمون بوضع نظارات واقية للعين أثناء إجراء التجربة.

وفى معمل الطبيعة كانت توجد أحدث الآلات والمعدات ومنها الليزر.. وفى دراسة علم الأحياء، أتيح لها أن ترى المدرس يقوم بتشريح الأرنب.. وقامت هى وزميلتان لها بتشريح خنزير صغير، وقامت وحدها بتشريح ضفدعة..

ونظام الإمتحانات ـ حسب رغبة الطالب ـ فى فصل واحد من الكتاب فى كل مرة، مع إلتزامه بجدول معين طوال العام لجمع الدرجات حتى لاتقل عن حد معين ـ حد

النجاح ـ ويرمز إليه بالحرف D وهو أقل من المستوى، بمعنى مقبول. وتعلوه درجة C أى المستوى، بمعنى جيد. ثم درجة B فوق المستوى بمعنى جيد جدا، وأخيرا درجة A بمعنى إمتياز..

كـــان إصـــرار أمل على الالتحاق بكلية الطب يدفعها للحصول على أعلى الدرجات وكان المدرسـون يشجعونها على زيادة إجراء البحوث العلمية للحصول على درجات أكثر، حتى أنها ـ ولأول مرة في تاريخ المدرسة ـ حصلت على درجة A- PLUS أى أكثر من أمتياز في علم الأحياء، وكـانت درجات نجاحها النهائية عند التخرج١٠٦٪..

وخلال العام الدراسى كانت قد أدت الإمتحان الذى تجريه جامعة إنديانا للطلبة الراغبين في الالتحاق بها، لأن الالتحاق بالجامعة لا يسمح به للطالب بمجرد حصوله على الثانوية العامة. فهذه الشهادة هى نهاية المرحلة الدراسية الإلزامية لجميع الأمريكيين، أما الإلتحاق بالجامعة فيتطلب درجة معينة في مستوى الذكاء، ولذلك تجرى كل جامعة إمتحانا مناسبا، يشترط النجاح فيه لقبول طلب الالتحاق بها..

قال الدكتور سيسيل بيرد أنه ينصحنا ـ إذا كنا نرغب حقا في تهيئة حياة رغدة لابنتنا ـ أن نعلمها حرفة السباكة، لأنها ستضيع سنوات طويلة من عمرها لتصبح طبيبة في أول الطريق الطويل الشاق..

وقالت السيدة زوجتى أن رغبة أمل وحلم حياتها أن تصبح طبيبة دون الاهتمام بالمال الذى قد تجمعه من ممارستها لحرفة السباكة.

قال الدكتور بيرد أنها ستدرس في جامعة إنديانا سنتين تمهيديتين قبل أن تعرف تماما إذا كانت ستواصل دراسة الطب أم لا. ولذلك نصحنا بأن تلتحق بكلية الطب بالقاهرة. ومن أجل ذلك غادرت معى الولايات المتحدة الأمريكية في يوليو سنة ١٩٧٩.

ولم تكن كل المقررات الإجبارية في المدرسة الثانوية في علوم الكيمياء والطبيعة والأحياء، بل كان هناك ثلاث مقررات إجبارية للجميع هى تاريخ أمريكا، ونظام الحكم فيها، ونظامها الاقتصادى..

ولايعتمد نظام التعليم على حشو المعلومات فى الذاكرة ليتقيأها الطالب على ورقة الإجابة فى امتحان نهاية العام، ولكن على الفهم والإدراك واستيعاب المعلومات خاصة بالنسبة للموضوعات الحيوية..

ففى مقرر نظام الحكم فى أمريكا، يعتبر انتخاب رئيس الجمهورية ونائبه كل أربع سنوات، من أهم الدروس. ولتقريب فكرة اختيار الرئيس من مختلف الأحزاب، يقسم الفصل إلى قسمين، يمثلان حزبى الديمقراطيين والجمهوريين اللذين يتبادلان الحكم فى أمريكا. وترشح كل مجموعة ـ تمثل حزبا ـ ثلاثة منها لاختيار أنسبهم مرشحا عنها، أى عن الحزب ليواجه مرشح المجموعة الأخرى ـ أى الحزب الآخر ـ فى المعركة الانتخابية للفوز بمنصب الرئيس..

ويحدد المدرس صفات المرشحين الثلاثة..

الأول ـ متحرر LIBERAL صغير السن..

الثانى ـ يتخذ موقف الوسط بالنسبة للتفكير السياسى، ومشروعاته الاقتصادية والاجتماعية واضحة.

الثالث ـ محافظ CONSERVATIVE متقدم فى السن.

وتبدأ المناقشة حول المفاضلة بين الثلاثة، المتحرر والوسط المعتدل والمحافظ.. ثم يختار الحزب ـ أو المجموعة ـ أحسن الثلاثة والذى يمكن أن يتقبله الناخبون حتى يحصل على أكبر عدد من الأصوات ويفوز فى معركة الرئاسة. ويكون غالبا هو مرشح الوسط المعتدل، لأنه سيفوز بأصوات مجموعته واحدى المجموعتين.. الأولى، أنصار التحرر أو الثالثة، من المحافظين.. وبذلك يحصل على ترشيح الحزب..

ويتم ترشيح الرئيس ونائبه معا، ولذلك يطبق هذا النظام فى جميع الانتخابات التى تجرى فى أمريكا، حتى بين طلبة المدرسة لاختيار رئيس كل فصل دراسى ونائبه.. وفى حفل التخرج السنوى يقوم رئيس فصل الثانوية العامة (المستوى الثانى عشر) بتسليم علم المدرسة إلى رئيس فصل المستوى الحادى عشر، المنقول إلى السنة النهائية..

وقد لاحظ مدرس التاريخ الأمريكى ـ باتريك ولش PATRICK WALSH ـ أن الطالبات الأجنبيات الثلاث ـ أمل من مصر، ميدوريكو MIDORICO من اليابان،

وفانسامورن VANSAMORN من تايلاند ـ يحصلن دائما على أعلى الدرجات. فعاتب تلاميذه الأمريكيين لعدم اهتمامهم الكافى بتاريخ بلادهم..

ولم يكن جميع الطلبة الأمريكيين بهذا المستوى، فقد كان أحدهم يحل مسائل مادة الجبر ـ أى مسألة ـ بمجرد النظر إليها، حتى أن المدرس قال له يوما أنه ينتظر منه أن يكون أينشتاين الجديد.

وفى مقرر الاقتصاد الأمريكى عرض المدرس فكرة أن مجموعة من الفصل وجدت نفسها على جزيرة منعزلة، وعليهم وضع نظام لمجتمع جديد لتوفير الطعام للمجموعة كلها، وكيفية المحافظة على الحيوانات المنتجة والنباتات المثمرة، وصيد الأسماك والقيام بالأعمال المطلوبة للمحافظة على حياة المجموعة فى الجزيرة مثل قطع الأشجار لبناء المساكن، والمحافظة على نظافة البيئة لمنع انتشار الأمراض.. وتطرق الحديث إلى الفضلات الإنسانية وضرورة التخلص منها وكيفية ذلك..

وتنوعت الاقتراحات من الطلبة، وعندما جاء دور أمل قالت..

= الخنازير على الجزيرة لاتستعمل للطعام، بل تبقى حية لتقوم بتنظيف البيئة، فقد خلقت لتتغذى على هذه الفضلات، لذلك يجب تحريم ذبحها وأكلها..

ونظر إليها المدرس فى دهشة.. فالأمريكيون يأكلون لحم الخنزير بنفس الشراهة التى يأكل بها الخنزير فضلات الإنسان..

الفصل الرابع والعشرون

حملة صحفية ناجحة ضد كامبل مومو

حملة صحفية ناجحة ضد كامبل مومو

لم يطيقوا الانتظار حتى المساء، موعد اللقاء اليومى فى بيتنا الذى يقع على ربوة خضراء فى المدينة الجامعية. كان كل منهم يحمل فى يده نسخة من جريدةINDIANA DAILY STUDENTS -IDS ـ جريدة طلبة الجامعة اليومية، عندما توافدوا فى سرعة لعقد اجتماع يناقشون فيه موقفهم من المقال الذى نشرته الصحيفة صباح ذلك اليوم، والإجراء الذى يتعين عليهم اتخاذه..

فقد نشرت الجريدة مقالا بقلم كامبل مومواCAMPBELL MOMOH وهو طالب من نيجيريا بغرب أفريقيا يدرس للحصول على درجة الدكتوراة فى علم الفلسفة ـ هاجم فيه مصر والرئيس أنور السادات.. جاء به وصف الرئيس السادات بأنه مهرج من عدة وجوه، عندما دبر هجوما مفاجئا ضد إسرائيل فى أكتوبر سنة ١٩٧٣. ورغم تقدمه بالضربة الأولى المفاجئة فقد تلقت الجيوش العربية ضربة قاصمة من القوات الإسرائيلية، وأنه منذ ذلك الحين بدأت تصرفاته الهزلية، التى لم ير العالم لها مثيلا..ولعل أكثرها متعة كانت محاولاته ليلعب دور الرئيس المعجزة مع كل من الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفيتى ـ فى ذلك الوقت ـ رغم اقتصاده المتصدع السيىء الإدارة وخزانة الدولة الخاوية وجيشه المتخاذل..

وقال مومو أن السادات فى لقائه الأخير مع الرئيس كارتر، طلب دعمه بأسلحة حديثة مع تعهده بعدم استعمالها ضد إسرائيل.. وأنه يبدو أن السادات قد تخلى عن الحقائق السياسية عندما ظن أنه يستطيع أن يبارى بيجينBEGIN ـ رئيس وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت ـ فى حظوته لدى أمريكا ودعمها له.. لقد كان عليه أن يدرك أن العرب ليس لهم جذور فيها ـ يقصد فى أمريكا ـ لقد كانت لديه الأسلحة والفرصة سنة ١٩٧٣، ومع ذلك فقد خسر الحرب.. فالواقع والحقيقة يؤكدان أن الجنود الإسرائيليين ـ إذا لم يحملوا غير العصى والهراوات ـ سيهزمون رجال السادات غير المنظمين ولو كانوا يحملون أحدث الأسلحة .

وقال مومو أن سبب ذلك بسيط، فاليهودى يحارب ليعيش والعرب يحاربون للحصول على الأرض. ويقضى الجنود الإسرائيليون خمسا وعشرين ساعة يوميا فى التدريب العسكرى العنيف، بينما يقضى الجنود المصريون ثلثى الوقت المخصص للتدريب فى الصلاة إلى الله.. وتساءل مومو.. كيف يمكن لرجل سليم العقل أن يصلى إلى الله لينصره فى حرب!

وقال أن الحقيقة الآن ـ حينذاك ـ فى الشرق الأوسط، أن بيجين هو الذى يملك فرص السلام، فقوته العسكرية متفوقة.. والسادات لن يستطيع أن يكسب فى غرفة مكيفة الهواء ما خسره فى الصحراء.. وقد هدد بيجين بحرب إبادة شاملة ضد مصر وسوريا فى الجولة التالية..

كانوا ثائرين لكل الإهانات والمغالطات والأكاذيب التى اشتمل عليها المقال. وطالب بعضهم بايذاء الطالب النيجيرى ليكون عبرة لغيره.. ولكنى أخذت أهدئهم رافضا فكرة العنف، الذى قد يؤدى إلى الإضرار بالبعض بالغاء بعثاتهم الدراسية وترحيلهم. واستطعت أن أقنعهم باتخاذ موقف حضارى يتفق مع مكانة مصر..

توجهت صباح اليوم التالى إلى مقر الجريدة حيث إلتقيت بالمسئول عن الصفحة التى نشر بها المقال فى اليوم السابق. وقد عاتبته على السماح بنشر تلك الإهانات لشعب مصر ورئيسها بما تضمنته من ألفاظ بذيئة..

أعلن المسئول أسفه وأبدى استعداده لتقديم الترضية المناسبة. قلت له..

= إن الترضية الوحيدة أن يتاح لنا الرد على كل ما جاء بالمقال ولمدة أسبوع كامل ابتداء من يوم الإثنين القادم.

وفى هدوء قمت بتنظيم حملة على نفس صفحات الجريدة لمدة أسبوع ردا على ما كتبه الطالب النيجيرى كامبل مومو،وقد أشركت معى بعضا من أصدقائى الأمريكيين..

وقدمت له المقال الأول لينشر فى نفس المكان بعنوان «الجيش المصرى أثبت كفاءته».. قلت فيه»..

My patience has at last come to an end with Chuck Marlowe. His problems stem from either his inability to conduct a meaningful interview or from his lack of meaningful insight into the game of basketball and all its aspects. The direction of the interview is entirely dictated by Coach Knight while Marlowe cowers, in awe of Knight's stature, simultaneously aware of his own inadequacy. The program about the country's most colorful basketball coach is delivered as blandly and unimaginatively as possible as none of the meaty questions are ever asked. Coach Knight's occasional revealing statements never are pursued properly.

I realize that Channel 4 cannot staff its sports department with interviewers of the caliber of Dick Cavett, but Chuck Marlowe is of high school journalism caliber.

Indiana fans everywhere implore Channel 4 to return Marlowe to his previous role as championship wrestling announcer where he proved competent. Either give us a qualified, professional sports interviewer or let Coach Knight conduct the show on his own.

Donald O'Brien
graduate student

Egyptian army proves its worth

Students of philosophy should not be removed from realities of life. I wish Mr. Momoh had studied something about Egypt and the Egyptians before writing his opinion. However, we Egyptians can forgive that ignorance — but not such rude words as those profusely scattered throughout his essay (Daily Student Feb. 8). The plain facts reveal that the Egyptian Army won the 1973 war and the Israelis were the ones who "received the severe mauling." The simple proof is that the Egyptians are still on the Eastern Bank of the Suez Canal, treading on the ruins of the Bar-lev line.

It is obvious that today's wars are technological. Egyptians gave proof of their "courage and discipline " when they won the Great Four-Day Battle of the Tanks, which took place on the Sinai Desert while the Israelis were fighting in tanks, not with "sticks and clubs."

Egyptians — Christians as well as Muslims — believe in God and act in His Name. The Muslims spend no more than 30 minutes daily to perform five prayers to God. I can assure Mr. Momoh that Egyptian soldiers train for more than "45 minutes" a day! For your information, military training is considered to be a religious duty.

Adel Sarkiss
Attorney at the
Supreme Court, Cairo, Egypt

Daily Student should apologize

The Indiana Daily Student had better review its editorial policy in due haste. How can a newspaper that pretends to conform to a code of professional ethics publish such an offensive diatribe as that of C.S. Momoh (Daily Student, Feb. 7)? The Daily Student owes an apology to the Muslim community of Bloomington, as well as all Arabs and Israelis for this low and scurrilous attack. In fact, an apology is warranted for exposing all your readers to this vulgarity which falls well below your usual caliber of yellow journalism. This type of thing has its place on bathroom walls and should not be offered a more public forum.

Michael C. Kulwicki
graduate student

Editor's Note: The purpose of the Daily Student opinion page is to provide the University community with a forum for the exchange of ideas. The publication of reader opinions, even when they are emotionally charged, is fundamental to the maintenance of an open marketplace of ideas.

مقتطفات مما نشر في الحملة الصحفية ضد كامل مومو في جريدة IDS

«إن طلبة الفلسفة يجب عليهم أن لايبتعدوا عن حقائق الحياة.. كنت أود أن يدرس مومو شيئا عن مصر والمصريين قبل أن يكتب مقاله. ومع ذلك فنحن المصريين يمكن أن نغفر له جهله ـ ولكننا لا نستطيع أن نغفر له تلك الكلمات الوقحة التى تناثرت فى مقاله.. إن الحقائق الواضحة تؤكد أن الجيش المصرى قد انتصر فى حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣، وأن الإسرائيليين هم الذين «تلقوا الضربة القاصمة». والدليل البسيط على ذلك أن الجنود المصريين ما زالوا على الضفة الشرقية لقناة السويس يطأون بأقدامهم خرائب خط بارليف..

إن السلام العالمى يتوقف على حل مشكلة الشرق الأوسط.. وقد كان الرئيس السادات هو القائد الوحيد فى المنطقة الذى كانت لديه الشجاعة ليبدأ حل تلك المشكلة. وفى عمله هذا لم يكن مهرجا أو محاولا أن يكون الرئيس المعجزة. ولاشك أن مبادرته قد جذبت أنظار العالم لشجاعته..

من الواضح تماما أن الحروب الحديثة تعتمد على التكنولوجيا. وقد أثبت المصريون «شجاعتهم وتنظيمهم» عندما انتصروا فى معركة الدبابات الكبرى التى استمرت أربعة أيام على أرض سيناء، بينما كان الإسرائيليون بدباباتهم ـ والدبابات الأمريكية الحديثة جدا التى أنزلت فى العريش يقودها الجنود الأمريكيون اليهود ـ وليس «بالعصى والهراوات»..

إن المصريين ـ مسلمين ومسيحيين ـ يؤمنون بالله. ولا يقضى المسلمون أكثر من ثلاثين دقيقة يوميا فى تأدية الصلوات الخمس الواجبة عليهم. وأستطيع أن أؤكد للسيد/ مومو أن الجنود المصريين يتدربون على القتال لأكثر كثيرا من الخمسة والأربعين دقيقة يوميا!.. وأرجو أن تعلم أن التدريب العسكرى يعتبر واجبا دينيا بجانب كونه وطنيا..»

وعندما توجهت إلى مبنى قسم الخدمة العامة بالجامعة، استقبلنى أصدقائى من العاملين به يهنئوننى على المقال الذى نشر صباح ذلك اليوم. وفى نهاية الأسبوع نشرت الجريدة مقالا آخر لى تحت عنوان معلومات كاذبة فى صفحة الرأى» بنفس معنى المقال الأول ختمته بقولى.. «إن تهديدات بيجين بتدمير مصر وسوريا ستظل مجرد حلم فى عقل الفيلسوف المضلل..»

وكتب ميشيل كولويكيMICHAEL C.KULWICKI ـ الطالب بالدراسات العليا ـ يطالب الجريدة بضرورة الاعتذار للمجتمع الإسلامى فى بلومنجتون ولكل العرب والإسرائيليين عن ذلك الهجوم البذىء المنحط فى مقال «مومو» الذى نشر يوم ٧ فبراير وقال أن إلزام الجريدة بالاعتذار ضرورى ومؤكد لتعريضها القراء لهذه الكلمات الخسيسة التى لاتستحق مكانا إلا فى دورات المياه.

وكتب ريك خورىRICK COURY ـ وهو أمريكى من أصل عربى، حاصل على درجة الماجستير فى اللغة العربية ـ يقول .. أنه يود مناقشة بعض الملاحظات التى تضمنها مقال كامبل مومو..

أولا: فيما يتعلق بالجذور العربية فى أمريكا، فإنه ـ باستثناء الأمريكيين الأصليين ـ الهنود الحمر ـ من المعلوم أن جميع مواطنى الولايات المتحدة الأمريكية من المهاجرين أو من أولادهم وأحفادهم. ويقدر عدد العرب الموجودين بينهم بحوالى مليونين. ولذلك كان للعرب جذور فى أمريكا. ويمكن للسيد/ مومو أن يوافى بالكتب والمقالات والبحوث الاجتماعية التى تصف العطاء المميز للعرب فى هذا المجتمع ومدى تأثيرهم فيه..

ثانيا: فيما يتعلق بوصفه جيش السادات بأنهم «متخاذلون مخنثون يرتدون الزى العسكرى» فلم يكن متوقعا من دارس لعلم الفلسفة أن يصف رجالا معروفين بالروح الحربية بالانحراف الجنسى..

ثالثا: إننى أتساءل بأى حق أوسلطة يتحدث السيد/ مومو نيابة عن الله؟..

وقال ريك خورى أن الرئيس السادات ـ فى مبادرته السلمية ـ اعترف بحق إسرائيل فى الوجود وأن تعيش فى أمن وسلام بين جيرانها فى المنطقة.. إننى ـ كأمريكى ـ لا أستطيع أن أفهم النظرية الصهيونية لتطبيق نظامين فى المنطقة ـ فبينما نعطى الإسرائيليين الحق فى وطن قومى وفى تقرير المصير، ننكر هذه الحقوق على الشعب الفلسطينى. وبالنظر إلى حقيقة الوجود الفلسطينى كشعب، فإننى أذكر ما قاله مندوب إسرائيل فى الأمم المتحدة.. «عندما يدرك بعض الناس أنهم يكونون شعبا، تصبح كل التعريفات غير لازمة..» .. إننى أتساءل هل يتخذون موقفين مختلفين فى ذلك أيضا؟!..»

وكتبت الدكتورة دارلين ماى DARLENE R. MAY ـ وهى أمريكية كانت تدرس للحصول على الدكتوراة فى الفلسفة الإسلامية ـ تقول «إننى ارجو أن لا يأخذ أحد من ضيوفنا المصريين فى بلومنجتون كلمات السيد/ كامبل مومو مأخذا جادا. أن مقاله يدل بوضوح على أنه ـ فى دراسته للدكتوراة فى الفلسفة ـ قد نسى أن يدرس مقدمة فى علم المنطق.. إنه كطفل صغير ـ ليست لديه ملكة الاستدلال المتطورة ـ لجأ إلى السب والتفريط فى الذم بما لا أساس له من الصحة. فمن الواضح أنه لم يعرف أحدا من المصريين ولم يدرس شيئا عن مصر والثقافة المصرية أو عن الديانة الإسلامية إن بعض الناس فى هذا العالم ـ ومنهم السيد/ مومو ـ يحملون فى قلوبهم الحقد وعدم الثقة والرغبة فى الحرب وسفك الدماء، ولكن الغالبية منا لديهم الآمال المخلصة للسلام.

وقد نجحت الحملة الصحفية تماما، وكان لها أثرها فى تفكير الأمريكيين، مما دفع كامبل مومو إلى الاختفاء فى حجرته أياما، ثم إرسال مبعوث إلى منزلنا يطلب الإعتذار وتقديم الترضية المناسبة ولكن المصريين جميعا رفضوا مجرد لقائه..

الفصل الخامس والعشرون

ادفع دولارا ..

تؤثث بيتا

ادفع دولارا . .تؤثث بيتنا

أقيم حفل كبير، حضره عدد أكبر من الطلبة والطالبات الأجانب ـ الذين ينتمون لأكثر من مائة دولة ـ لتوديع الدكتور داولنج DR. DOWLING العميد السابق لشئون الطلبة الأجانب يوم ٢٦ يونية سنة ١٩٧٧ فى المبنى الدولىINTERNATIONAL HOUSE فى المدينة الجامعية.

كان اختيار الدكتور فاروق عبد الوهاب ـ رئيس اتحاد الدارسين المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا ـ ليلقى كلمة الطلبة الأجانب الوافدين من أكثر من مائة دولة، ذا معنى خاص يعبر بصدق عن مكانة الطلبة المصريين فى نفوس الجميع.. ولذلك كان تدخله لدى المسئولين بالجامعة فى اختيار العميد الجديد من بين المرشحين لهذا المنصب مقبولا وكان يوم فرح عظيم عند المصريين والعرب عندما تم تعيين الدكتور كينيت روجرز DR. KENNETH ROGERS عميدا لشئون الطلبة الأجانب بجامعةإنديانا..

وقبلها بأيام، كانت السيدة زوجتى قد تسلمت خطابا من لجنة الطلبة الأجانب بالمركز الدولى بجامعة إنديانا، بدعوتها إلى الحفل ومشاركتها فى الإعداد له، وتشجيع أكبر عدد ممكن لحضور الحفل بملابسهم الوطنية لإستقبال العميد داولنجDEAN DOWLING عند وصوله للمكان فى تمام الساعة السابعة مساء. وقد جعلوها المنسقة بين جميع تنظيمات الطلبة الأجانب بشأن ما يجب أن تشارك به كل مجموعة من مأكولات وحلوى..

والواقع أن قسم الخدمة العامة للطلبة الأجانب كان يقوم بدور كبير فى تسهيل إقامة الطلبة الوافدين، والمساهمة فى حل جميع المشكلات التى تعترضهم.. ولعل جميع الطلبة والطالبات المصريين يذكرون بكل الحب والتقدير السيدة باتى كنت MRS PATY KENT التى كانت تستقبلهم دائما بابتسامتها الحلوة.. لقد كانت بحق أما للطلبة المصريين طوال فترة عملها بقسم الخدمة العامة للطلبة الأجانب..

وكانت مشكلات الجوازات والإقامة وتأشيرات السفر والعودة تجد صدراً واسعا وعقلا متفاهماً متعاونا من السيدة كيتى بركهارت ـ MRS.KITTY. BURKHART.

كان الدكتور فاروق عبد الوهاب كثير السفر المفاجىء داخل أمريكا وخارجها بسبب منصبه كرئيس لإتحاد الدارسين المصريين، وكان دائما ينسى استخراج الأوراق اللازمة الخاصة بتأشيرة الدخول. والمفروض أن يحصل عليها قبل مغادرة أمريكا.. وكانت المكالمات التليفونية من السيدة باتى كنت، والسيدة كيتى بركهارت تتوالى ـ بعد كل سفر مفاجىء له ـ تسألان عن مكانه لإرسال الأوراق إليه، حتى لا يجد أى صعوبات أو تعطيل عند عودته. ولعل تلك التسهيلات الكبيرة التى كانتا تمنحانه إياها، من أهم الأسباب التى جعلته لا يحمل هما لمثل تلك الإجراءات.. بل إنه كان يعد حقائب السفر فى اللحظات الأخيرة قبل مغادرة مسكنه..

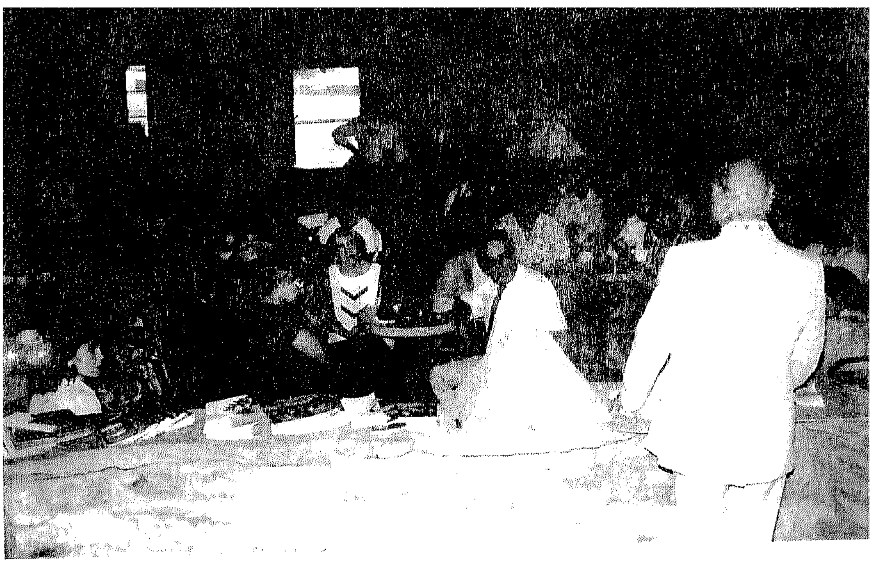
وأذكر أنه قد اضطرنى ذات يوم أن أقود السيارة من بلومنجتون إلى مطار العاصمة إنديانا بوليسINDIANAPOLIS فى أقل من خمس وأربعين دقيقة ليلحق بالطائرة، رغم أن المسافة يجب أن تقطع ـ حسب قانون سرعة السيارات فى ولاية إنديانا ـ فى ساعة كاملة على الأقل وكانت تحمينى من رقابة طائرات الهيلوكوبتر للسيارات السريعة، السحب الكثيفة والأمطار الغزيرة فى ذلك اليوم. وتحركت الطائرة بمجرد أن دلف إليها الدكتور فاروق..

وكان مسئولو الإسكان متفاهمين جدا ومتعاونين مع الطلبة الإجانب. كانوا يبذلون كل جهدهم لراحتهم. لقد كانت السيدة زوجتى ـ على سبيل المثال ـ تقيم فى مسكن مكون من حجرة نوم واحدة وصالة فى مبنى إيفرمانEVER MANN باعتبارها امرأة متزوجة. وعند اقتراب موعد وصولنا ـ أنا والبنتين ـ طلبت مسكنا أوسع للأسرة فاستجابوا بتوفير مسكن مناسب لأربعة أفراد..

ولما غادرنا أمريكا فى يوليو سنة ١٩٧٩، كان باقيا لزوجتى حوالى ستة أشهر أخرى للانتهاء من مناقشة الرسالة واتخاذ كافة الإجراءات اللازمة التالية لذلك. طلبت زوجتى منحها مهلة للبقاء فى المسكن العائلى بمفردها طوال تلك المدة حتى لا يضيع وقتها فى الانتقال. ووافق مسئولو الإسكان فورا..



أسرة الدكتور وليم برينين



حديث عن المشروع الجديد للهرم الكبير
فى مدينة بدفورد فى حفل الإستقبال

ولعل الشيء بالشيء يذكر، فقد كانت عملية تأثيث المسكن مشكلة تحلها جماعة متطوعة من السيدات الأمريكيات على رأسها السيدة مارى ما كراكنMRS. MARY MCCRACKEN أرملة مدرب كرة السلة لفريق جامعة إنديانا الشهير باسم الفريق الأحمر الكبير THE BIG RED وظلت علاقتها بالجامعة والطلبة الأجانب حتى عندما تأخرت حالتها الصحية.

كان الطالب الأجنبى يدفع دولارا واحدا لاستكمال احتياجاته من الأثاث المنزلى والأدوات المنزلية الأخرى على سبيل الإعارة.. كان عليه فقط أن يتجه إلى المخزن الكبير ليختار ما يريد، على أن يقوم بتسليمه قبل سفره عائدا إلى بلاده، فى نفس المكان.

وكانت السيدة ماكراكن معروفة بحبها واستضافتها للمصريين والسودانيين. وكثيرا ما كانت تمر عليهم فى زيارات خاطفة لتذليل أية عقبات تعترضهم.. وقد نشأت بيننا وبينها صداقة وطيدة. كانت تجيد إعداد بعض الوجبات المصرية ـ وخاصة «المسقعة» التى تعلمتها من الدكتورة ليلى بدر ـ الأستاذ بقسم المواد الصحية بكلية التربية الرياضية جامعة حلوان ـ وكان يسعدها أن تدعو المصريين إلى الطعام فى بيتها لتقدم لهم تلك الوجبات.

لقد أسعدنى كثيرا أن تكون السيدة مارى ماكراكن بين الحاضرين فى حفل الاستقبال الذى أقيم لى فى المبنى الدولى يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٨٢. وكان ذلك آخر لقاء لى معها قبل التدهور الكامل لصحتها ونقلها إلى المستشفى..

ورغم أن قوانين جامعة إنديانا لا تبيح الجدل الدينى أو العنصرى فانها كانت تسمح للمسلمين بأداء شعائر الصلاة فى الجامعة فقد سمحت باستئجار مكان داخل المدينة الجامعية لإقامة المركز الإسلامى لإقامة الصلاة وعقد الإجتماعات وإقامة الإحتفالات وانشاء ناد للأطفال. كما سمحت باقامة صلاة العيد فى أرض الملاعب الواسعة فى وسط المدينة الجامعية.. وكان منظرا رائعا ـ يشاهده الكثيرون من خلف زجاج النوافذ ـ أن ترى المصلين والمصليات بملابسهم الوطنية المختلفة من جميع القارات، يقفون صفوفا طويلة لأداء صلاة العيد.. ولم يمنعنى من إلتقاط صور تذكارية لهذا المظهر الرائع إلا إشتراكى فى الصلاة..

وقد أقيم المؤتمر الإسلامى فى جامعة إنديانا عدة مرات، وقد أتاحت الجامعة الفرصة للمشتركين فى المؤتمرات للإقامة فى مبانى الجامعة، وتخصيص أحد مطاعمها الكبيرة ليتناولوا وجباتهم الثلاث فيه.. كما أتاحت لهم إستعمال كافة مرافق الجامعة. وطوال أيام المؤتمر كان اليوم يختتم باشهار عدد من الأمريكيين والأجانب إسلامهم بعد صلاة المغرب.. الموعد الذى كان محددا لذلك طوال أيام انعقاد المؤتمر..

الفصل السادس والعشرون

الأمريكيون يحتفلون بعيد قديس مصري

الأمريكيون يحتفلون بعيد قديس مصري

يحتفل الأمريكيون بأعياد كثيرة طوال العام، منها عيد الحبVALANTINE DAY ـ الذى نقله عنهم الكاتب الكبير الأستاذ مصطفى أمين ـ وعيد الشكر-THA-NKSGIVING.. فالأعياد ـ مثل الموالد فى مصر ـ بصاحبها رواج اقتصادى..

وذات صباح قالت لى ابنتى الكبرى أمل، قبل خروجها إلى المدرسة

= احذر يا والدى من الخروج اليوم دون أن تضع ربطة العنق الخضراء..

ابتسمت وأنا أقول لها مداعبا..

= هل تتفاءلين بها حتى تجتازى إختبارات اليوم بتفوق ؟!..

قالت فى جد

= إذا لم تفعل ذلك، ستتعرض لبعض المداعبات القاسية، لأن اليوم ـ ١٧ مارس ـ يوافق عيد القديس باتريك SAINT PATRICK..

= وما الصلة بين عيد هذا القديس وربطة العنق الخضراء ؟..

= أخبرتنى بعض زميلاتى بالمدرسة أنه يجب أن يكون اللون الأخضر واضحا فى ملابس الجميع، وإلا تعرضوا «للقرص» بالأصابع !..

والقديس باتريك هو قديس أيرلندا وقد لفت نظرى ـ عند دراستى لهذا العيد ـ استعماله لكلمة «شمروخ» فى تعاليمه وهى كلمة لا تستعمل إلا فى صعيد مصر.. ومعناها العصا الغليظة الطويلة المستقيمة والقوية.. والتى يحملها رجال الصعيد رمزا للقوة والسلطة. وقد دفعنى ذلك إلى تتبع أخباره فى بعض الكتب والمراجع والنشرات. وقد عرف القديس باتريك ببشرته الداكنة وأنه جاء إلى إيرلندا من الجنوب وأنه مجهول النسب والهوية، وإن كانت إنجلترا قد أعلنت منذ وقت قريب أنه بريطانى الجنسية!..

وقد ذكرت موسوعة الشباب البريطانية-BRITANIC A JUNIOR ENCYCLO-PAEDIA أن المدنية قد نمت فى أيرلندا على أسس من عادات وتقاليد الكلت، وأن

المسيحية قد انتقلت اليها سنة ٤٣٢ ميلادية بواسطة أحد الصبية العبيد من ويلز، الذى صار فيما بعد القديس باتريك.. وأن الفترة الواقعة بين القرن الخامس والقرن التاسع الميلادى تعرف بالعصر الذهبى لأيرلندا، حيث كانت مركزا للإشعاع الثقافى للعالم الغربى. كان الرجال يأتون إلى أديرة الرهبان لدراسة العلوم والآداب والفلسفة واللغة اليونانية واللاهوت وكانت بعثات التبشير المسيحية تتجه من ايرلندا إلى سكوتلندا وويلز والقارة الأوربية.. وكان الكهنة والرهبان الأيرلنديون يقيمون الأديرة والمدارس فى جميع هذه الأماكن..(١)

وأمكننى أن أعرف عنه أنه كان فى دير رهبان مصرى يقع فى جزيرة بالبحر المتوسط جنوب فرنسا، وأن هناك ـ من عاداته وأفعاله ـ ما يشير إلى أنه مصرى الأصل أى أن الأمريكيين ـ فى رأيى ـ يحتفلون بذكرى قديس مصرى..

وقد عادت بى الذاكرة إلى ما قرأته يوما ـ فى أحد كتب تاريخ الكنيسة المصرية ـ عن بعثة تبشيرية من ثلاثة رهبان مصريين، أرسلتهم الكنيسة القبطية ـ المصرية ـ إلى إيرلندا مع بدايات المسيحية فى مصر. وقد تساءلت فى ذلك الوقت عن سر إرسال تلك البعثة إلى جزيرة نائية، تعتبر نهاية العالم القديم فى الشمال الغربى.. ولم أكن وقتذاك قد عرفت الصلة الحقيقية بين مصر وأيرلندا منذ زمان بعيد..

لقد سجل التاريخ للرهبان الأقباط أنهم غادروا دير المحرق ـ بالقرب من أسيوط بجنوب مصر ـ وذهبوا إلى بلاد فى الشرق والغرب، ومنها أسبانيا وجنوب فرنسا وانجلترا وايرلندا..(٢)

ويقول المؤرخ الإنجليزى ستانلى لين بول STANLEY LANE POLE «إننا لا نعلم بعد ما ندين به نحن هنا فى الجزر البريطانية لأولئك الرهبان القدامى.. فمن المحتمل ـ بل أكثر من مجرد الاحتمال ـ أن نكون مدينين لهم بالتبشير بالإنجيل لأول مرة فى إنجلترا، إذ أنه حتى مجىء القديس أغسطينوس إلى انجلترا كان النظام الرهبانى السائد هو النظام المصرى..» (٣)

وفى أوربا، بشر الرهبان المصريون بالمسيحية وأنشأوا أديرة كثيرة منها دير جزيرة ليرينLERINS بالبحر المتوسط بالقرب من شاطىء فرنسا الجنوبى، وتبعد قليلا عن مدينة نيس، الذى أنشأوه سنة ٤٠٠م.. وما لبث أن صار مشهورا كمركز رهبانى كبير. وقد ترهب فيه القديس باتريك قديس أيرلندا ومؤسس كنيستها الذى استعان برهبان من أقباط مصر فى تأسيس أديرة بأيرلندا وقد خرب دير ليرين أثناء الثورة الفرنسية، ثم جدد فى سنة ١٨٥٩م (٤).

ويقول المؤرخ ستانلى بول «إن المسيحية الأيرلندية ـ وهى أكبر باعث على الحضارة فى أوائل العصور الوسطى فى البلاد الشمالية ـ كانت ابنة الكنيسة المصرية.. وهناك سبعة من الرهبان المصريين مدفونون فى صحراء أولديثULDITH DESERT، وهناك الكثير من الاحتفالات القديمة فى أيرلندا تذكرنا بآثار مسيحية فى مصر أقدم عهدا (٥) وعلى الرغم من عدم وجود صحارى فى أيرلندا، سميت الأديرة هناك إلى اليوم بالصحارى، ومنها صحراء مارتن وصحراء أولاى ULLAIGH (٦).

وقد ورد فى كتاب صلوات قديم فى مدينة دبلنDUBLIN عاصمة أيرلندا الجنوبية ـ «إنى أبتهل إلى السبعة رهبان المصريين المدفونين فى صحراء أولاى أن يكونوا فى عونى..» ويبدو أنه كان لرهبان دير المحرق على الخصوص نصيب واضح فى هذا العمل التبشيرى فقد ورد فى كتاب صلوات قديم «اذكر يارب عبيدك رهبان دير المحرق الذين ردونا إلى الإيمان».. (٧)

ولعل الكثيرين يتساءلون.. متى وكيف بدأ الاتصال بين مصر وأيرلندا؟!..

المعروف أن الكنيسة القبطية المصرية هى الوريثة الشرعية للمعبد الفرعونى القديم، ولذلك أقيمت أول كنيسة مسيحية فى معبد الكرنك، ما زالت آثارها باقية حتى الآن.. ويعتبر المزمور رقم ١٠٤ ـ المنسوب إلى النبى داود ـ والمأخوذ عن أنشودة إخناتون ـ المنحوتة على حوائط معبده بتل العمارنة بمحافظة المنيا ـ أهم مزمور فى الكنيسة المصرية، التى يعود إليها الفضل فى الحفاظ على إحدى لهجات اللغة المصرية القديمة، رغم استعمال الحروف الهجائية اليونانية ـ وعلى موسيقى وأناشيد المعبد الفرعونى بكل روعتها وعظمتها وقدرتها التعبيرية وإن تغيرت بضع كلمات فيها لتناسب الديانة الجديدة..

والعجيب والمثير للدهشة أن رقم ١٣ ـ الذى يتشاءم منه الأمريكيون من أصل ألمانى ـ هو أحد الرقمين المقدسين عند قبائل الأباش APACHE عند الأمريكيين الهنودAMERINDIANS، وهما رقم (١٣) ورقم (٨)، ولذلك فإن الرقم (١٠٤) هو أقدس الأرقام لأنه ناتج الرقمين ٨×١٣..

وقد اعترف بعض الكتاب الإنجليز أخيرا بأن عبور أوربا من عصر الظلام إلى عصر النهضة، يرجع الفضل فيه إلى الرهبان المصريين فى أيرلندا.

وقد كانت أيرلندا ـ فى التاريخ القديم ـ هى نقطه انطلاق المصريين القدماء إلى أمريكا الشمالية عبر المحيط الأطلنطى قبل أن يعبروه من شمال أفريقيا إلى خليج المكسيك ونهر المسيسيبى MISSISSIPPIـ التى أثبتها العالم النرويجى هايردالHEYERDAHL منذ سنوات ـ فى زمن لاحق..

كان المصريون القدماء من عهد بناة الأهرام ـ يعتقدون أن إله الشمس «رع» هو خالق الملوك الأول، وأنه يهبهم الحياة والقوة والجلد ومن ثم جرى فى عروقهم «ماء رع» ذلك الماء الذى هو ذهب الآلهة والآلهات وسائل الشمس المضىء ومصدر الحياة والقوة والصلابة..

وقد اكتشف العلم الحديث ـ كما ذكر الدكتور مصطفى محمود فى إحدى حلقات العلم والإيمان ـ أن الناس تأكل أشعة الشمس عندما تأكل الخضراوات ولحوم الحيوانات العشبية، لأن النباتات تتغذى بأشعة الشمس عن طريق التمثيل الكلوروفيللى ..ومازلنا نصف أشعة الشمس بالذهبية!..

وقد كان الذهب هو نفسه «الأم الكبرى» أو البقرة المقدسة «هاتور». ولذلك اقترنت كلمة «نوب» ـ أى الذهب فى اللغة المصرية القديمة ـ بهذا الرمز المقدس ـ البقرة هاتورـ بصفة خاصة.

وكان الدليل على قدسيتها عقدا من القطع الذهبية «نوب» ومنه اشتقت كلمة «النوبة» وهو الاسم الذى أطلق على الإقليم الذى أخذ منه الذهب أول الأمر، والذى كان يعد الإقليم الخاص بالبقرة المقدسة هاتور.

ولم يصبح الاعتقاد بإمكان إطالة الحياة بعد الموت إعتقادا واضحا وملموسا ماديا، إلا حين اخترع فن التحنيط. وقد استطاع المصريون القدماء بهذه الوسيلة أن يحفظوا جسم الإنسان دون أن يتطرق إليه الفساد..

ولم تكن فكرة الفردوس السماوية قد نشأت بعد، غير أن الناس قد استقرت فى خيالهم فكرة الفردوس الأرضية، التى ينعمون فيها بما لا يحصى من الذهب وأكسير الحياة..

كانت الأقاصيص التى ظلت لعدة قرون منتشرة فى أيرلندا ـ قبل أن يذكرها الراهب الأيرلندى سان بريندانSAINT BRINDAN فى القرن الخامس الميلادى ـ بوجود الفردوس على سطح الأرض فى جزيرة بعيدة تقع غرب أيرلندا..

من الصعب أن نتصور عقيدة ما أوسع انتشارا وأقوى أثرا فى مصير الإنسان من تلك الفكرة العجيبة، فكرة وجود جزيرة فى بقعة غير معروفة من البحر الغربى ـ حيث تلتقى الأرض بالسماء ـ فيها قوة سحرية مدهشة تمنح الإنسان الرخاء والسعادة فى هذه الدنيا، والخلود فى الحياة الأخرى..

ولقد كان المصريون القدماء هم أول من أبحر من أيرلندا غربا فى المحيط الأطلنطى بحثا عن تلك الجزيرة «الفردوس الأرضى» منذ زمن بعيد جدا.. عندما كان المصريون يستعملون الكتابة الهيروغليفية.. وقد وصلوا إلى أمريكا الشمالية فى منطقة نيو إنجلندNEW ENGLAND ..

وقد أكد ذلك العالم الباحث بارى فل BARRY FELL فى كتابه أمريكا قبل الميلادAMERICA B.C الذى أفرد فيه فصلا خاصا بعنوان «التواجد المصرى» (٨) قدم فيه دليلا جديدا على قيام قدماء المصريين بزيارة أمريكا الشمالية، وأنهم نقلوا معارفهم إلى المقيمين فى كندا والولايات المتحدة الأمريكية بكتاباتهم الهيروغليفية..

كان دليله ذاك، ورقة فى كتاب للقس يوجين ڤيتروميلEUGEN VETROMIL الذى كان يقوم بالتبشير بين قبيلة واباناكى WABANAKI من الهنود الحمر بولاية مينMAIN ، وتضم الورقة «الصلاة الربانية المسيحية فى هيروغليفية ميكماك» THE LORD,S PRAYER IN MICMAC HIEROGLYPHS ـ عنوانا لها..

ومن النظرة الأولى، أدرك العالم الشهير بارى فل أن أكثر من نصف العلامات الهيروغليفية المصرية المدونة هى بالشكل الهيراطيقىHIERTIC المبسط فى حروف متصلة.. وكانت دهشته العظمى عندما تبين أن معانى هذه العلامات فى اللغة المصرية القديمة تماثلت مع معانيها فى تلك الورقة..

كان العالم بارى فل قد قرأ أن بعض قبائل الهنود الحمر ـ فى شمال شرق أمريكا ـ يستخدمون فى كتاباتهم طريقة الحروف الهيروغليفية، ولكن ذلك لا يرقى إلى مستوى الدليل العلمى..

كانت هيروغليفية قبيلة الميكماكMICMAC تستعمل قبل سنة ١٧٣٨م، ولم تكن الحروف والعلامات المصرية القديمة المرادفة لها قد حلت رموزها واكتشف معناها حتى عام ١٨٢٣ بمعرفة العالم الفرنسى شامبليون CHAMPOLLION، عندما نشر أول بحث له عن حجر رشيد.. وكان هذا الدليل قويا للغاية لأنه استبعد تماما فكرة أن يكون أحد الأشخاص الذين يعرفون طريقة كتابة الهيروغليفية المصرية، قد اخترع كتابة الميكماك من قبائل الهنود الحمر..

يضاف إلى ذلك أن أسلاف شعب الميكماك كانوا يستعملون نفس الحروف الهيروغليفية المعبرة عن الفضة والذهب مثلما كان يستعملها المصريون القدماء..

ولعل فى ذلك كله الدليل القوى على أن هيروغليفية شعب الميكماك قد انتقلت إلى أمريكا منذ زمان بعيد جدا عندما كانت مصر القديمة تستعمل الكتابة الهيروغليفية..

والميكماك قبيلة من الهنود الحمر تسكن منطقة أكاديا ACDIA بشرق كندا، وتربطهم صلات قوية بعدة قبائل تقيم بولاية مين MAIN ـ فى شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية ـ هى قبائل الواباناكى WABANAKI ومعناها «رجال الشرق»..

وقد وجد العالم بارى فل كتابا يتضمن ٤٥٠ صفحة بهيروغليفية الميكماك من أصول كتبها القس ميلارMILLARD إلى شعب الميكماك قبل وفاته سنة ١٧٦٢م، أى قبل إكتشاف شامبليون لحجر رشيد بواحد وستين عاما.. وقد اشتمل الكتاب على المئات من مختلف الحروف والعلامات الهيروغليفية التى تؤكد صلتها بالهيروغليفية المصرية القديمة أو المرادفات الهيراطيقية..

إن القس ميلار لم يخترع أسلوب الكتابة الذى إستعمله فى كتابه، والذى وجد أنه الأسلوب الأسهل لتعليم الهنود الحمر.. ولكنه استعار أسلوبا للكتابة كان مستعملا فعلا بينهم، فى الوقت الذى بدأ فيه الكاردينال ريشليوRICHELIEU إرسال البعثات التبشيرية للعمل بين الهنود الكنديين..

وقد أثبت العالم النرويجى هايردال HEYERDAHL إمكانية عبور المصريين القدماء للمحيط الأطلنطى من شمال أفريقيا إلى ما يقابلها من جزر الهند الغربية، ثم إلى خليج المكسيك ومصب نهر المسيسيبى وصعودا إلى منابعه، حيث وجدت آثارهم بكتابات مصرية وليبية، أى أن هذا العبور كان تاليا للعبور الأول الذى تم عن طريق أيرلندا إلى شمال شرق الولايات المتحدة الأمريكية..

ولعل ذلك يفسر سر وجود مئات من الصخور الضخمة التى تقف فى صفوف مستقيمة تتجه من الشرق إلى الغرب، فى سهل الكرنك CARNAC بمنطقة بريتانى فى شمال غرب فرنسا.. وقد أعلن جون ويليامز JOHN WILLIAMS فى عام ١٩٦٩ أن فى هذه الصخور حجر كوارتز من الكريستال الشبيه لذلك النوع المستعمل فى أقدم نظام استقبال لاسلكى.. وأنه يعتقد أن هذه الصخور تشكل قوة عظيمة، ولو أنه لا يعرف لأى غرض قد أقيمت!

هوامش الفصل ٢٦

(1) J .W.C WAND,A HISTORY OF THE EARLY CHURCH TO A.D.(١) 500, LONDON 1937.P. 250, 251- وأيضا - BRITANNICA JUNIOR ENCYCLOPAEDIA, I,P. 126.

(٢) الأنبا غريغوريوس، الدير المحرق تاريخه ووصفه ص ٣٨١ ـ ٣٨٣

(٣) STANLEY LANE - POOLE, CAIRO SKETCHES OF ITS HISTORY Monuments And Social Life, LONDON 1989 P. 203, 204.

(٤) A.S. ATIYA , A HISTORY OF EASTERN CHRISTIANITY,LONDON 1968, P. 54, 55

(٥) STANLEY LAN E - POOLE : المرجع السابق ص ٢٠٤

(٦) صفحة من تاريخ القبط، مطبوعات جمعية مارمينا العجايبي بالإسكندرية الرسالة الخامسة ص ١٥

(٧) المرجع السابق ص ٧٩

(٨) BARRY FELL, AMERICA .B.C

الفصل السابع والعشرون

لا نريد المدنية الحديثة ..
إنها ستطرد الروح المقدس

لانريد المدنية الحديثة ..
إنها ستطرد الروح المقدس

التقيت يوما ـ فى عام ١٩٧٨ ـ بإحدى الفتيات على درج المركز الصحى لجامعة إنديانا، وحين سألتها ـ باللغة العربية ـ عن موعد وصولها من مصر، اتسعت عيناها ولم ترد..

فسألتها باللغة الإنجليزية عن جنسيتها، وأدهشنى أن تقول إنها أمريكية.. ثم زالت دهشتي عندما قالت إنها من الهنود الحمر.

ولعل سؤالى الأول لها يوضح كيف بدت هذه الفتاة كاحدى بنات مصر..

ولم يسعدنى الحظ بلقاء عدد كبير من الهنود الحمر.. ويعود هذا الاسم إلى الخطأ الذى ارتكبه كريستوفركولمبس CHRISTOPHER COLUMBUS عندما رست مراكبه فى سان سلفادور SAN SALVADOR، واعتقد أنه قد وصل إلى الهند من الناحية الشرقية فاطلق اسم الهنود على سكان العالم الجديد. ويطلق عليهم الآن إسم الأمريكيين الهنود AMERINDIANS.

وفى عام ١٩٨٤ إلتقيت بالفتاة الرائعة ليسلى لفاتو LESLEE LOVATO من مدينة لونجمونت LONGMONT بولاية كولورادو التى أرجو أن تبقى شعلة مضيئة تنير طريق الأمريكيين الهنود.

وقد ولدت ليسلى من والدين ينتميان إلى قبيلتين مختلفتين من الهنود الحمر، وبذلك تحدد مصيرها.. فالأم من قبيلة الأراباهو ARAPAHOE وأبوها من قبيلة السيوكس SIOUX. وقد أنجباها عندما كانا يدرسان فى جامعة كولورادو. وقد التحقت ليسلى بنفس الجامعة بعد ذلك.

ولذلك فهى تجمع بين جمال السيوكس وشجاعتهم وكبرياء الأراباهو وعظمتهم.

وعندما التقيت بها أول مرة كان عمرها آنذاك ثلاثة عشر عاما.. وقد بهرنى كبرياؤها واعتزازها بانتمائها إلى الأمريكيين الهنود، بحضارتهم وتقاليدهم الرائعة..وقد حرصت

ليسلي على معرفة حضارة وتراث الهنود الحمر من خلال دراستها الجامعية، كما اشتركت في مجموعتين للهنود الأمريكيين في الجامعة، حيث يطلقون على أنفسهم إسم «الأمريكيون الأصليون» NATIVE AMERICANS..

وقد كنت أود أن أزور والديها الطبيعيين في المستعمرات التى يقيمان بها.. فقد تبنتها أسرة أمريكية تختلط فيها الدماء الفرنسية والأمريكية الهندية، منذ لحظة ميلادها..

والمجتمع الأمريكي يأخذ بنظام التبنى، ويشترط اتخاذ بعض الإجراءا ت الضرورية، كدراسة حالة طالبى التبنى من حيث الحالة الصحية والسلوك الاجتماعى القويم، قبل أن تتم الموافقة نهائيا على طلب التبنى وإلحاق الطفل باسم الأسرة الجديدة. وعندئذ يتقدم الوالد والوالدة بالتبنى، بالطفل إلى مجتمعهما في حفل بسيط، قد يقام فى مسكنهما أو محل عمل كل منهما خلال الفترة المخصصة للراحة، مع تناول القهوة والشاى والمرطبات.

وغالبا يبدأ التبنى منذ لحظة ميلاد الطفل، عندما تكون الأم الطبيعية قد حملت به على غير رغبة منها، أو بسبب جهلها بوسائل منع الحمل أو لأسباب اجتماعية أو اقتصادية أخرى.. وعلى ذلك يتم الإتفاق بين الأم الطبيعية وطالبى التبنى على استلام الطفل بمجرد ميلاده.. وقد قام الزوجان چو وبرناديت لڤاتو LOVA-TO JOE,BERNADETTE بتبنى الطفلة لسلى التى تجرى في عروقها دماء قبيلتى الأراباهو والسيوكس الشهيرتين..

وقد كان هناك تبادل تجارى بين قبيلة الأراباهو ARAPAHOE وقبائل الشايان CHEYENNES والسيوكس SIOUX . وفي بداية معاركهم ضد المهاجرين الأمريكيين الجدد في ولاية كولورادو، انسحبت قبيلة الأرابا هو إلى الشمال حيث تحالفت مع قبائل السيوكس الأكثر قوة.. والواقع أنه لم يكن باستطاعتهم البقاء في كولورادو ليعيشوا على الصيد وحده نظرا لهروب قطعان الجاموس الوحشى ـ الذى يطلقون عليه اسم بافلو BUFFALO ـ بعيدا عن طرق السكك الحديدية التى أنشئت في تلك المناطق..

وقد تزوج بعض أفراد من قبيلة الأرابا هو من قبائل أخرى ـ وحتى عام ١٩٥٧ كان عدد المتزوجين من خارج القبيلة ٧٥ امرأة و ٦٥ رجلا..

وكانت مشكلة انتساب الأطفال من الزواج المختلط إلى قبيلة الأرابا هو قد اثارت جدلا كبيرا. وفي عام ١٩٥٢ شكل المجلس العام للقبيلة لجنة من الشباب التي اقترحت أربعة قواعد لقيد الأطفال في سجلات القبيلة.. وبالتالي التمتع بالمزايا الاجتماعية والاقتصادية..

الأول: تقديم طلب إلى المجلس العام مصحوبا بشهادة ميلاد الطفل المطلوب قيده في خلال عامين من تاريخ ميلاده..

الثاني: تقديم ما يثبت أنه تجرى في عروقه دماء الأرابا هو بقدر ٢٥٪ على الأقل، أى أن يكون الجد أو الجدة من الأرابا هو.

الثالث: أن يكون أحد الوالدين مقيدا في سجلات القبيلة.

الرابع: أن يكون الطفل المطلوب قيده مولودا من زواج شرعي..

فالهنود الحمر لا يؤمنون بحرية العلاقات الجنسية، ويعتبرونها إهدارا لكرامة الرجل والمرأة سواء.

وثار نزاع حول هذه الشروط وخاصة الشرط الأخير.. وقد اقترح البعض أن يكون الأب فقط هو المنتسب للقبيلة، وإزاء ذلك أحيل الموضوع إلى لجنة أخرى تشكلت من اثنتي عشر رجلا وامرأة.. وبعد إجراء مناقشة عامة في مجتمع القبيلة، اجتمع المجلس العام في ٢٢ أبريل سنة ١٩٥٤ وحصل المشروع على أغلبية ١٥١ صوتا ضد ٤١ وقد تمت الموافقة على الشرطين الثاني والثالث كما هما.. واتفقوا على تسهيل القيد للأشخاص الذين تزوجوا طبقا للتقاليد الهندية عن أولئك الذين تزوجوا بالشكل القانوني، كما إتفقوا على جواز قيد الطفل إذا تزوج والداه قبل تقديم الطلب أو إذا قام زوج الأم بتبني الطفل بشرط أن يكون من رجال القبيلة.

وتم الإتفاق على أن الطفل المولود لامرأة من الأراباهو متزوجة من غير قبيلتها، يجب إستبعاده من القيد بسجلات القبيلة..

وفى ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٦ قام المجلس بتعديل شروط القيد فاشترط أن يكون والد الطفل من الأراباهو، وأن يتزوج والدا الطفل قبل مضى سنتين من مولده..

وبعد خمس سنوات اعترض البعض لدى المجلس العام، وقد طالب أحدهم بقيد الأطفال المولودين من نساء غير متزوجات أو من نساء متزوجات بغير رجال القبيلة، ولكن المجلس العام رفض جميع الاعتراضات بأغلبية ١٨٦ صوتا ضد ٧٢..

وبنات السيوكس مشهورات بجمالهن، وما زالت بعض فتيات السيوكس يضعن دائرة حمراء على وجوههن فى المناسبات الخاصة، كما كن يفعلن منذ مئات السنين..

وفى بعض المناسبات والاحتفالات تحرص فتيات السيوكس على ارتداء ملابسهن التقليدية الجميلة وعرض مهارتهن فى ركوب الخيل..

ويحتفظ السيوكس بلغتهم الأصلية فى معاملاتهم داخل المعسكراتRESERVATIONS التى يقيمون فيها.. إنهم يفهمون اللغة الإنجليزية ويتحدثون بها بطريقتهم الخاصة، لأن الطفل لا يتحدث فى بيته بغير لغته، حتى يذهب إلى المدرسة فيتعلم اللغة الإنجليزية ـ أقصد اللغة الأمريكية!. ويرفض بعض الهنود السيوكس كبرياء أن يتحدثوا باللغة الإنجليزية فى بعض المناسبات ـ رغم قدرتهم على ذلك ـ ويصرون على طلب حضور مترجم..

وكان السيوكس معروفين باسم الفرسان الحمر والمحاربين ذوى الكبرياء. وقد كتب عنهم أحد الفرنسيين سنة ١٦٦٩م ـ وهو الأب ماركت PERE MARQUETTE ـ أنهم لايهاجمون إلا إذا هوجموا ويحفظون وعودهم بإخلاص.

ويقيم السيوكس والأراباهو ـ مثل جميع قبائل الهنود الحمر ـ فى مستعمرات تحيط بهم الأسلاك الشائكة، لتمنع امتدادها والتوسع فى مساحتها. والأجيال الجديدة منهم ـ مثل غيرهم ـ يستمعون للموسيقى ويشاهدون نفس برامج التليفزيون، ولكنهم فخورون بكونهم من الهنود الحمر، وتراهم يحتفظون دائما ببعض ما يرمز إلى ذلك. وبعض الأولاد يقسمون شعرهم إلى صغيرتين، مثلما كان يفعل المحاربون قديما.. ويميل الأولاد والبنات إلى ارتداء ملابسهم الوطنية ـ التقليدية ـ لحضور الحفلات.

ويقول مثل شهير بينهم إن «الأمة ـ وهم يقصدون أمة السيوكس ـ لا تضيع طالما كانت روح النساء عالية، فاذا سقطت قلوبهن إلى الأرض انتهى كل شيء وماتت الأمة»..

والمرأة الهندية عامة ضد الإجهاض، وهي لاتستعمل موانع الحمل وتعلن أن الهنود الحمر قد تعرضوا للقتل لأكثر من ثلاثمائة عام، وأنهم يحتاجون لمزيد من الهنود الحمر وليس أقل..

وما زال أطفال السيوكس يتعلمون ركوب الخيل قبل أن يتعلموا السير على الأقدام.. ومهما اضطر السيوكس إلى الحياة فى المدن الكبيرة والبعيدة، مثل شيكاغو ولوس أنجلوس LOS ANGELES ودنفرDENVER ونيويورك، فإنهم يعودون دائما إلى المستعمرات ليكونوا هنودا مرة أخرى..

وما زالت روابطهم بالماضى قوية جدا، فهم يعيشون حياتهم فى عالمين مختلفين. فقد يعمل الرجل منهم فى برنامج كومبيوتر ـ آخر ما وصل إليه العلم الحديث ـ ويعيش فى منزل حديث، ولكنه يفضل أن يذهب لطبيب القبيلة التقليدى ليعالجه بالطب الشعبى، عن التوجه لأحد الأطباء من البيض.. ولذلك كان خطر مرض الإيدز بعيدا عنهم حتى الآن.. وقد تصلى المرأة منهن فى إحدى الكنائس المسيحية، وبعدها مباشرة تشارك فى أحد الطقوس والشعائر الهندية.

وقد اكتسب الهنود الحمر احترام الشعب الأمريكى كله، بما أدوه فى حرب ڤيتنام والحرب الكورية، على عكس جماعات الأميش AMISH الذين يرفضون الحرب والقتال.. والهنود الحمر يؤمنون بأنه ـ مهما كانت الظروف المعيشية صعبة ـ فان الأمور تتجه دائما نحو الأفضل..

وفى عهد الرئيس فرانكلين روزفلت FRANKLIN ROOSEVELT أعيد تنظيم الهنود الحمر بقانون سنة ١٩٣٤ الذى منحهم حكما ذاتيا محدودا ـ على نفس النمط الذى تريد إسرائيل أن تمنحه للفلسطينيين ـ فكان لهم رؤساء قبائل ومجالس استشارية منتخبة لمباشرة شئون القبيلة. كما أنشئت المحاكم الهندية بقضاة ورجال شرطة منهم،

للنظر في القضايا البسيطة الخاصة بشرب الخمر والإخلال بالنظام.. وأصبح لهم ـ كمواطنين أمريكيين ـ حق الانتخاب.

وقد كنت أتمنى لو إستطعت زيارة قرية هوتڤيلا HOTVILLA في شمال شرق ولاية أريزوناARIZONA لأهمية الأحداث التي وقعت فيها منذ عدة سنوات..

فقد قررت الولاية إدخال شبكات المياه والكهرباء والتليفونات إلى القرية. وفي يوم ٢٠ مايو سنة ١٩٦٨، دخلت مجموعة من العمال بعربات ضخمة وبولدوزرات، لكنهم فوجئوا برئيس القرية دان كاتشونجفا DAN KATCHONGVA ومجموعة من رجالها المسنين قد وقفوا في منتصف الطريق يعترضون تقدم تلك العربات. والبولدوزرات الضخمة، فاضطرت إلى التوقف..

سألهم رئيس القرية .

= لماذا أتيتم بكل هذه الآلات الضخمة ؟..

ابتسم رئيس مجموعة العمال قائلا .

= إنه يوم عظيم لهذه القرية، فستحصلون على الكهرباء والمياة النقية وخدمة التليفون..

هز رئيس القرية رأسه معترضا.

= لا، نحن لانريد هذه الأشياء.. هذه قريتنا المقدسة، وهذه الأشياء تدنسها.. نحن راضون بما لدينا من الماء العذب وضوء الزيت.

قال رئيس مجموعة العمال.

= ولكن هذا هو التقدم والمدنية الحديثة، فان هذه الإصلاحات لصالح شعب القرية..

رد رئيس القرية..

ـ لا، إنها لاتعني التقدم، بل تخريب القرية.. فسيصبح شبابنا قلقا، وسيتركون القرية ليدخلوا عالم الرجل الأبيض.. إنها ستعني دفع ضرائب لا نستطيع دفعها.. سنفقد منازلنا ولن تبقى قبيلتنا.. إننا نتمتع بالصحة ونستطيع العناية بأنفسنا، ففي الوسائل القديمة تكمن قوتنا وقدرتنا على الحياة..

واستمرت المناقشة بينهما دون نتيجة حاسمة. وبعد الظهر قرر رئيس العمال أن ينهى الموقف، فبدأت العربات والبولدوزرات تتحرك لإنجاز العمل. وبدأ سكان القرية يعترضون ذلك الاجتياح لقريتهم بأجسادهم، فألقى الرجال بأنفسهم على أرض الطريق أمام تلك الآلات الضخمة، وتم سحبهم جانبا بواسطة العمال.. وحاولت بعض النساء القفز ـ وهن يصرخن عاليا ـ فوق العربات الضخمة، ولكن العمال كانوا يلقون بهن فى قسوة..

وظل الصراع مستمرا، وبدأت النساء يلقين بأنفسهن فى الحفر ليمنعن وضع أعمدة الكهرباء والتليفون.. وقد أصاب أحد هذه الأعمدة إحدى النساء فوقعت مغشيا عيها.. واضطر العمال إلى سحب آلاتهم، وتركوا القرية..

وفى المساء أرسل رئيس القرية دان كاتشو نجفا إلى أصدقائه من الأمريكيين الأوربيين يطلب مساعدتهم، فقاموا بإرسال برقيات إلى المسئولين بالولاية والدولة ومحررى الصحف..

عادت مجموعة العمال فى صباح اليوم التالى وتجددت المعركة بينهم وبين رجال القرية الذين حاولوا جهدهم لمنع العمال والآلات من دخول القرية.. ولكن العمال كانوا يلقون بهم على جانب الطريق، يجذبون النساء من الحفراتى التى ألقين بأنفسهن فيها..ورغم هذا العنف المتبادل، لم تحدث إصابات جسيمة..

وقبل غروب الشمس كان هناك صف طويل من الأعمدة على جانب الطريق حتى مبنى المدرسة. وحذر رئيس العمال أهل القرية من محاولة تحطيم الأعمدة أو إحراقها ليلا، لأنها تحمل أسلاكا بها تيار كهربائى سيحرق ويصعق كل من يحاول إسقاطها.

ورغم عدم تأكد أهل القرية. من وجود تيار كهربائى بالأسلاك، إلا أن رؤساءهم منعوهم من حرق تلك الأعمدة..

وقال رئيس القرية دان كاتشو نجفا فى مرارة..

= لو بقيت هذه الأشياء لأصبحت قريتنا مثل باقى القرى الأخرى، مجرد مكان يعد لزيارة السائحين ومحلات للبيع لهم، وخاصة بيع الخمور. وستغادرنا «الروح العظيمة» ولن يبقى بعد ذلك سلام فى القرية. لن تكون هناك احتفالات أو رقص الفراشة، فهذه القرية آخر معقل تمارس فيه العادات القديمة..

واهتمت الصحافة بالأمر، وامتلأت القرية بالمحررين والمصورين ليتابعوا إصرار سكان القرية على منع إدخال الخدمات الحديثة من المياه والكهرباء والتليفونات إليها.

وفى الشهور التالية انضم عدد كبير فى الأصدقاء البيض إلى المعركة.. وكان أهالى القرية قد منعوا أولادهم من الذهاب إلى المدرسة التابعة لمكتب شئون الهنود الحمر إحتجاجا..

وفى بداية عام ١٩٦٩ انتهت المعركة بسحب الأعمدة وردم الحفر.. وانتصرت القرية.. لتبقى بها الروح العظيمة المقدسة..

وتذكرنى قصة قرية هوتفيلا HOTVILLA بجزيرة توتى المشهورة بحدائقها الغناء وإنتاجها الوفير والمميز من الخضر والفاكهة، والتى تقع فى وسط مدينة الخرطوم عاصمة السودان الشقيق. فقد رفض سكانها أن يغادروها لإقامة مشروعات سياحية عليها، كما رفضوا أن تقام، أية جسور أو كبارى تصلها بالعاصمة. وكان على كل من يريد زيارتها عبور نهر النيل فى أحد القوارب، فيعرف سكان الجزيرة الشخص الغريب قبل أن تطأ قدماه أرضها.. وبذلك استطاعوا الحفاظ على تقاليدهم وقيمهم الاجتماعية حتى الآن.. ويعمل بعض سكان الجزيرة فى مدينة الخرطوم فيعبرون النيل إلى حيث يتركون سياراتهم على الطريق المواجه للجزيرة..

الفصل الثامن والعشرون

رجال المرور
فى خدمة الشعب

رجال المرور فى خدمة الشعب

ماذا يحدث فى حالة وقوع تصادم بين سيارتك وسيارة أخرى ؟..

تبقى السيارتان فى مكانهما حتى يأتى رجال المرور، فى حالة واحدة فقط، هى وجود إصابات تقتضى علاجا.. ولكن الأمر بسيط جدا فى حالة عدم وجود مصابين. إذ يلتقى قائدا السيارتين ويعطى المخطىء منهما للآخر رقم التأمين الخاص بسيارته واسم شركة التأمين المؤمن لديها، بعد أن يعاينا معا حالة السيارتين، ثم ينصرفان فى هدوء.. دون أن تحدث بينهما مشاجرة أو حتى مناقشة عنيفة. ويتوجه كلاهما بعد ذلك إلى مكتب شركة التأمين للإبلاغ عن الحادث وتاريخ ومكان وقوعه، وحيث يتم تصوير السيارة المصابة قبل أن يتم إصلاحها بمعرفة صاحبها، الذى يقدم ثلاثة عروض للإصلاح من محلات مختلفة، لتختار شركة التأمين أقلها سعرا.. ولكن إذا أراد صاحب السيارة أن يتم الإصلاح لدى أحد الإثنين الآخرين الأعلى سعرا، يتحمل هو فرق السعر.

وبمجرد أن يتم الإصلاح تدفع شركة التأمين قيمته فورا دون مماطلة أو تباطؤ فى الإجراءات، لمن تم تكليفه بالإصلاح من المحلات الثلاثة.

وشركة التأمين لا تجرى تحقيقا حول الحادث لتعرف من المسئول أو لتدفع المسئولية عن المتسبب فيه، وبالتالى تدفعها عن نفسها، إذ تكتفى بما يقوله صاحب السيارة المؤمن عليها لديها، ولو كان ذلك خلال مكالمة تليفونية ـ إذا كان هو المتسبب فى الحادث ـ لتسأله عن ذلك وعن الإصابات التى أحدثها بالسيارة الأخرى المطلوب إصلاحها، وما إذا كانت سيارته هى أيضا تحتاج لإصلاح.. لأن قواعد المرور واضحة وتحديد المسئولية سهل يسير..

ولكن قسط التأمين قد يرتفع بعد ذلك بالنسبة لصاحب السيارة المخطىء.. كما قد يقل القسط إذا مضت سنوات دون حادث..

ولكن لماذا يبدو الأمريكيون وكأن قلوبهم قد قدت من صخر، ولا يعرفون الرحمة، عندما يتركون المصاب فى حادث ما ويبتعدون عنه تماما وكل ما يفعلونه هو الاتصال التليفونى بالشرطة ؟!..

كنت أتساءل أيضا عن ذلك ، حتى علمت أن القانون الأمريكى يمنع بشدة أى شخص من الاقتراب من أحد المصابين، إلا اذا كان حاصلا على شهادة خاصة بذلك من الصليب الأحمر الأمريكي.. وعليه أن يظهر البطاقة التى تثبت ذلك للناس المتواجدين فى مكان الحادث، قبل أن يتقدم نحو المصاب.

وهذه الشهادة صالحة لمدة سنة واحدة فقط من تاريخ إتمام الدراسة الخاصة التى يعقدها الصليب الأحمر.. أى أن الشخص يجب أن يعيد الدراسة كل سنة ليحصل على شهادة جديدة، حتى يمكنه أن يتابع الجديد فى هذا الشأن..

إن تجمع عدد من الناس حول المصاب يضر به كثيرا، خاصة إذا كانت إصابته جسيمة ويحتاج إلى المزيد من الهواء.. أو إذا كان قد أصيب بكسر فى العظام، فان محاولات رفعه أو نقله ــ أو حتى مجرد تغيير وضعه ــ قد يجعل الكسر البسيط مضاعفا.. وقد يسرع أحدهم بتقديم الماء له، الذى يكون سببا فى وفاته مباشرة.. ولذلك يعاقب الشخص غير المرخص له إذا أقدم على شىء من ذلك. وهذا، ليس انعداما للرحمة أو للترابط الإجتماعى ــ كما يقول البعض..

وقد علمت ذلك كله عندما تقدمت السيدة زوجتى ــ ثم ابنتى الكبري أمل ــ لدراسة هذا المقرر والحصول على شهادة بذلك من الصليب الأحمر الأمريكى، تحسبا لأى موقف، وحتى يمكنهما التصرف بالنسبة للسيدات المصريات والعربيات المقيمات فى المدينةالجامعية..

ورجال المرور الأمريكيون يؤدون أعمالهم فى إخلاص وأمانة، ولا يحملون لأصحاب السيارات أى مشاعر عدائية، لأنهم هم أنفسهم يملكون سيارات، ولذلك كان الاحترام المتبادل بينهم.

وذات يوم أتممت إصلاح سيارتى بتركيب «اكصدام» خلفى جديد إثر حادث تعرضت له. تسلمت السيارة من ورشة الإصلاح بعد أن وقعت على الاستمارة الصغيرة المثبت بها رقم السيارة والإصابات التى لحقت بها والإصلاحات المطلوبة والأجر الذى

حددته الورشة للإصلاح بما فى ذلك ثمن قطع الغيار.. وبموجب هذه الاستمارة يتم صرف قيمتها فور تقديمها لمكتب شركة التأمين بمعرفة ورشة الإصلاح..

توجهت بسيارتى إلى ساحة الانتظار المخصصة للمكتبة العامة للجامعة، وفيها لا يسمح بالانتظار إلا للسيارات التى تحمل علامة مميزة ذات لون أزرق أو برتقالى أو أخضر.. أما السيارات التى تحمل علامات حمراء أو سوداء فلا يحق لها الانتظار فى هذه الساحة، واذا حدث ذلك تحررت لها مخالفة مرورية..

عندما خرجت من المكتبة العامة وجدت ورقة مخالفة وغرامة ثلاثة دولارات وضعت على السيارة ـ دون أن تلصق بزجاجها ـ وقد كتب عليها بخط واضح منظم إسم محرر المخالفة ورقمه ورقم السيارة والمكان والتاريخ والوقت وسبب المخالفة.. وتنبيه بالدفع خلال مدة محددة أو إحالة الأمر إلى المحكمة..

وبمجرد أن عدت إلى منزلى اتصلت تليفونيا بادارة المرور وسألت عن محرر المخالفة. فقيل لى أنه سيكون بمكتبه الساعة الثالثة بعد الظهر.. وفى الموعد المحدد اتصلت به..

= أنا صاحب السيارة رقم (كذا) التى حررت لها المخالفة رقم (كذا) ظهر اليوم فى الساحة الخاصة بالمكتبة العامة للجامعة..

قال بعد لحظات، لعله كان خلالها يبحث عن صورة المخالفة المحررة.

= لأن سيارتك لا تحمل أيا من العلامات الثلاث التى تسمح لك بالانتظار فى هذه الساحة..

قلت

= لو أنك أتعبت نفسك قليلا ونظرت أيضا إلى مقدمة السيارة لوجدت على «الإكصدام» الأمامى العلامة الخضراء GREEN STICKER رقم (كذا) أى أنه مسموح لسيارتى بالانتظار فى هذه الساحة..

قال..

= ولكن «الإكصدام» الخلفى لم تكن عليه تلك العلامة الخضراء..

قلت..

= ذلك لأنى كنت قد أحضرتها توا من ورشة الإصلاح بعد تركيب «إكصدام» جديد.. ألم تلاحظ ذلك ؟!..

طلب منى الانتظار لحظات سمعت خلالها صوت أصابعه تجرى على جهاز الكمبيوتر ـ ثم قال..

= أعتذر، وأرجو أن تعتبر الموضوع منتهيا.. لقد تأكدت أن سيارتك تحمل العلامة الخضراء، وقد ألغيت المخالفة.. وأرجو أن تطلب من المكتب المختص بادارة شئون الطلبة علامة خضراء جديدة..

ويلتزم قائدو السيارات بقواعد المرور رغم عدم وجود جندى المرور.. كما يلتزمون بالسير فى الحارات مما يزيد من إنسياب حركة المرور. لأن السيارة التى تسير بين حارتين تعطل السير فيهما معا.. وتجعل قائدى السيارات خلفه فى خشية من إتجاهاته المفاجئة يمينا أو يسارا..

ولا يحاول قائد إحدى السيارات أن يتخطى السيارة التى أمامه إذا أبطأت، لأنه لا يرى مايراه سائق السيارة الأمامية، وعندئذ قد يفاجأ بموقف لم يتوقعه.. وعندما يتوقف فجأة بسبب ذلك، تصطدم به السيارة التى تخطاها..

والأمريكيون يجيدون استعمال الإشارات الضوئية فى سياراتهم، ولذلك فهم لا يفاجأون بانتقال سيارة من حارة إلى أخرى، خاصة وإنه لا يجوز لسيارة أن تتخطى وتسبق تلك التى تسير أمامها الا اذا انتقلت الى الحارة المجاورة يسارا، ثم تسبقها بمسافة مائة ياردة ـ تسعين مترا ـ وهى تعطى إشارة جانبية قبل أن تعود إلى الحارة الأولى أمام السيارة التى أرادت أن تتخطاها..

ولا يمكن لقائد سيارة أن يتخطى الخط المستقيم الذى يقسم الطريق إلى إتجاهين، أو يمنع الانتقال بين الحارات عند المنحنيات، مهما كانت الظروف، إلا اذا كان ذلك تحت إشراف رجال المرور.. فان الخط المستقيم يعنى وجود سور وهمى لايمكن تخطيه.. وإلا ارتكب مخالف مرورية.

وقد يلزم تهدئة السرعة في بعض الأماكن وتقوم المطبات الصناعية بتنبيه قائدى السيارات إلى ضرورة ذلك. والمطبات الصناعية بارتفاع بسيط بعرض الطريق، وتطلى باللون الأبيض، حتى يراها قائدو السيارات ولا يفاجأون بها.. كما يعلن عن وجودها قبل مسافة مناسبة، تسمح لقائدى السيارات بتهدئة السرعة قبل عبور المطب الصناعي ـ الذى لا يزيد عرضه على ثلاثين سنتيمترا وارتفاعه عن عشرة سنتيمترات ـ حتى لا تؤدى المفاجأة إلى وقوع حادث أو الإضرار بهندسة السيارة..

والأمريكيون يحترمون الإشارات الضوئية، والوقوف خلف الخط الأبيض عندها.. وأذكر عندما كنت في ألمانياالشرقية ـ في ذلك الوقت ـ سنة ١٩٦٩ شاهدت ضابطة مرور وهي تجبر قائد سيارة كبيرة سوداء مسدلة الستائر ـ أى أن راكبها شخصية هامة جدا في الحزب والحكومة ـ على الدوران مسافة طويلة لأن عجلات السيارة الأمامية تخطت الخط الأبيض للوقوف عند الإشارة. ورفضت الضابطة باصرار أن تسمح له أن يتراجع بها للخلف قليلا، رغم عدم وجود سيارات خلفه. ولم يتدخل راكب السيارة!..

وتحدد الأماكن الممنوع انتظار السيارات فيها باللون الأصفر بدلا من الأبيض. وبذلك يتحدد الحق والواجب بين كل من رجال المرور وقائدى السيارات.

والسرعة القصوى في ولاية إنديانا ـ ومعظم الولايات الأخرى ـ خمسة وخمسون ميلا في الساعة أى حوالي تسعين كيلومترا. في الطرق السريعة HIGHWAYS إلا في بعض الطرق السريعة المحددة .

وسيارات شرطة المرور وطائرات الهليكوبتر تراقب الطرق السريعة بأحدث أجهزة ضبط مخالفات السرعة. ولذلك قد تجد ـ قبل أن تسير عشرين ميلا ـ سيارة شرطة المرور تعترضك لتحصيل قيمة الغرامة عن مخالفة تخطى السرعة القصوى.. وهم يقدمون لك صورة سيارتك ورقمها وسرعتها وقت الضبط على بعد عشرين ميلا!..

وقد وقع حادث طريف للصديق الدكتور محسن الصياد ـ الاستاذ بكلية العلاج الطبيعي جامعة القاهرة ـ عندما كان يقود سيارة كبيرة ـ ميكروباص ـ بها عدد من

المصريين فى طريقهم إلى ولاية فلوريدا، لقضاء أجازة أعياد الميلاد ورأس السنة للاستمتاع بدفء الجنوب، وهربا من الجليد المتراكم فى إنديانا.. وأوقفته شرطة المرور لتخطيه السرعة القصوى .. وحدث بينهما الحوار التالى..

= أرى أنك تحمل فى سيارتك أطفالا، ألم يكن ذلك مدعاة لك للسير فى حدود السرعة القانونية؟..

أجاب الدكتور محسن.

= بل إن هؤلاء الأطفال هم السبب فى قيادتى السيارة بسرعة، لأنهم جوعى، وأريد أن أصل إلى أقرب مكان لأشترى لهم طعاما..

سأله ضابط المرور..

= من أى بلد أنت؟

= من مصر..

= هل سبق لك أن قدت سيارتك بأكثر من السرعة القصوى

= لا، هذه أول مرة..

= ماذا يفعلون فى بلدكم مصر فى حالة المخالفة الأولى؟..

أجابه الدكتور محسن

= يقولون لى، إذهب ولاتفعلها ثانية.

ضحك ضابط المرور الأمريكى وقال وهو يفسح له الطريق..

= إذهب ولا تفعلها ثانية..

الفصل التاسع والعشرون

﴿وكسونا العظام لحما﴾

صدق الله العظيم

﴿ وكسونا العظام لحما ﴾

صدق الله العظيم

يتساءل الكثيرون عن سبب تفضيل جامعات دول الخليج العربى لأعضاء هيئة التدريس الحاصلين على درجة الدكتوراة فى الجامعات الأمريكية، والواقع أن ذلك لا يرجع فقط إلى عمق واتساع المقررات الدراسية، ولكن لأمر آخر ـ غاية فى الأهمية ـ قدلا يدركه البعض..

فالعلم فى أمريكا متاح للجميع، دون أى تفرقة عنصرية أو مذهبية أو سياسية.. ولا يحجب عن الطالب الدارس ـ مهما كانت جنسيته ـ أى مصدر للمعلومات أو مرجع علمى أو إحصائى.. وذلك خلافا لبعض الدول الأخرى.

وقد صادفت السيدة زوجتى ـ عندما كانت تدرس للحصول على درجة الماجستير فى ليبزج بالمانيا الديمقراطية (الشرقية) ـ رفضا شديدا لإطلاعها على البيانات والمعلومات اللازمة للبحث العلمى والخاصة باللاعبين الدوليين من الألمان فى ألعاب القوى، والطرق والأساليب المتبعة فى تدريبهم، لاعتبارهم ذلك من الأسرار الهامة، مما اضطرها إلى تغيير موضوع البحث..

وتلى ذلك فى الأهمية ضرورة إجادة أعضاء هيئة التدريس للغة الإنجليزية. ولاتبدو أهمية ذلك من الإمكانيات الواسعة التى تتيحها اللغة الأجنبية فى الإطلاع على الأبحاث الجديدة المتوالية فى مجال تخصص كل منهم فحسب، ولكن فى قدرتهم على الاشتراك فى المؤتمرات العلمية الدولية التى قد يشتركون فيها ممثلين للجامعة والدولة التى يعملون بها. فيستطيعون أن يقوموا بالقاء البحث المقدم منهم والمحرر بمعرفتهم.. وأن يناقشوا أعضاء المؤتمر فيه.. لا أن يكتفوا بلصق أوراق البحث على الحائط والوقوف بجانبه كمن يعرضون بضاعة بائرة!..

لذلك تبدو الأهمية الكبرى لضرورة التأكد من مقدرة طالب الدكتوراة ـ خاصة فى كليات التربية الرياضية ـ على إجادة اللغة الإنجليزية، وأن لا يكتفى بالملخص الوارد فى نهاية رسالة الدكتوراة باللغة الإنجليزية ـ والتى غالبا ما يدفع مقابلا لكاتبها ـ حتى لا يتكرر

ذلك المشهد المهين لعضو هيئة التدريس الذى وقف ـ كالتلميذ المذنب بجوار الحائط الذى علق عليه بحثه المكتوب باللغة الإنجليزية ـ التى لا يجيدها ـ والمقدم منه لأحد المؤتمرات الدولية، ممثلا لمؤسسة رياضية كبرى فى إحدى الدول العربية .. يرفع يدا واحدة مشيرا بها إلى الأوراق الملصقة على الحائط، وهو يرسم على شفتيه إبتسامة باهتة يدعو بها المشاركين فى المؤتمر أن يتفضلوا بإلقاء نظرة عليها.. الذين كانوا يردون عليها بابتسامة أوسع وهم يمضون فى حال سبيلهم، لتأكدهم من عدم قدرته على مجاراتهم فى مناقشة بحث مكتوب بلغة لا يجيدها!..

وأستاذ الجامعة الأمريكى لا يعاند الطلبة بآرائه الخاصة ولكنه يتقبل رأى الطالب إذا استطاع إقناعه به أى أنه يتيح الفرصة لذلك الطالب أن يتفوق على أستاذه..

وقد تعرضت مجموعة من الدارسين المصريين لدرجة الدكتوراة بجامعة إنديانا لتجربة طريفة عند دراستهم مقرر علم الإحصاء، إحدى المواد التأهيلية الإجبارية..

بدأ الدكتور باوم جاردنر DR.BAOWN GARDENER أستاذ علم الإحصاء محاضرته الأولى بقوله أن العرب والأفارقة والأمريكيين السود يجدون صعوبة فى فهم علم الإحصاء.. وأن من يريد منهم مجرد النجاح فى هذه المادة، أن يكون لديه إيمان قوى بالله، وأن لايعتريه اليأس. لذلك فهو يحدد خمسة اختبارات فى المادة خلال فترة دراسة المقرر، حتى يتيح لغير الأمريكيين من أصل أوربى، أن ينجحوا فى بعضها..

واجتمع المصريون الخمسة الذين يدرسون معه ذلك المقرر وهم:

١ـ الدكتورة عائدة البنا الأستاذ المساعد بكلية التربية الرياضية للبنين بجامعة حلوان..

٢ـ الدكتورة عايدة عبد العزيز مصطفى الأستاذ بكلية التربية الرياضية للبنات جامعة حلوان.

٣ـ الدكتور فاروق عبد الوهاب عميد كلية التربية الرياضية جامعة المنيا سابقا.

٤ـ الدكتور حلمى حسين الأستاذ بكلية التربية الرياضية جامعة قطر.

٥ ـ الدكتور أحمد فؤاد كمال الأستاذ بكلية التربية الرياضية جامعة أوتاوا OTAWA بكندا وحاليا بجامعة العين بدولة الأمارات العربية .

وقرروا أن يتحدوا أستاذهم الدكتور باوم جاردنر، بان يتفوقوا جمعيهم فى الاختبارات الخمسة التى يعقدها لهم فى مقرر الإحصاء..

وحصلت الدكتورة عائدة البنا على المركز الأول بحصولها على أعلى درجة فى الإختبار الأول.. وكان تعليق الدكتور باوم جاردنر على ذلك، بأنه مجرد مصادفة لن تتكررا.

وعندما حصلت الدكتورة عايدة مصطفى على المركز الأول فى الإختبار الثانى، قال الدكتور جاردنر، أن المصادفة قد تتكرر.. ولكنها تبقى مجرد مصادفة!..

وحصل الدكتور فاروق عبد الوهاب على المركز الأول فى الإختبار الثالث.. واهتزت كلمة «مجرد مصادفة»..

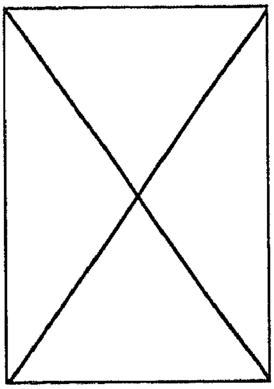
وعندما حصل الدكتور حلمى حسين على المركز الأول فى الاختبار الرابع، اعترف الدكتور باوم جاردنر بأنه لم يعد يستطيع أن يقول أنها مجرد مصادفة!..

وأخيرا حصل الدكتور أحمد فؤاد على المركز الأول فى الاختبار الخامس والأخير.. واعترف الدكتور باوم جاردنر بأن المصريين قد انتصرواعليه، وأنه لم يعد يتمسك برأيه الذى سبق له أن أعلنه فى بداية محاضرته الأولى..

ولعل فى ذلك، الرد الكافى على أولئك الذين يتقولون بأن المصريين يعيشون على ذكرى الأمجاد الغابرة لأجدادهم الفراعنة .

وعندما اختارت السيدة زوجتى ـ الدكتورة عائدة البنا ـ موضوع رسالة الدكتوراة بعنوان «الدين الإسلامى كقاعدة لبرامج التربية الصحية» تشكلت لجنة الإشراف والمناقشة برئاسة الدكتور دونالد لودويج DR. DONALD LUDWIG رئيس قسم التربية الصحية بكلية التربية الرياضية جامعة إنديانا، وعضوية كل من الدكتور وليام برينين ـ DR. WILLIAM BRENNAN، والدكتور جون كوبر DR. JOHN COOPER. وتحددت الساعة الواحدة ظهر يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٧٨ موعداً لمناقشة المشروع PROPOSAL.

وفى اليوم السابق مباشرة زارنا الدكتور برنارد لوفتDR BERNARD LOFT DR وقال للسيدة زوجتى أنها ستلقى معارضة عنيفة من الدكتور برينين ولكنه يرجو ـ وكذلك



الدكتور برينين ـ أن لا يكون لذلك أى أثر على العلاقات القوية التى تربط بين الأسرتين.. وأكد لنا أن الدكتور برينين يحرص بشدة على صداقته بنا، وأن إعتراضاته تقوم على أساس علمى، وليس شخصيا أو دينيا..

وقبيل الموعد المحدد كنت أحمل صندوقا مليئا بالكتب والمراجع، لأضعه على المائدة المستطيلة التى ستجتمع حول أحد طرفيها لجنة المناقشة، وتجلس السيدة زوجتى عند طرفها الآخر.. وما أن وضعت الصندوق حتى دخل الدكتور برينين، فابتسم قائلا..

= هل أحضرتم أسلحتكم ؟!..

ضحكنا، وقلت له مداعبا قبل أن أترك الحجرة..

= إنها ملء ذلك الصندوق !..

وتستغرق مناقشة مشروع الرسالة عادة حوالى ساعة أو أقل، ولكن اللجنة ظلت تناقش المشروع المقدم من السيدة زوجتى لأكثر من ثلاث ساعات ونصف الساعة.. وقد انضم إلى اللجنة الدكتور أبدايكDR.UPDYKE عميد الدراسات العليا، والدكتورة روث إنجز DR. RUTH ENGS الأستاذة بقسم التربية الصحية ممثلة للقسم.

طلبت اللجنة من السيدة زوجتى أن تعرض مشروع رسالتها فى إيجاز تام..

قالت... أن البلاد النامية تواجه الكثير من المشكلات التى تؤثر على مستقبلها ومنها تلك المشكلات الخاصة بالصحة العامة، والتى تترك آثارها ـ ليس فقط على الانسان ـ بل على التقدم الاقتصادى أيضا، لكون الإنسان هو العنصر الرئيسى فى عملية الإنتاج، وأن معظم دول العالم الإسلامى تندرج تحت ما يطلق عليه إسم «العالم الثالث» أو «البلاد النامية».. ومع أن بعض تلك الدول غنية جدا اقتصاديا، إلا أنها ما زالت تشارك الدول النامية فى مشكلاتها، وأهمها المستوى الصحى وقصور الإمكانيات.. ولاشك أن التعليم يمكن أن يجد حلا لكثير من المشكلات، خاصة تلك المتعلقة بالتربية الصحية، التى

يمكن أن تعمل على تطوير السلوك الصحى للأفراد.. ولذلك يجب أن تكون متاحة للجميع بغض النظر عن السن أو الطبقة الإجتماعية أو الحالة الإقتصادية، لأن الإنسان يحتاج للمعرفة الصحية طوال حياته..

وأضافت قائلة... أن فى القرآن الكريم والسنة تعليمات كثيرة خاصة بالناحية الصحية، يمكن أن تكون حلا للمشكلات الصحية التى تعانى منها المجتمعات الإسلامية.. واذا ماتم جمعها وتصنيفها فى وضوح، لأمكن أن نؤسس قاعدة لتقديم برامج التربية الصحية للبلاد والمجتمعات الإسلامية، ومثل هذه البرامج أكثر فاعلية وتأثيرا لأن مبادئها مستوحا من الدين الإسلامى، ولأنها ستجعل السلوك الصحى السليم جزءا من الحياة اليومية لأكثر من ثمانمائة مليون من المسلمين يشكلون سبع تعداد سكان العالم. وسيساعدهم على فهم الحكمة من تلك الآيات..

فاذا ما تم ذلك، يكون الدين والعلم قد تضافرا لصالح المجتمعات الإسلامية. وهذا البحث يعالج التعليمات الصحية الواردة فى القرآن الكريم والسنة، والتى لها قيمة علمية بالنظر إلى علم التربية الصحية..

سألها الدكتور برينين..

ـ أنت تعلمين أن علم التربية الصحية من العلوم الحديثة حيث لايتجاوز عمره المائة وخمسين عاما.. فهل تريدين أن تقولى أن قواعد هذا العلم الحديث موجودة فى القرآن منذ أربعة عشر قرنا؟..

أجابت فى إبتسامة واثقة..

= نعم هذا ما أريد قوله.. إن العلماء قد خسروا كثيرا بامتناعهم عن الإطلا ع على القرآن الكريم. فقد اتخذوا موقفا مضادا لكل ما ورد فيه دون أية محاولة منهم لمعرفته.. لقد كان العلم الحديث يقول بأن نمو الجنين فى بطن أمه يبدأ لحما ثم تنمو فيه العظام.. ومنذ وقت قريب جدا اكتشف العلماء خطأ تلك النظرية وأثبتوا أن العظام تنمو أولا ثم يكسوها اللحم.. ولو أنهم إطلعوا على القرآن الكريم لعرفوا أن ما اكتشفوه أخيرا بالوسائل العلمية الحديثة ـ والتى لم تكن متاحة من قبل ـ موجود فيه بوضوح..

سألها الدكتور برينين فى اهتمام..

= هل جاء ذكر ذلك فى القرآن حقا؟!..

= نعم..

وقدمت له السيده زوجتى فى هدوء نسخة من ترجمة لمعانى القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، وهى تشير إلى سورة المؤمنون، الأيات ١٢ ـ ١٤..

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤)﴾..

تبادل أعضاء اللجنة النظر، وابتسمت الدكتورة روث إنجز، وبدت الدهشة على قسمات الدكتور برينين وهو يسأل الدكتورة عائدة..

= هل جاء بالقرآن شيء آخر مثل ذلك؟!

أجابت السيدة زوجتى

= نعم، الكثير منه..

وقدمت إليه سورة الزمر آية ٦..

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ (٦)﴾..

ثم قدمت سورة الحج الآية الخامسة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً...﴾.

ونظر إليها أعضاء اللجنة فى تساؤل، فأوضحت

= في وقت نزول القرآن الكريم ـ منذ أربعة عشر قرنا ـ لم يكن معروفا معنى تطور الجنينEMBRYO ، كما أن خطوات خلق الإنسان منذ اللحظة الأولى التى يتم فيها الإخصاب بين الحيوان المنوى والبويضة لم تكن واضحة تماما قبل اكتشاف الميكروسكوب.. وكذلك الظلمات الثلاث التى يتم خلق الجنين فى داخلها.. وهى الكيس الجنينى Embryo SAC – وهو الغشاء الداخلى الذى يحيط بالجنين مباشرة The Am-nion-Sac ـ ثم الرحم THE UTERUS ، ثم بطن المرأة أو جوفها THE ABDO-MEN..

واستمرت المناقشة على هذا المنوال وطالت،وأخيرا وافقت اللجنة على مشروع الرسالة. وبعد عام ونصف تقريبا وقع أعضاء اللجنة ـ ومن بينهم الدكتور برينين ـ بموافقتهم على قبول منح السيدة زوجتى درجة الدكتوراة فى التربية الصحية.. وقد تضمن البحث قواعد تحريم تناول الخمر وتعاطى المخدرات وتدخين التبغ..

وبعد أن قدم إليها الدكتور دونالد لودويج DR.LUDWIG ـ المشرف على الرسالة ورئيس لجنة المناقشة ـ تهنئته سألها فى جد..

= إننى أشرب البيرة فقط لتنشيط الكليتين، فهل هذا حرام أيضا؟!

ابتسمت زوجتى ـ فقد ذكرت فى رسالتها تحريم القرآن الكريم للخمر ـ وهى تقول..

= قطعا.. ويمكنك أن تجد مشروبا آخر غير مسكر!

ونظرا لأهمية الموضوعات التى تناولتها رسالة الدكتوراة، فقد قام مكتب التربية العربى لدول الخليج بترجمتها إلى اللغة العربية ونشرها فى كتاب بعنوان «الإسلام والتربية الصحية» طبع فى الرياض بالمملكة العربية السعودية سنة ١٩٨٣، ثم صدرت طبعتان أخريان ـ بإذن من المكتب العربى ـ إحداهما عن المكتب المصرى الحديث للطبع والنشر بالقاهرة، والثانية عن المكتب الإسلامى فى بيروت. وكان ذلك تنفيذا لإحدى التوصيات التى أوردتها الرسالة بضرورة نشر ترجمتها فى البلاد العربية..

ولعل أهم مالفت نظرى أيضا فى الجامعات الأمريكية، ذلك التجاوب الكامل بين العلم والعمل.. فأساتذة الجامعة يشتركون فى اللجان المختلفة ـ كل بحسب تخصصه ـ اشتراكا فعليا وليس شرفيا أو بقصد زيادة دخله من بدل حضور الاجتماعات.. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إنهم ـ يهتمون بتنفيذ التوصيات التى يوردها الطلبة فى أبحاثهم، بعد إقرارها من الأستاذ المختص المشرف على البحث..

فقد كلفت السيدة زوجتى فى دراستها لأحد مقررات الأمن والسلامة، أن تقدم بحثا عن مدى تحقق شرط السلامة فى ملاعب التنس المنتشرة بالمدينة الجامعية. وقد قامت زوجتى بمعاينة تلك الملاعب وكتبت عنها بحثا وافيا أثبتت فيه عدم تحقق شروط السلامة كاملة فى البعض منها، ثم رأيها الخاص لتلافى ذلك القصور..

وقبل أسبوعين فقط من تقديم البحث، كان العمل يجرى ـ على قدم وساق ـ لتنفيذ جميع الأعمال التى اقترحتها لضمان سلامة الطلبة من اللاعبين والمشاهدين أيضا..

الفصل الثلاثون

خللى بالك من زوزو

خللى بالك من زوزو

كنا مجموعة من العائلات المصرية فى رحلة إلى مدينة سانت لويسSAINT Louis بولاية ميسورى Missouri، عند توقيع إتفاقية كامب داڤيد Camp David بين مصر واسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.. وقد تجمعنا أمام جهاز التليفزيون لنتابع لحظات توقيع الإتفاقية وإنهاء حالة الحرب..

ولم يعكر صفو فرحتنا بعودة السلام إلى أرض مصر إلا أمران.

الأول: عندما أعلن الرئيس أنور السادات موافقة مصر على الإتفاقية بمجرد توقيعه عليها، فى حين أعلن بيجين ـ رئيس وزراء إسرائيل ـ أنه لا يستطيع أن يلزم دولته بتوقيعه إلا بعد موافقة الكنيست ـ مجلس النواب الإسرائيلى ـ لأنها ـ على حد قوله ـ دولة ديمقراطية..

والثاني: عندما أعلن بيجين عن عمد ـ أو عن جهل ـ أن إسرائيل ستساعد مصر اقتصاديا، كما سبق أن ساعد بنو إسرائيل فى بناء الأهرامات..

ولم يرد عليه الرئيس أنور السادات بالحقيقة التاريخية.. أن بنى اسرائيل لم يكن لهم أى وجود بعد، فى الوقت الذى شيد فيه المصريون الأهرامات العظيمة..

وحدث ما توقعناه تماماو فقد تعرضنا بعد ذلك لأسئلة من أصدقائنا الأمريكيين والأجانب عن نظام الحكم فى مصر وعما إذا كان الرئيس أنور السادات يحكم فى ظل نظام ديكتاتورى.. وهل قام بنو إسرائيل ببناء الأهرامات حقا؟!..

وكان مرهقا لنا أن نراوغ فى الإجابة على السؤال الأول الخاص بنظام الحكم الدكتاتورى فى مصر.. لأن المصريين فى الخارج لايحبون أن يهاجموا رئيس بلادهم ـ مهما اختلفوا معه ـ كما لايقبلون أن يهاجمه الآخرون..

أما إجابة السؤال الثانى. فقد كان تاريخ العالم يحدد إجابته بوضوح.. فلم يكن لبنى إسرائيل أدنى وجود إلا بعد آلاف السنين من بناء الأهرامات التى شيدها ملوك الأسرة الرابعة (٣٤٣٠ ـ ٣١٦٠ق.م) (١).

لقد دخل بنو إسرائيل مصر أيام يوسف التى جاء ها فى عهد الهكسوس (الأسرتان ١٥, ١٦ من سنة ١٧٨٨ ـ ١٥٨٠ ق.م). الذين كانوا يتخذون من منطقة شرق الدلتا ـ محافظة الشرقية حاليا ـ مقرا لحكمهم، حتى طردهم أحمس فى حرب التحرير.. وقد إعترف بنو إسرائيل فى كتابهم ـ التوراة المعروفة ـ بأن المصريين كانوا يكرهونهم لأنهم ـ بنى إسرائيل ـ كانوا مع أعدائهم - الهكسوس.. ولذلك تعرضوا للأسر حتى نهاية عهد رمسيس الثانى سنة ١٢٢٥ ق. م. (٢).

وقد قاطعنا الطلبة العرب فى الولايات المتحدة الأمريكية، فيما عدا السودانيين والمغاربة.. وأخذ البعض يهاجمنا فى خطبة الجمعة التى تقام بالمركز الإسلامى، مما جعل بعض المصريين يمتنعون عن الاشتراك فى صلاة الجماعة..

والمثير للضحك ـ وشر البلية ما يضحك- أن المقاطعة كانت «رجالى» فقط.. أى من الرجال دون النساء والأطفال، فقد ظلوا يشتركون فى النشاط الثقافى المصرى، حيث كنا نعرض بعض الأفلام المصرية. كان الرجل منهم يقود سيارته إلى مكان عرض الفيلم حيث تترجل منها زوجته وأولاده، ويعود اليهم بعد انتهاء العرض..

وقد أقبل بعض الأمريكيين والأجانب على مشاهدة الأفلام المصرية. وقد أحبوا جدا فيلم «خللى بالك من زوزو» بطولة سعاد حسنى وحسين فهمى وتحية كاريوكا.. وطالبنا بعضهم بإعادة عرض الفيلم، فقد أحبوا جدا شخصية «زوزو».. وكان الصديق الدكتور مايكل پوليتانو DR. MICHAEL POLITANO ـ أستاذ علم النفس بجامعة إنديانا ـ يتدرنى كلما التقى بى.. «أين زوزو؟!» فقد كان من أشد المعجبين بالفيلم وبطلته الفنانة سعاد حسنى.

لم تكن هناك ترجمة باللغة الإنجليزية على الفيلم، فقمنا بإعداد ملخص لقصة الفيلم باللغة الإنجليزية مع صور الممثلين الرئيسيين ووزعناه على الحضور من الأمريكيين والأجانب وبذلك استطاعوا متابعة أحداث الفيلم جيدا..

ولم يلق فيلم «أفواه وأرانب» بطولة الفنانة العظيمة فاتن حمامة نجاحا مماثلا، لأنه يعتمد على الحوار دون وجود ترجمة باللغة الإنجليزية. ولأن أحداثه بالتالى لم تكن مفهومة للمشاهدين من الأمريكيين والأجانب، ولم نتمكن من إعداد ملخص الفيلم لوروده من المكتب الثقافى فى واشنطن فى اليوم السابق للعرض.

والأمريكيون والأجانب ـ الذين كانوا ينتمون إلى ١٠١ دولة في تلك الفترة ـ يفضلون الأفلام الاستعراضية لفرقة رضا للفنون الشعبية والمناظر السياحية الهامة.. وعندما عرضنا فيلما سياحيا عن هروب السيد المسيح طفلا مع والدته ويوسف النجار وطريق رحلتهم في مصر، اهتم الكثيرون بمشهد سيدة مصرية تقود سيارتها وتدخل بها إلى محطة بنزين في الزمالك لتملأ خزانها.. فقد أثار ذلك المشهد تساؤلهم عن حق المرأة المصرية في قيادة السيارة والحصول على رخصة بذلك، لاختلاط المعلومات في مخيلتهم عن وضع المرأة في بعض المجتمعات العربية الأخرى.

وأذكر أن السيدة زوجتي ـ عندما غادرت مصر يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٧٥ برفقة زميلتها وصديقتها الدكتورة عايدة مصطفى في طريقهما إلى الولايات المتحدة الأمريكية ـ أنهما قد وصلتا إلى واشنطون د. س ـ WASHINGTON D.C. العاصمة السياسية ـ بعد منتصف الليل. وكان معهد اللغة الذى ستدرسان فيه لمدة ستة أشهر مغلقا. فتوجهتا إلى فندق هوليداى إن، وهناك طلبت زوجتي من فتاة الاستقبال محاولة الاتصال بمعهد اللغة لإبلا غ المسئولين بوصولهما وتواجدهما في الفندق. ودخلتا إلى حجرتهما للراحة والنوم بعد رحلة طيران دامت لأكثر من اثنتين وعشرين ساعة..

وفي الصباح نزلتا إلى المطعم لتناول الإفطار وخلال ذلك حضر عامل الإستقبال يصطحب معه سيدة أمريكية في مقتبل العمر، وهو يشير إليها نحوهما..

تقدمت اليهما المرأة الأمريكية وهي تحدق فيهما بانبهار شديد.. وبادرتهما بالسؤال..

= هل أنتما المصريتان القادمتان من مصر؟!..

أجابتها زوجتي..

– نعم

سألت..

= وأين العباءة السوداء؟.. وأين النقاب على وجهيكما؟!..

وتوالت الأسئلة من هذا النوع. وأدركت زوجتي وصديقتها أن السيدة الأمريكية لاتعرف شيئا عن مصر، ولذ لهما أن تداعباها.

سألتهما..

= كيف تذهبان إلى عملكما؟!..

= نركب الجمال، وكل منا لها وتد خاص لتعقل فيه جملها!..

= هل عندكم دور للسينما؟!..

- نعم، وأمام كل دار سينما يوجد مكان فسيح يعقل فيه كل واحد جمله أو حصانه..

ثم دعتاها إلى حجرتهما لحين إعداد الحقائب والتوجه معها إلى معهد اللغة.. وفى الحجرة أطلعاها على بعض صور الأهل والأصدقاء التى حملتها كل منهما، لتوحش وحدتها فى الغربة..

وعندئذ أدركت السيدة الأمريكية أنهما كانتا تداعبانها، فاستغرقت فى الضحك.. خاصة عندما شاهدت صورة السيدة زوجتى وهى تجلس أمام عجلة قيادة سيارتها.. وأبدت رغبتها فى صداقتهما..

وبدأت رحلتهما فى محو أمية الأمريكيين عن مصر والبلاد العربية، والإعلان عن المرأة المصرية وتطورها الاجتماعى بالاشتراك فى الندوات وإقامة الليالى المصرية بالإشتراك مع زميلاتهما المصريات الوافدات من الجامعات المختلفة لدراسة اللغة الإنجليزية، حيث كن يرتدين الملابس المصرية والعربية..

هوامش الفصل ٣٠

(١) يؤكد هذا أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ كان يعيش في حاران بشمال العراق حوالي عام ١٨٥٠ ـ النصف الثاني من القرن التاسع عشر قبل الميلاد، أي بعد بناء الأهرامات بأكثر من ١٥٠٠ سنة..

راجع في ذلك HENRI LHOTE.Vanished Civlizations. London 1963, P . 202.

(٢) لا شك أن رمسيس الثاني هو أحق ملوك مصر بلقب «فرعون» الذي خصه به القرآن الكريم، مغايرا لقب «الملك» الهكسوسي الذي جعل يوسف على خزائن الأرض ـ أي أرض مصر ـ كما كان يطلق عليها المصريون.

فرعون في القرآن الكريم هي تعريب پرعا ـ أو پرعو ـ المصرية القديمة بمعنى البيت الكبير أو العظيم. وقد أصبحت كنية يكنى بها عن شخص الملك مها نهاية وتفخيما، مثلما أطلق العثمانيون اسم «الباب العالي» على خليفتهم..ويقول علماء المصريات أن إسم «فرعون» لم يصبح دالا بذاته على شخص الملك إلا على عصر الأسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ ـ ١٢٠٥ ق.م.) التي ينتمي إليها رمسيس الثاني (١٣٠٠ ـ ١٢٢٥ ق.م)

(راجع، SIR ALAN GARDINER, Egytian Grammar, London, 3 rd. Ed. Revised, p. 75

كانت مدة حكم رمسيس الثاني حوالي خمسة وسبعين سنة، وهي مدة تستوعب جميع الأحداث التي وقعت بين فرعون وموسى.. تلك الأحداث التي بدأت منذ التقاط آل فرعون موسى من اليم وتنشئته في قصر فرعون حتى يبلغ مبلغ الرجال، ثم يقتل موسى ذلك المصري ويهرب من مصر وآل فرعون إلى مدين حيث يتزوج، قبل أن يعود إلى فرعون نفسه ويحاوره فرعون ويداوره، وتمضي بهم السنون حتى يخرج موسى ببني إسرائيل إلى تيه سيناء وقد ناهز العقد السادس من عمره. ولا يتسع لهذا كله إلا حكم رمسيس الثاني وحده، لأن فرعون الذي احتضن وربى هونفسه الفرعون الذي جحد وعصى «قالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيداً وَلَبِثْتَ فِينا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ» سورة الشعراء آية ١٨، الذي ابتنى لنفسه عاصمة في شمال شرقي الدلتا أسماها باسمه ـ رعمسيس ـ بمعنى بيت رمسيس ـ

والثابت تاريخيا أن فرعون موسى هو الذى سخر بنى إسرائيل فى بناء مدينتين هما مخازن فيثوم ثم رعمسيس (سفر الخروج ١ : ١١)

ورمسيس الثانى هو «فرعون ذو الأوتاد» صاحب بهو الأعمدة ـ الأوتاد ـ فى معبد الكرنك، التى كان يرتكز عليها سقف هائل..وكانت زوجته الملكية الأولى نفرتارى عقيما..

يقول الملك مرنبتاح (منفتاح) خليفة رمسيس الثانى فى لوحة إسرائيل ـ الأثر المصرى الوحيد الذى جاء فيه ذكر إسرائيل بالإسم ـ أنه فى السنة الخامسة من حكمه حارب فى آسيا وأن إسرائيل أبيدت ولن يكون لها بذرة.. وعلى ذلك لا يمكن أن يكون مرنبتاح ـ كما يقول البعض ـ هو نفسه فرعون موسى الذى هلك فى اليم غريقا وهو يطارد بنى إسرائيل فى عبورهم البحر إلى سيناء.. وتدل هذه اللوحة تاريخيا على ثبوت علم مرنبتاح بوجود شعب أو قبيلة بنى إسرائيل خارج مصر ـ فى تيه سيناء ـ عندما خلف أباه على عرش مصر، لأنه لم يكن لإسرائيل كيان فى فلسطين قبل خروجهم من مصر وحتى إنشاء أول مملكة عبرانية تحت حكم شاول سنة ١٠٢٥ ق.م.

وقد كان مرنبتاح مشغولاً بأمرين:

الأول: حروبه ضد الليبيين الذين شنوا على مصر من الغرب حملات استيطانية. وسجل له التاريخ فضل حماية مصر منها، وهو ما يفسر سبب سكوت مصر عن ثأراتها لدى بنى إسرائيل أربعين سنة فى تيه سيناء وكأنه لا وجود لمصر عسكريا فيها..

الثانى: مواجهة كارثة سقوط الدولة، لأن فرعون موسى لم يمت على سريره، بل هلك هو والأمراء وقادة الجند فى كارثة كبرى ـ بآية كونية عظمى ـ مما أدى إلى افتضاح فرعون ـ أشهر فراعنة مصر وأعظمهم على الإطلاق ـ وسقوط هيبته عند شعب مصر (راجع رؤوف ابو سعدة، من إعجاز القرآن حـ ٢ دار الهلال القاهرة ط ١٩٩٤ ص ٣٣ ـ٤٩).

فاذا كان الثابت أن خروج بنى إسرائيل من مصر مع هلاك الفرعون رمسيس الثانى ونهاية حكمه كان سنة ١٢٢٥ ق.م، وأن مدة إقامة بنى إسرائيل على أرض مصر كانت ٤٣٠ سنة.. يكون تاريخ دخولهم إلى أرض مصر سنة ١٦٥٥ ق. م.

فاذا كان الثابت أن غزو الهكسوس لمصر حوالى عام ١٧٨٨ق.م، واستمرارهم فى الحكم قرنين من الزمان وطردهم من البلاد عام ١٥٨٠ق. م. يكون دخول بنى إسرائيل إلى أرض مصر خلال حكم الهكسوس..

وعلي ذلك يمكننا – بناء علي الثابت تاريخيا وعلميا ودينيا ـ تحديد تاريخ الأحداث كالآتي:

* ١٨٩٢ – ١٨١٧ ق. م كان إبراهيم عليه السلام – يعيش فى حاران

* ١٨١٧ ق. م خرج إبراهيم من حاران وعمره ٧٥ سنة (سفر التكوين - التوراة المعروفة - ص ١٢ : ٤) وانحدر إلى مصر لأن الجوع فى الأرض كان شديدا (تكوين ص ١٢ : ١٠) وصار له غنم وبقر وحمير (تكون ص ١٢ : ١٤ : ١٦).

* ١٨١٦ ق. م عاد فى أرض مصر ليقيم فى أرض كنعان ومعه هاجر المصرية.

* ١٨٠٦ ق. م تزوج هاجر بعد عشر سنوات إقامة فى أرض كنعان. (تكوين ص ١٦ : ٣).

* ١٨٠٦ ق . م ولد إسماعيل وكان ابراهيم - عليه السلام - ابن ٨٦ سنة (تكوين ص ١٦ : ١٦).

* ١٧٩٣ ق. م كان ابراهيم ابن ٩٩ سنة عندما كان عمر إسماعيل ١٣ سنة (تكوين ص ١٧ : ٢٤ ، ٢٥).

* ١٧٩٢ ق.م ولد إسحق وكان إبراهيم ابن مائة سنة (تكوين ص ٢١ :٥).

* ١٧٨٨ ق. م غزو الهكسوس لأرض مصر وإقامة معسكر مسلح عظيم غى أورايس (موقع شرق الوجه البحرى) واستمر حكمهم للبلاد ٢٠٨ سنة (الأسرتان ١٥ و ١٦).

* ١٧٥٢ ق. م تزوج إسحق وعمره أربعون سنة (تكوين ص ٢٥ : ٢٠) .

* ١٧٣٢ ق. م ولد لإسحق عيسو ويعقوب وعمره ستون سنة (تكون ص ٢٥ : ٢٦).

* ١٦٩٢ تزوج عيسو وعمره اربعون سنة (تكون ص ٢٦ : ٣٤).

* ١٦٨٥ ق . تزوج يعقوب - إسرائيل - وعمره ٤٧ سنة (تكون ص ٢٩ : ٢٠ و٢١).

* ١٦٧٢ ق.م ولد يوسف بعد عشرين سنة عمل عند لابان (تكوين ٣٠ : ٢٥ و ٣١ وص ٣١ : ٣٨ و ٤١).

* ١٦٥٥ ق. م بيع يوسف للإسماعيليين ونقل إلى مصر حيث بيع فيها وعمره ١٧ سنة (تكون ص ٣٧ : ٢) وبذلك تحدد دخول بنى إسرائيل إلى مصر.

* ١٥٨٠ ق.م طرد الهكسوس من مصر.

* ١٢٢٥ ق. م خروج بنى اسرائيل من مصر بعد إقامة ٤٣٠ سنة فى نهاية حكم فرعون مصر العظيم رمسيس الثانى (١٣٠٠ - ١٢٢٥ ق.م).

الفصل الحادى والثلاثون

الملوخية والحاكم بأمر الله

الملوخية والحاكم بأمر الله

أوقفت سيارتى أمام مبنى أيجنمانEIGENMANN - كعادتى مساء كل أربعاء - لحضور الندوات التى تعقد فى القاعة الكبرى. كان اليوم محددا لمناقشة القضية الفلسطينية التى يعرضها أستاذ اقتصاد عربى باحدى جامعات أمريكا..

فوجئت بصديقى الدكتور أبو بكر عابدين - مدير مكتب منظمة العمل الدولية بدول الخليج العربى حاليا - يمنعنى من فتح باب السيارة والخروج منها، ويطلب منى العودة إلى مسكنى وعدم حضور تلك الندوة، لأننى قد أتعرض لاعتداء البعض علىّ بسبب موقفى من قضية السلام.

رفضت بشدة فكرة الهروب وأصررت على الدخول إلى القاعة بعد أن انتزع منى الصديق أبو بكر وعدا بعدم الاشتراك فى المناقشات حتى لا أستثير الرغبة فى الاعتداء..

جلست فى الصف الثانى، رغم وجود أماكن خالية فى الصف الأول..

بدأت الندوة بتوزيع خريطة للشرق العربى، قال الأستاذ المحاضر أنها صورة طبق الأصل من الخريطة التى قدمها الصهاينة إلى مؤتمر فرساى سنة ١٩١٩ ..ألقيت عليها نظرة سريعة قبل أن أطويها وأضعها فى جيب سترتى..

بدأ الإستاذ المحاضر حديثه بهجوم شديد ضد مصر ورئيسها فى ذلك الوقت، الرئيس أنور السادات، ونعته بألفاظ بذيئة.. ثم وصف بها المصريين جميعا لأنهم ارتضوه رئيسالهم ولأنهم يؤيدونه فى سياسة السلام بين مصر واسرائيل.. وبين كل فقرة وأخرى كان يهاجم مصر والسادات بنفس المستوى البذىء من الألفاظ كأنما هما المسئولان وحدهما عن كل ما وقع فى فلسطين منذ ما قبل عام ١٩٤٨ حتى توقيع إتفاقية كامب داڤيد - والمثير للدهشة حقا، أنهم يقبلون الآن أقل كثيرا مما جاءهم به الرئيس انور السادات..

كما وصف الأستاذ المحاضر المصريين بكلمات لا يمكن أن ينطق بها رجل يحترم نفسه، لأنهم ارتضوا يوما - منذ ألف عام تقريبا - أن يحكمهم رجل مجنون مثل الحاكم بأمرالله..

بدأت المناقشة، فوقف الصديق تيجانى المسكين ـ وهو طالب من نيجيريا ممن قضوا بعض الأمسيات في ساحة منزلنا ـ يدافع عن المصريين!.. ويرفض وصفهم بألفاظ غير كريمة.. وصفق بعض الحاضرين قبل أن يستطرد قائلا، أنه لا يعتقد أن المصريين يوافقون أنور السادات على سياسة السلام مع اسرائيل..

كان الدكتور أبو بكر عابدين قد توجه إلى منزلنا محاولاً إقنا ع السيدة زوجتى بأننى مهدد بالإعتداء علىّ حتى ترسل فى طلبى بأية حجة تراها لمنعى من الإشتراك فى الندوة. لكنها رفضت الفكرة، حتى لا تخلو الساحة لأعداء السلام..

تطوع ثلاثة من المصريين ـ هم الدكتور محسن الصياد والدكتور سعد الجبالى والدكتور صلاح العشرى، السكرتير الثانى بوزارة الخارجية المصرية فى ذلك الوقت ـ للذهاب إلى مقر الندوة ليكونوا بجانبى فى الوقت المناسب..

لم استطع أن أفي بالوعد المنتزع مني.. فرفعت يدى طالبا الكلمة، وأعطيت لى..

قلت في هدوء

= يؤسفنى استعمال ألفاظ بذيئة في ندوة تجمع طلبة وطالبات الدراسات العليا الذين يمثلون أكثر من مائة دولة، وأن تصدر هذه الكلمات بالذات عن أستاذ جامعي..

امتقعت بعض الوجوه، ولكن دون حراك.. قلت مستطرداً..

ـ لم يكن المصريون هم الخونة ـ لأنهم لم يبيعوا أراضيهم وبيوتهم لليهود قبل عام ١٩٤٨ .. ولم يكن المصريون هم الخونة.. عندما كان جيشهم فى حرب سنة ١٩٤٨ على بعد خمسة اميال فقط من تل أبيب وانسحب جيش عربى كاشفا ميمنته للعدو..

بدا التوتر الصامت على بعض الحاضرين..

قلت..

= لقد حاربت مصر أربعة حروب منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٧٣ . وتحمل شعب مصر وحده أكثر مما يستطيع أى شعب آخر أن يحتمل لذلك يؤيد المصريون رئيسهم. انور السادات، ويتطلعون إلى وضع نهاية للحروب التى خاضوها وحدهم طوال ربع قرن من الزمان.. وأفرغت خزائنهم وقضت على مئات الألوف من أبنائهم..

صفق أغلب الحاضرين، وتململ البعض فى مقاعدهم، لكن الصمت كان غالبا..

استطردت قائلا

= لقد قدمت مصر الكثير للفلسطينيين. فتحت لهم مدارسها وجامعاتها ليتعلموا فيها مجانا. وكان كل طالب منهم ـ بالإضافة إلى ذلك ـ يحصل على مرتب شهرى قدره اثنتا عشر جنيها، بجانب الامتيازات الكثيرة الأخرى التى كانوا يتمتعون بها دون جميع المصريين.

قام أحد الملتفين حول الأستاذ الجامعى المحاضر وقال مقاطعا.. فى محاولة لإنهاء حديثى..

= أنا أعترف بأننى واحد من الطلبة الذين تلقوا العلم مجانا فى جميع مراحله فى مصر، حتى حضرت إلى هنا للدراسات العليا..

ولكننى بقيت واقفا لأتم حديثى فقد وجدت نفسى مضطرا إلى الدفا ع عن الحاكم بأمر الله.. قلت

= كلمة أخيرة عن الحاكم بأمر الله ـ الذى كان حاكما على مصر منذ ألف عام تقريبا ـ وقد إتهمه البعض بالجنون لإصداره ثلاثة قوانين.. ودعونى أعرضها عليكم لنرى ما إذا كان ذلك الحاكم بأمر الله مجنونا من عدمه. وبالتالى نرفع عن المصريين ذلك الوصف البذئ الذى تفضل به الدكتور المحاضر، لأنهم ارتضوه حاكما لهم منذ ألف عام!..

بدا القلق على المصريين الثلاثة وأخذوا يتبادلون الكلمات الهامسة..

قلت فى نفس الهدوء الذى ألزمت به نفسى طوال الوقت..

= من الوجبات المصرية الشهيرة «الملوخية».. وهى عبارة عن نبات ورقى أخضر ـ ولعل بعضكم قد رآها مزروعة على حافة الساحة الخارجية لمنزلنا ـ وتقطع أوراقها إلى أجزاء صغيرة جدا، ويعمل منها ما يمكن أن نطلق عليها إسم «الحساء الأخضر».. ولا يخلو بيت مصرى من عشاقها.. وحتى عام ١٩٣٠ تقريبا، كان الرجل يجبر زوجته ـ التى لا تجيد إعداد وجبة الملوخية ـ على حمل الإناء الممتلىء بها، ويذهب بها إلى منزل أسرتها لتبقى فيه حتى تتعلم إعدادها جيداً، قبل أن تعود إلى منزل الزوجية..

حطمت بعض الضحكات الصمت، وانفرجت باقى الشفاه عن ابتسامة قلت وقد أسعدنى المنظر وتجاوب الحاضرين معى..

= ولاشك أن شيئا من ذلك قد حدث فى عهد الحاكم بأمر الله. وكان ـ ككل حاكم فى ذلك الوقت ـ يعلم بأحوال الرعية من قاضى القضاة لأن القضايا التى ترفع الى الحاكم تعطى صورة واضحة عن المشكلات التى يعانى منها المجتمع.. ومنها وقوع حالات طلاق بسبب عدم إجادة إعداد وجبة الملوخية..

وأصدرالحاكم بأمر الله قانونه بمنع إعداد الملوخية، ولم يمنع أكلها لأنه لا يستطيع تحريم طعام لم يحرمه الله. ولكنه قصد بذلك القانون أن يلغى إعتبار «إعداد وجبة الملوخية» كسبب شرعي للطلاق، حفاظا على الأسرة..

وصفق معظم الحاضرين، وعلت الإبتسامة وجوه المصريين الثلاثة، بعد القلق الذى كان مرتسما عليها.. ثم ساد الصمت بسرعة فأكملت..

=كان خروج المرأة من منزلها آثار فى المجتمع لم يرض عنها الرجال فى ذلك الوقت. وأصدر الحاكم بأمر الله قانونه الثانى بمنع صناعة أحذية للسيدات، لأنه لايستطيع أن يصدر قانونا ـ مخالفا لأحكام الشريعة الإسلامية ـ يحجر به على النساء ويقيد حريتهن ويمنعهن من الخروج من منازلهن..

صفق الكثيرون وتهلل وجه الصديق الدكتور صلاح العشرى السفير بوزارة الخارجية المصرية حاليا ـ وبدا أن القلق الذى ساوره فى البداية قد زال.. وتطلع نحوى فى شغف ينتظر أن يسمع ما أقوله عن القانون الثالث..

قلت..

= طوال شهر رمضان ـ ولمدة ثلاثين يوما ـ نصوم نحن المسلمين عن تناول الطعام والشراب من قبيل الفجر حتى غروب الشمس. وقد وجد الحاكم بأمر الله ـ مثلما نجده حتى اليوم ـ أن الناس فى هذا الشهر يتكاسلون عن العمل رغما عنهم بسبب الجوع والعطش. ويقل نشاطهم كثيرا، بل إن بعضهم ينامون فى أماكن عملهم معظم ساعات النهار ولكنهم يستردون نشاطهم وحيويتهم كاملين بعد تناول طعام الإفطار وحتى الفجر. ولم يكن ذلك فى صالح الاقتصاد القومى، فأصدر قانونه الثالث بأن يعمل الناس ليلا ويناموا نهاراً طوال شهر رمضان.

صفق الكثيرون تصفيقا حادا، مما شجعني على اطلاق ملاحظتي الأخيرة

أخرجت الخريطة المطوية من جيب سترتي وفردتها بين أصابعي أعرضها عليهم.. ثم قلت..

= يؤسفني كثيرا عدم احترام الأستاذ المحاضر لعقلية الحاضرين بالندوة ـ رغم علمه بأنهم يدرسون للحصول على درجات الدكتوراة والماجستير ـ فقد وزع علينا في بداية حديثه هذه الخريطة التي قال أنها صورة طبق الأصل من تلك التي تقدم بها الصهاينة إلى مؤتمر فرساى سنة ١٩١٩ . فاذا راجعنا معا هذه الخريطة نجد بها أسم «المملكة العربية السعودية» التي لم تنشأ إلا سنة ١٩٣٦ ، كما نجد بها إسم «الجمهورية العربية المتحدة» التي لم توجد إلا سنة ١٩٥٨ ..

علت همهمة الإزدراء بين الحاضرين، وعندما إلتفت كان الأستاذ المحاضر وبعض الملتفين حوله قد هربوا من باب جانبي!..

وخرجت من قاعة الإجتماعات يحيط بي الأصدقاء المصريون الثلاثة وعدد من الأصدقاء الأمريكيين والأجانب.. لأجد في ساحة منزلنا عددا كبيرا من المصريين والسودانيين ينتظرون عودتي..

وصاح الصديق الدكتور صلاح العشرى بطريقته المرحة..

= لقد أفزعني عادل عندما اعتقدت أنه قد أوقع نفسه في مأزق، إذ ماذا يمكنه أن يقول دفاعا عن الحاكم بأمر الله! ليدفع عن المصريين تلك البذاءات الرخيصة التي أطلقها الدكتورالمحاضر..

وأخذ الدكتور صلاح العشرى يروى لهم ماحدث وانطلقت الضحكات عالية ليزيلوا بها ما علق بنفوسهم من قلق..

ويهمني في هذا المجال أن أذكر واقعتين حدثتا في إحدى البلاد العربية تنبيان عن حقيقة مشاعر شعب مصر ـ بعيدا عن بعض الكتاب والسياسيين ـ تجاه الرئيس الراحل محمد أنور السادات وبالتالي تجاه سياسة السلام التي انتهجها..

بعد إعلان توقيع إتفاقية كامب دافيد سنة ١٩٧٨ ، قام الفلسطينيون المقيمون والعاملون بتلك الدولة العربية ـ وبمجموعات ضخمة تتناسب مع عددهم فيها ـ

بمحاصرة السفارة المصرية، وهم يهتفون ضد مصر ورئيسها، مهددين باقتحام السفارة والاعتداء على من فيها..

اتصل السفير المصرى تليفونيا بوزير الداخلية فى تلك الدولة العربية، طالبا سرعة إرسال قوات أمن لحماية السفارة ورجالها.. ولكن الوزير الفاضل اعتذر عن عدم توافر القوات الكافية لتصد تلك الجموع الحاشدة أمام السفارة وحولها..فقال له السفير المصرى أنه ـ فى تلك الحالة ـ يحق له إتخاذ ما يراه من إجراءات مناسبة لحماية سفارة مصر..!

وقبل مضى وقت طويل، كان آلاف العمال المصريين العاملين بتلك الدولة يحيطون بالفلسطينيين حيث أجبروهم على فك الحصار المضروب حول السفارة والفرار سالمين..

وعندما أغتيل الرئيس أنور السادات يوم ٦ أكتوبر سنة ١٩٨٠ لم تقدم الصحف أو الإذاعة ـ فى نفس تلك الدولة العربية ـ العزاء لمصر أو لشعبها لفقد بطل وطنى إستعاد لمصر وللبلاد العربية كرامتها التى فقدتها عام ١٩٦٧، ورفع رأس المصريين عملا لا قولا.. بل لقد رفضت صحف تلك الدولة العربية نشر النعى الذى أرادت سفارة مصر نشره بالأجر.. فقام العمال المصريون بإعداد سرادق ضخم ـ بعد أن جمعوا العدد اللازم من البطاطين ـ وأحضروا مقرئا.. واستمر ذلك لثلاثة أيام، كان بعض العمال خلالها يتناوبون حراسة السرادق من كل ناحية لحمايته ومن حضروا للعزاء فى فقيد مصر..

الفصل الثانى والثلاثون

نجلاء فتحى الأمريكية

نجلاء فتحى الأمريكية

الأمريكيون ـ فى غالبيتهم ـ ممن ينطبق عليهم وصف الإمام الشيخ محمد عبده ـ بعد عودته من أوربا ـ أنهم ممن يعملون بالإسلام ولا يدينون به، فالإنسان صادق دائما إلى أن يثبت العكس، وإذا حدث ذلك، وعرف عنه الكذب، فقد إعتباره فى المجتمع..

وقد إلتقيت يوما بطالبة أمريكية تشبه تماما الممثلة القديرة نجلاء فتحى. ولم تصدق الفتاة الأمريكية أنها تنظر إلى غير صورتها عندما قدمت لها صورة نجلاء فتحى، التى كانت إبنتى الكبرى تحتفظ بها.. وقد طلبت منها أن أقدمها إلى المصريين الدارسين فى جامعة إنديانا وعائلاتهم فى إجتماعهم التالى ـ على سبيل الدعابة فقط ـ على أنها أخت غير شقيقة للفنانة نجلاء فتحى، ولكنها رفضت بشدة أن تكذب ولو على سبيل الدعابة أو لفترة قصيرة.. وقد استأذنت أن تحتفظ بالصورة لعدة أيام حتى تراها صديقاتها.

والأمريكيون ـ مثل المصريين ـ يحبون المرح والفكاهة. ولعل الفيلم الأمريكى الشهيرFLYING HIGH يعطى صورة واضحة عن ذلك.

وعندما قدم لنا جون ويليامزJOHN WILLIAMS عمدة مدينة بدفورد BED-FORD MAYOR بولاية إنديانا بشهادة بمنحنا ـ أنا والمجموعة المصرية ـ لقب مواطن شرف HONORARY CITIZENلمدينة بدفورد، قال مداعبا..

= لا تنسوا أن تعطونى أصواتكم فى الإنتخابات القادمة!..

والمعروف أن المواطن شرف ليس له حق الانتخاب..

وفى مدينة سان دييجوSAN DIEGO بولاية كاليفورنياCALIFORNIA كنت أزور الصديقين مارشا وريتشارد جريسماير، RICHARD GRASSMEYER وMARCIA ودعوتهما للعشاء فى مطعم أقيم على جزيرة صخرية صغيرة جدا داخل المحيط الهادى، وتبعد عن الشاطىء باكثر من كيلومتر..وقد أقيم كوبرى خشبى يصل بين الشاطىء والمطعم، يجلس على جانبيه هواة صيد السمك.

وعند خروجنا من المطعم، قابلتنا رياح باردة. وقد لاحظنا على الكوبرى شخصا منهمكا فى إعداد معدات الصيد.. سألته مارشا

= هل إصطدت شيئا؟! HAVE YOU CAUGHT ANYTHING =

أجابها الرجل بسرعة

= نعم، لقد أصبت بالبرد! Yes, I CAUGHT COLD=

والفكاهة هنا تعود إلى اختلاف استعمال كلمة واحدة بمعنى الصيد أو الإصابة بالبرد..

ولعل ما حدث صباح يوم الأحد ٦ فبراير سنة ١٩٨٣ يبين فى وضوح مدى بساطة وطيبة الشعب الأمريكى فى غالبيته..

كانت صحيفة صنداى هيرالد تايمز SUNDAY HERALD TIMES قد نشرت صباح ذلك اليوم موضوعا عن زيارتى للمشروع السياحى فى مدينة بدفورد فى شهر يوليو سنة ١٩٨٢، وأننى غير راض عن استقالة ميرل إدنجتون MERLE EDING-TONرئيس الغرفة التجارية لمدينة بدفورد بسبب الصعوبات الكبيرة التى وضعت فى طريقه لعرقلة تنفيذ المشروع وبناء هرم بدفورد.. وأننى قد اقترحت جمع تبرعات من أهالى مدينة بدفورد ومن جميع الأفراد المقيمين بولاية إنديانا لصالح المشروع، وأننى قد بدأت بارسال شيك بمبلغ عشرة دولارات مساهمة منى فى حملة التبرعات، وأننى قد قلت ـ عند زيارتى لموقع بناء الهرم ـ أنه لن يجتذب آلاف السائحين إلى منطقة بدفورد وحدها، ولكنه سيجعل عددا كبيرا منهم، يذهبون إلى مصر لمشاهدة الهرم الأصلى.. وأننى قد عشت فى ولاية إنديانا أكثر من ثلاث سنوات، مما تعتبر معه وطنا ثانيا لى، وأننى قبل عودتى لوطنى مصر قمت بزراعة شجرة تفاح فى حديقة منزل الصديق ولترسير WALTER SARE الذى يقع على بعد عشرة أميال شمال مدينة بلومنجتون BLOOMINGTON رمزا للصداقة الدائمة بين الشعبين المصرى والأمريكى..

كانت أسرة الصديق ولترسير تتناول طعام الإفطار استعدادا للذهاب إلى الكنيسة التى يتبعونها، عندما طرقت آذانهم أصوات آلات التنبيه الصادرة من عدة سيارات خارج المنزل.

كان ذلك غريبا عليهم ومثيرا للدهشة، إذ يستحيل أن تقتحم أى سيارة طريقا خاصا داخل الغابة طوله حوالى ميل (أكثر من كيلو ونصف) حتى تصل إلى المنزل، كما أن أصوات آلات التنبيه صادرة من عدة سيارات، واستعمالها فى حد ذاته أمر غير طبيعى..

تركوا مائدة الطعام مسرعين، وما أن فتحوا الباب حتى فوجئوا بمجموعة من أصدقائهم وأسرهم وهم يحملون معهم نسخا من جريدة الصنداى هيرالد تايمز.. ويطلبون مشاهدة شجرة التفاح التى غرسها المحامى المصرى.. رغم أنها لا تختلف ـ قطعا ـ عن أى شجرة تفاح أخرى!..

وأذكر أننى كنت أقف مع مجموعة من الأصدقاء والمعارف حين دعانى أحد أساتذة الجامعة ـ أنا وأسرتى ـ لتناول طعام الغذاء، معه وأسرته بمناسبة عيد الشكر..THANKSGIVING، فقلت له بقصد المداعبة..

- سأسأل حكومتى أولا..

قال فى جد واهتمام..

= وهل يجب أن تحصلوا على موافقة حكومتكم فى مثل هذه الأمور البسيطة؟..

قلت وأنا أتظاهر بالجد..

- نعم..

سألنى فى اهتمام..

= وكم يستغرق ذلك من الوقت؟..

قلت..

- ليس وقتا طويلا..

ثم دعوت السيدة زوجتى التى تقف غير بعيد: وحين جاءت قلت له ضاحكا..

= هذه حكومتى، سأسألها الآن..

وأخذ يضحك وهو يقول..

= لقد صدقت قولك.. ولم أعرف أنك تحب الدعابة!.

ولم تقف بساطة الشعب الأمريكي عند حدود بلاده، بل تعدتها إلى قارة أوربا.. ففى أحد ميادين مدينة بروكسلBRUSSELS عاصمة بلجيكا تمثال لطفل يتبول فى إحدى النافورات. ولم تكن لهذا التمثال أهمية ما حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، عندما تجمع أمامه مجموعة من الجنود الأمريكيين الذين وقفوا طويلا يتأملونه باهتمام كبيروهم يتبادلون التعليقات المرحة.. وبدأ زملاؤهم يفعلون مثلهم.. وكانت مجموعات كبيرة من الجنود الأمريكيين تلتف دائما حول التمثال.. مما اجتذب عددا كبيرا من نساء أوربا المتطلعات إلى الدولارات الأمريكية التى تمتلىء بها حافظة نقود كل منهم..

ومع الأيام أصبح التمثال من المعالم السياحية الهامة فى مدينة بروكسل، وطبعت صورته على كروت سياحية وصنعت نماذج مصغرة للتمثال للبيع.. وعندما زرت الصديق چورج ميرسيرGEORGE MERCIER من مدينة بلومنجتون بولاية إنديانا فى سبتمبر عام ١٩٩١، كانت إحد النماذج المصغرة للتمثال تتوسط نافورة المياه فى الحديقة الأمامية لمنزله، أهداه إليه أحد أصدقائه من بلچيكا..

والأمريكيون يقدرون الوقت ومثلهم القائلTIME IS MONEY يقابل المثل المصرى.. «الوقت من ذهب» ولا يعنى ذلك ـ كما يدعى البعض فى كتاباتهم عن الأمريكيين ـ أنهم يطالبونك بقيمة الوقت الذى تقضيه معهم.. إنهم يحترمون وقت العمل، كما يحترمون وقت اللهو ويستمتعون به، ولا يخلطون بينهما..

إننا نخطىء كثيرا إذا أصدرنا حكمنا على الشعب الأمريكى من خلال إتجاهات وتصرفات الإدارة الأمريكية الحاكمة..

إن الولايات المتحدة الأمريكية قد تصبح دولة عظمى بحق ـ وليس مجرد قوة شرطة عظمى ـ إذا تطابقت الإتجاهات والتصرفات بين شعبها وحكومتها.. وذلك يقتضى تعديل الدستور الأمريكى.. بما يحد من نفوذ وسيطرة جماعات الضغط ذات الولاء المزدوج..

الفصل الثالث والثلاثون

الأمريكيون الأفارقة يبحثون عن جذورهم

الأمريكيون الأفارقة يبحثون عن جذورهم

عندما وصلت السيدة زوجتي وزميلتها الدكتورة عايدة مصطفى إلى واشنطن د. س.WASHINGTON D.C ـ العاصمة السياسية للولايات المتحدة الأمريكية ـ كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل، وكان عليهما أن تذهبا إلى مقر الإقامة المخصص لهما في مبنى معهد دراسة اللغة الإنجليزية..

وقفتا في طابور خارج مبنى المطار لتستقلا سيارة أجرة، وحين أصابهما الدور فوجئتا بأن قائد السيارة من الأمريكيين الأفارقة ـ الذين سبق لهما أن سمعتا في مصر التحذير تلو التحذير من الركوب مع أحدهم، حتى لاتتعرضا لأى أذى.. تاثرا بما تعرضه الأفلام الأمريكية عنهم..

ولم يكن باستطاعتهما أن تختارا سيارة الأجرة أو السائق لأنه بالدور.. كانت هذه أول مرة تسافر فيها الدكتورة عايدة مصطفى خارج حدود مصر.. ولكن زوجتي كانت قد سافرت كثيرا إلى عدة دول عربية وأوربية ـ شرقية وغربية ـ ممثلة لبلادها، منذ كانت في السابعة عشرة من عمرها..

أخفت كل منهما هواجسها عن زميلتها خشية أن تأتي بتصرف يربكهما.. وقدمت السيدة زوجتي لسائق السيارة الأجرة ورقة مكتوب عليها عنوان معهد اللغة..

وبدأت الرحلة التي استمرت لمسافة طويلة جدا، بدت لهما كأنها لا تنتهي. وأخذت السيدة زوجتي تدعو الله وتردد ما تحفظه من آيات القرآن الكريم، وهي تجاهد أن لا يبدو عليها ما يملأ نفسها من الخوف والقلق، حتى لاتثير الرعب في نفس زميلتها التي كانت مجهدة من طول السفر..

وأخيرا توقفت السيارة أمام مبنى مغلق.. كانت الساعة قد، قاربت الثانية صباحا ـ بعد منتصف الليل ـ وطلب منهما السائق أن تتفضلا بالنزول من السيارة لوصولهما إلى المكان المطلوب..

أدركت زوجتي أن أحدا ليس بالمبنى فى تلك الساعة المتأخرة من الليل، ولكن كان يجب أن تتأكد من ذلك.. طلبت من زميلتها الدكتورة عايدة مصطفى أن تنزل من السيارة وتطرق الباب، فقد خشيت أن تنزل هى وتتركها فى السيارة وحدها، فتتعرض للاختطاف مع الحقائب أو للأذى من السائق.. وظلت الدكتورة عايدة مصطفى تطرق الباب دون مجيب فعادت الى السيارة..

وطلبت السيدة زوجتى من السائق أن يقودهما إلى أقرب فندق من مبنى المعهد، فأوصلهما إلى فندق هوليداى إن، ونزل السائق وحمل الحقائب عنهما إلى مكتب الاستقبال، ولم ينصرف حتى إطمأن على وجود غرفة لهما بالفندق. وعندئذ حمل الحقائب إلى غرفتهما فقد لاحظ مدى الإرهاق الذى يعتريهما..

وكانت المعاملة الطيبة التى أبداها سائق سيارة الأخرة مفاجأة لهما، تختلف تماما عما قيل لهما عن الأمريكيين الأفارقة..

كانوا يطلقون عليهم ـ قبل الحرب الأهلية الأمريكية ـ إسم نجروز NEGROS أى الزنوج.. وكانوا هم يطلقون على أنفسهم اسم «السود»THE BLACKS. وكانوا يرددون دائما أن اللون الأسود جميل، ويغضبون إذا وصفهم أحد بكلمة «الزنوج»، لأنها تحمل معنى العبودية..

وعندما دعتنا الصديقة الدكتورة أديل دندىDR.ADELE DENDY لتناول طعام الغذاء فى بيتها، فوجئنا بمفرش المائدة الأسود وقد تناثرت حوله بعض قطع صغيرة من اللون الأحمر!.

ثم أطلقوا على أنفسهم اسم «أفرو أمريكان AFRO- AMERICANS ـ بعد إذاعة المسلسل الشهير «الجذورROOTS» .ثم تغير الاسم إلى الأمريكيين الأفارقة» AFRICAN AMERICANS ليربطوا أنفسهم أكثر بالمكان الذى جاء منه أجدادهم وهو أفريقيا ـ كما ذكرت لى الصديقة دونا ديبوزDONNA DEBOSE التى كانت تدرس سنة ١٩٩١ للحصول على درجة الدكتوراة فى الموسيقى ـ بعد أن إنتهى الوقت الذى كانوا يشعرون فيه بالخجل لأنهم ينتمون إلى أفريقيا. وقد أصبحوا أكثر معرفة بانتمائهم وتراثهم الأفريقى، ويشعرون بالفخر إذ يعتبرون أفريقيا مسقط رأسهم..

وتفضل الفتيات الأمريكيات الأفارقة الزواج من الأمريكيين الأفارقة، لأن الحب وحده لا يكفي.. ذلك أنه في حالات الزواج بين مختلفي الجنس، تظهر مع الأيام بعض المشكلات التي تقوم على اختلاف الثقافة، لأن هناك اختلافا لا يمكن لأحد أن ينكره..

وتقول دونا ديوز - وهي سمراء جميلة رشيقة القوام - أن بعض شباب الأمريكيين الأفارقة يقبلون على الزواج من النساء البيضاوات، لأن الدعاية - في الصحف والإذاعة والتليفزيون - تتحدث دائما عن المرأة البيضاء كرمز للجمال..

وقالت دونا، أن الأمريكيين الأفارقة مازالوا يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية أو كاحدى الأقليات.. والمفروض أن يكون لهم الحق كاملا في فرصة العمل وفرصة الدراسة، لأننا نعيش في بلد حرFREE COUNTRY

قلت لها..

= كنت في زيارة لدولة البحرين خلال حرب الخليج وتحرير الكويت وأبدى بعضهم تساؤلا عما لا حظوه بوضوح من زيادة نسبة الجنود من الأمريكيين الأفارقة في القوات الأمريكية المحاربة عن نسبتهم العددية في المجتمع الأمريكي..

قالت دونا..

= يذهب الشباب من الأمريكيين الأفارقة إلى الجيش حيث يشعرون بأنهم شيء ما.. كما أن ذلك يتيح لهم فرصة الحصول على المال اللازم لإستكمال دراساتهم الجامعية. ولذلك كان في مقدمة الجيش دائما نسبة منهم تتراوح بين ٣٠٪ إلى ٤٠٪.

وقالت ديبرا DEBRA - وهي طالبة بالدراسات العليا بالجامعة ولها طفلة - ردا على تساؤلي عن زيادة نسبة المواليد من نساء غير متزوجات بين الأمريكيات الأفارقة، حتى بلغت ثلثي عدد الأطفال المولودين من غير المتزوجات في المجتمع الأمريكي..

= لعل ذلك هو سبيلنا الوحيد للحفاظ على الجنس.. إن أغلب رجالنا، إما في الجيش أو في السجون.. ولعل ذلك سبب كاف لما جاء في ملاحظتك عن زيادة نسبة المواليد من نساء غير متزوجات.

وأضافت ديبرا..

= من حق كل امرأة منا أن تكون أما، ومن واجبها أن تلد طفلا ـ على الأقل ـ ليستمر بقاء الأمريكيين الأفارقة..

ابتسمت وأنا أقول لها..

= إنك تذكرينني بما كان يفعله الإغريق القدماء، فقد كانوا يعتبرون إنجاب الأطفال واجبا وطنيا..

وفي لقائي الأخير مع الصديقة الدكتورة دونا ديبوز قبل مغادرتي للولايات المتحدة الأمريكية في سبتمبر سنة ١٩٩١، قالت لي..

ـ إذا أردت أن تكتب حقا عن الأمريكيين الأفارقة، أرجو أن تذهب إليهم حيث يقيمون في ضواحي نيويورك وشيكاغو وغيرهما، وأن تعيش بينهم عدة أشهر نفس حياتهم، وأن تأكل من طعامهم، عندئذ فقط ستجد شيئا هاما تكتبه عنهم.. قلت لها..

ـ إنني قد لاأستطيع ذلك لأسباب كثيرة لاتخفى عليك..

قالت دونا في أسى..

= إنني أفهم ما تريد أن تقوله.. لقد تحرروا من أغلال العبودية، ولكن هناك من يحاول إعادتهم إلى نوع جديد من العبودية، باخضاعهم لعادة شرب الخمر وتعاطي المخدرات التي تدفعهم إلى إرتكاب بعض الجرائم ولن يحميهم من ذلك إلا إرادتهم واصرارهم على التحرر من كل صور العبودية..

وقد لاحظت أن العلاقات بين الأمريكيين الأفارقة والأمريكيين الأوربيين قد ازدادت زيادة كبيرة عما كانت عليه في السبعينات، وأصبحت بينهم صداقات شخصية وطيدة.. وإن كانت الدراسات التي قامت بها بعض اللجان الرسمية تقرر أن الأمة الأمريكية تتحرك في إتجاه تواجد مجتمعين منفصلين وغير متساويين، أحدها أسود والآخر أبيض.. وأن التمييز في الإعتمادات المالية والإسكان والوظائف على أساس الجنس قد ظهر من جديد..

وقد توصلت اللجان المذكورة إلى عدة نتائج هامة وخطيرة..

١ـ إزدياد معدل الوفيات بين الأطفال الأمريكيين الأفارقة.

٢ـ تضاعف معدل البطالة بين الأمريكيين الأفارقة عن معدلها بين الأمريكيين الأوربيين.

٣ـ قلة نسبة الأجور التى يحصل عليها الأمريكيون الأفارقة عن ثلاثة أربا ع الأجور التى يحصل عليها الأمريكيون الأوربيون..

٤ ـ إزدياد معدل الفقر بين الأمريكيين الأفارقة حتى بلغ ثلاثة أضعاف معدل الفقر بين الأمريكيين الأوربيين تقريبا..

٥ ـ متوسط دخل عائلات الأمريكيين الأفارقة يبلغ حوالى ٥٧٪ من متوسط دخل عائلات الأمريكيين الأوربيين.

وللأمريكيين الأفارقة تأثير كبير واضح فى الموسيقى الحديثة وكذلك فى اللغة.. لأن لهجتهم أكثر سهولة لطلبة المدارس، لعدم مراعاتها لقواعد النحو والإملاء.. ولذلك انتشرت بين الجميع دون استثناء..

فعندما بدأ الأمريكيون الأفارقة تعلم اللغة الإنجليزية خلطوها بلغاتهم الأصلية دون أن يستطيعوا استيعاب قواعد اللغة الجديدة أو النطق الصحيح لبعض الحروف والكلمات..

وعلى سبيل المثال إذا كان الحرفان TH (ث) سابقين لحرف R (ر)، فإن الحرفين ينطقان F (ف). فكلمة THREE بمعنى ثلاثة تنطق FREE، وكلمة THROUT بمعنى حنجرة تنطق FROUT..

واذا كان الحرفان TH (ذ) بين حرفين كلاهما R (ر)، فانهما ينطقان حرف V (ڤ) فكلمة BROTHER بمعنى أخ تنطق BRUVAH، وكلمة RATHER تنطق RAVAH.

أما إذا كان الحرفان فى أول الكلمة فينطقان D (د). فكلمة THE تنطق DE، وكلمة THEY تنطق DEY، وكلمة THAT تنطق DAT ..

واذا جاء الحرفان TH (ث) فى أول الكلمة، كان نطقها T (ت) فقط. فكلمة THINK تنطق TINK، وكلمة THOUGHT تنطق TOUGHT وكلمة THIN تنطق TIN..

وكذلك الحال إذا جاء الحرفان فى وسط الكلمة فكلمة NOTHING تنطق NUT'N وكلمة MONTHLY تنطق MONTLY..

واذا جاء الحرفانTH (ث) فى نهايةالكلمة نطقا (ف) أو T (ت) فكلمةTOOTH تنطقTOOF وكلمةSOUTH تنطقSOUF أما كلمة TENTH فتنطقTENT، وكلمةMONIH تنطقMONT .

ولا ينطق حرفG (ج) فى نهاية الكلمة فكلمةDOING تنطق = DOINوكلمةGOING تنطقGOIN..

ويلغى حرفR (ر) إذا كان سابقا لحرفO، أو فى نهاية الكلمة أحيانا.. فكلمةPROTECT تنطقPOTECT وكلمةPROFFESSOR تنطقPOFESSUH، وكلمةYOUR BOOK تنطقYOU BOOK ، وكلمةSISTER تنطقSISTUH .

وهم يحذفون حرف S (س) اللازم للتعبير عن الجمع فى الأسماء.. فلا يقولونFIVE BOOKS ، بلFIVE BOOK ..

والغريب أنهم يضيفون نفس الحرف S للتعير عن الجمع فى كلمات لاتحتاج إليه، لأنهافى ذاتها جمع ـ فكلمةMENبمعنى رجال ينطقونهاMENS وكلمةCHILDREN بمعنى أطفال ينطقونهاCHILDRENS..

وبالنسبة لقواعد النحو نجد أنهم ينطقون جملة HE GONE HOMEبدلا من النطق السليم لها HE HAS GONE HOME كما ينطقون الجملةHE BE BUSY بدلا من النطق الصحيح لها HE WILL BE BUSY.

ولايستعمل حرف S فى نهاية الفعل للشخص الثالث فيقولون HE WALK فقط ولا ينطقونهاHE WALKS..

كما يحذف أيضا هذا الحرف إذا كان وسط الفعل، فيقولونHE DONT GO بدلا من النطق السليم لها HE DOES'NT GO..

ويزيد عدد الأمريكيين الأفارقة على ١٢ ٪ من مجموع تعداد الشعب الأمريكى البالغ ٢٥٠ مليونا. وقد كان للمسلسل الشهير «الجذورROOTS» للكاتب الأمريكى الأفريقى أليكس هيلى أثر كبير واضح على الكثيرين منهم، الذين يتمنون لو استطاعوا أن يعرفوا جذورهم الأفريقية..

وقد لاحظت أن أحد الأمريكيين الأفارقة يتابع محاضراتى بالشرائح الملونة عن مصر.. وكان يحرص على مصافحتى وتبادل الحديث معى قبل انصرافه وعندما ذكرت له ملاحظتى يوما قال..

= إننى أشعر بالسعادة والفخر وأنا أستمع إليك تتحدث عن حضارة عظيمة فى أفريقيا، حيث جذورى..

ولكن ما رأى المرأة ـ من أصل أوربى ـ فى علاقتها بالرجال من الأمريكيين الأفارقة..

قالت لى الطالبة باربرا BARBRAH ـ وكانت زميلتى ضمن المجموعة التى تزور إصلاحية الأحداث بولاية إنديانا INDIANA BOYS SCHOOL ـ كل أسبوعين..

= إننى أستمتع بحياتى الشخصية مع صديقى الأسود ولكنى لن أتزوجه، لأن أسرتى لاتقبل طفلا ملونا.. وأنا أحب الأطفال..

وفى نفس الوقت، هناك الصديقة ساندىSANDIE ـ من كولمبس إنديانا -COLUMBUS ـ التى تزوجت وأنجبت أطفالا ملونين..

إن استمرار وجود بعض مظاهر التمييز العنصرى لايتعارض فقط مع الحديث عن الديمقراطية وحقوق الإنسان، بل إنه يهدد بكوارث إجتماعية واقتصادية.. وفى رأيى، أن حدثا صغيرا يقع من أنصار التمييز العنصرى، قد يكون بداية لإعصار مدمر..

الفصل الرابع والثلاثون

القضاء الأمريكى

القضاء الأمريكى

يطبق القضاء الأمريكي نظام تحضير الدعوى قبل نظرها أمام المحكمة- الذي كان مطبقا في مصر من قبل - فلا تتم احالة الدعوى إلى المحكمة وتحديد جلسة لنظرها إلا بعد الإنتهاء تماما من تحضيرها بإيداع جميع المستندات وتبادل المذكرات.

وقد سافرت إلى مدينة دنفر DENVER- عاصمة ولاية كولورادو- فى بداية صيف سنة ١٩٨٢ للإشتراك مع أحد المحامين الأمريكيين في رفع دعوى مدنية قبل سقوط الحق فى إقامتها بمضى المدة..

وقد استمر تحضيرالدعوى لتقديم المستندات والمذكرات وإجراء التحقيقات اللازمة، حتى أحيلت الدعوى إلى المحكمة. وتحددت جلسة لنظرها.. وطلب المحامى الأمريكى الصديق جيمس جيلبرت JAMES GILBERT ضرورة تواجدى معه قبل ثلاثة أشهر من تاريخ الجلسة المحددة ، حيث يتم تحديد وتركيز النقاط التى تثار أمام المحكمة والمحلفين JURY، بعد تصفية بعض الموضوعات فى المذكرات المتبادلة بين محامى الخصوم.

والمحامى الأمريكى لا يكذب فى أقواله ولا يخفى مستندا أو ينكر وجوده، بمقولة أنه يمارس حق الدفاع.. وإذا فعل ذلك واكتشفت فعلته ومسئوليته عنها، فإنه يفقد اعتباره كمحام أمام القضاء وفى المجتمع أيضاً.. ولذلك لا يستمر نظر الدعوى طويلا مثلما يحدث فى مصر.

فلمدة زادت على العشر سنوات تقريبا، كانت المحاكم المصرية تنظر القضية المرفوعة منى ضد الشركة التى كنت مديراً عاما بشئونها القانونية، بسبب إخفاء الدفاع عن الشركة مستند هام، بل وإنكار وجوده رغم سابق تقديمه فى بعض القضايا وصدور أحكام تأسيساً عليه، بالإضافة إلى ثبوت وجوده فى تحقيق هام قامت به إحدى الجهات القضائية الهامة..

وإطلاق وصف «القضاء الواقف» على المحامين الذين يلتزمون بعدم إخفاء الحقيقة وتضليل العدالة ويمارسون أعمال المحاماة بالشرف والأمانة والإستقلال- طبقاً لما تقضي

به المادة العشرون من قانون المحاماة- يلقى العبءالأكبر على نقابة المحامين لاتخاذ إجراءات المساءلة التأديبية- علي الأقل- ضد المحامي الذي يتعمد إخفاء الحقيقة وتضليل العدالة، التي تقوم أساسا علي الحقيقة المجردة..

وإذا كنا قد تعلمنا- في أول محاضرة لعلم أصول الفقه الإسلامى- أن القضاة ثلاثة، واحد فى الجنة واثنان فى النار، والأول هو من عرف الحق وقضى به، والثانى هو من عرف الحق ولم يقض به، والثالث هو من لم يعرف الحق ولم يقض به، أدركنا مدى الجرم الذى يرتكبه المحامى عندما يخفى الحقيقة عن المحكمة ويحرم قضاتها من أن يكونوا من القسم الأول.

وقد تم إختيار المحلفين بعد التأكد من عدم وجود أى صلة لهم بأحد طرفي الدعوى، سواء بالقرابة أو بالعمل. وعدم سابق تأثرهم بأى معلومات خاصة بموضوع الدعوى. ويعتبر حضور المحلفين جلسات المحاكمة أيام عمل يتقاضون عنها أجرهم كاملا من الجهات التى يعملون بها، إذ إنهم لا يتقاضون أجرا عن اشتراكهم فى هيئة المحلفين ولكنهم يتمتعون بتقدير اجتماعى خاص.

والقانون الخاص بولاية كولورادو يمنع المحامى من الحضور أمام محاكمها إلا إذا كان حاصلا على تصريح بذلك من الجهة المختصة.. أى أن المحامي الأمريكي الذى يمارس مهنته فى إحدى الولايات الأخرى، يلتزم بالتقدم إلى تلك الجهة المختصة للحصول على ترخيص يتيح له الحضور أمام محاكم ولاية كولورادو، وإلا كان لزاما عليه أن يلجأ إلى أحد المحامين بالولاية.

وذات يوم دعانى المحامى چيمس جيلبرت ليبلغنى- خلال فرحته الغامرة- أن المحكمة قد وافقت على أن أجلس مع المحامين أثناء نظر الدعوى. وأننى قد أتحدث فى المحكمة بناء على طلبها وليس بصفتى محاميا مصريا..

والحقيقة أن الصديق جيمس جيلبرت من المحامين الممتازين المخلصين فى أداء أعمالهم.. كانت الشهور الثلاثة السابقة على تاريخ الجلسة مزدحمة بالبحث والدراسة ومناقشة الخصوم والشهود. وكثيرا ما كان يدعونى إلى مكتبه فى أرفادا ARVADA ـ

إحدى ضواحى مدينة دنڤر ـ لمناقشة مشكلة عرضت عليه.. وكنا ـ والحمد لله ـ نجد الحل المناسب لكل واحدة منها.. كان للتعاون والثقة المتبادلة بيننا أثر كبير فى نجاحنا.

واقترب موعد الجلسة المحددة لنظر القضية ووضحت الرؤية فيها ولم يبق إلا عشرة أيام تقريبا عندما طلبنى المحامى جيمس جيلبرت إلى مكتبه فى لقاء عاجل، وأبلغنى أن الخصوم يعرضون إنهاء الدعوى صلحا، بعد أن تأكدوا من حسن مركزنا القانونى فيها.. وسألنى الرأى فى ذلك بالقبول أو الرفض..

قلت..

ـ إننى أرفض الآن إبداء رأيى حتى يتقدموا رسميا إلى المحكمة بطلب الصلح.

وفى الحال أبلغ المحامى جيلبرت زميله محامى الخصوم تليفونيا بما ذكرته له.

وتقدم محامى الخصوم بطلب إنهاء الدعوى صلحا، ووافقنا على ذلك. وبعد أيام قليلة تحددت جلسة الصلح برئاسة قاضى آخر ـ غير القاضى الأصلى المنوط به نظر الدعوى ـ حتى إذا فشلت مفاوضات الصلح لا تكون هناك أية شبهة فى تأثره بموقف الخصوم.

وتم الإجتماع فى قاعة واسعة حول مائدة كبيرة فى مكتب محامى الخصوم.. وعرض قاضى الصلح طلب المدعى عليهم إنهاء الدعوى صلحا، والشروط التى يرونها مناسبة لذلك.. وتم الإتفاق على قيمة التعويض المطلوب بعد مناقشات اشترك فيها الجميع، دون أن يقاطع أحدنا الآخر. أو يحتد فى لهجته، أو يحاول أن يبدى رأيا أو إعتراضا فى غير دوره..

طلبت من قاضى الصلح أن يدفع الخصوم قيمة التعويض كاملا ودفعة واحدة، لأننا سنعود إلى مصر بعد ذلك.. ولكنه قال أن القانون فى ولاية كولورادو ـ وما جرت عليه المحاكم فيها ـ يمنع دفع التعويض للمحكوم له دفعة واحدة، لأنه قد ثبت بالتجربة أن مبلغ التعويض ـ مهما كان قدره ـ يتم إنفاقه بسرعة فى عدة سنوات بسبب الأهل والأقارب ـ والأصدقاء أحيانا ـ الذين يتهافتون عليه بطلباتهم.. فهذا يريد إقامة منزل أو

إستكمال البناء.. وهذا يريد إنشاء مشروع تجارى أو التوسع فيه. وذاك يريد الزواج ويحتاج لبعض المصروفات.. وهكذا، وبعد سنوات قليلة يجد المحكوم له بالتعويض نفسه صفر اليدين، ولا يجد أحدا من الذين نهبوا نقوده يمد له يد المساعدة.. ولذلك فإن سداد التعويض يتم على أقساط شهرية..

سألته..

= ماذا يضمن لنا إستمرار تلك الأقساط لعشرات السنين؟!

قال..

= إن عقد الصلح يتضمن قبول إحدى شركات التأمين ضمان ذلك طوال فترة تنفيذ الحكم، مهما طالت.

وتم التوقيع على عقد الصلح قبل تاريخ الجلسة المحددة.. وقررت المحكمة المختصة إعتماده.. وادهشنى أن يكون إلزام الخصوم بأتعاب المحاماة كاملا وفوريا، دون ربطها بقيمة التعويض أو طريقة السداد..

وللمحكمة العليا الأمريكية سلطات واسعة وتلتزم بقراراتها جميع الولايات الأمريكية والحكومة الفيدرالية قبلها.. وقد بدت أهمية وخطورة قراراتها فى موقفين..

أحدهما فى شأن إباحة الاجهاض بقرارها الصادر فى عام ١٩٧٣ بأغلبية ٧ إلى ٢ من قضاة المحكمة.. وفى عام ١٩٨٦ قررت المحكمة تأييد حكمها السابق بأغلبية ٥ إلى ٤ .. ويلاحظ تناقص الأغلبية فى صدور قرار استمرار مشروعية الإجهاض.. وفى عام ١٩٨٩ قررت المحكمة العليا ترك الأمر لكل ولاية تبعا للظروف الخاصة بسكانها.. ثم كانت الضجة التى ثارت حول ترشيح الرئيس چورچ بوش للقاضى كلارنس توماس- الذى ينتمى إلى التيار المحافظ- لعضوية المحكمة العليا، حتى صدر قرار مجلس الشيوخ الأمريكى فى ١٦ / ١٩٩١/١٠ بالموافقة على تعيينه، الذ ى أعتبر هزيمة للتيار الليبرالى الذى حارب ترشيحه بكل الوسائل.

وثانيهما، فى شأن السماح للمواطن الأمريكى اليهودى أن يحارب مع إسرائيل فى أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، ثم نقل قوات من فيتنام إلى أرض المعركة مباشرة.

وفى عام ١٩٧٧ دعت الحكومة الأمريكية عشرين طالبا أجنبيًا ممن يدرسون فى جامعات أمريكا المختلفة ولهم نشاط معروف، بمناسبة مرور مائتى عام على إنشاء الدولة الأمريكية.. وقد ضمت المجموعة طلبة من عدة دول منها لبنان واليابان وألمانيا وانجلترا واسرائيل ومصر، التى مثلها الدكتور فاروق عبدالوهاب - رئيس اتحاد الدارسين المصريين فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا فى ذلك الوقت- وقد زاروا عدة أماكن أهمها البنتاجون حيث التقى بهنرى كيسنجر، وكان نائبا لوزيرالدفاع وقتذاك.

وفى المساء التقى دكتور فاروق عبدالوهاب بالسفير المصرى أشرف غربال، وأبلغه أنهم سيزورون مبنى المحكمة العليا فى اليوم التالى حيث يلتقون برئيسها.. وطلب منه سعادة السفير أن يوجه لرئيس المحكمة العليا سؤالا عن كيفية صدور قرار بالسماح للمواطن الأمريكى اليهودى بالحرب إلى جانب إسرائيل، رغم مخالفته للدستور الأمريكى..

وقبل اللقاء قيل للطلبة أنه يجب مخاطبة رئيس المحكمة العليا بلقب «سير SIR» وأنه يلزم الوقوف عند التحدث إليه وعند دخوله إلى القاعة، وعدم الجلوس حتى يطلب هو منهم ذلك.. وحذروهم من استثارته بالأسئلة لأنه يستطيع أن يأمر بحبس أى منهم دون رد لما يأمر به.

وقام بعض الطلبة بتوجيه أسئلة بسيطة، ثم قام الدكتور فاروق عبد الوهاب - بعد الإذن له - بتوجيه سؤاله..

= كيف أصدرت المحكمة العليا قرارها سنة ١٩٧٣ بالسماح للمواطن الأمريكى بأن يحارب مع إسرائيل رغم مخالفته لأحكام الدستور الأمريكي، لأن كل من يقتل فى المعركة يموت أمريكيا وليس إسرائيليا.

ورد رئيس المحكمة العليا قائلا.

= SIMPLY, BECAUSE. THEY WERE LOSING!!

= ببساطة، لأنهم - يقصد إسرائيل - كانوا يخسرون!! ولأن هذا القرار كان البديل الوحيد لمنع صدور قرار سياسي بدخول أمريكا الحرب الى جانب اسرائيل.

وقد كانت هذه الكلمات هي نفس ما أجاب به الرئيس نيكسون عندما سئل عن هذا الموضوع فيما بعد..

وأراد الدكتور فاروق عبدالوهاب أن يسأل رئيس المحكمة العليا عن السماح بنقل الجنود الأمريكيين من فيتنام الي أرض المعركة، ولكنهم لم يسمحوا له بتوجيه السؤال رغم أهميته بالنسبة لما حدث فى مصر عندما أحكم الجيش المصرى حصاره حول قوات الثغرة، وكاد أن يوجه اليها ضربته لإفنائها، أعلن الرئيس أنور السادات أنه لن يحارب أمريكا.. ولعله قد أدرك أن القضاء على عدة آلاف من الجنود الأمريكيين ـ الذين دفع بهم الى المعركة فى طريق عودتهم الى بلادهم من حرب فيتنام ـ داخل الثغرة، سيشعل رغبة أمريكا فى الثأر لقتلاها..

الفصل الخامس والثلاثون

الأمن والأمان
فى بلاد المورمون

الأمن والأمان فى بلاد المورمون

ساءنى كثيرا أن أرى الأجزاء العليا فى معظم فروع شجرة التفاح ـ التى سبق لنا أن غرسناها فى مايو سنة ١٩٧٩ رمزا للصداقة المصرية الأمريكية فى حديقة الصديقين هيلين وولتر سبر HELEN, WALTER SARE قد جفت وتدلت للسقوط إلى الأرض..

وقال لى ولتر وهو يشير بيديه الى جميع الأشجار المحيطة بنا.

= إنها حشرة اللوكاست LOCUST.

وهذه الحشرة تظهر دوريا كل سبع عشرة سنة، وتختار الأجزاء الخضراء العليا من أغصان الشجر – بطول ١٢ بوصة (٣٠ سم تقريبا) ـ وتبدأ فى فصلها عن بقية الفرع. وتتركها تتدلى معلقة فيه ثم تضع بيضها على لحاء ذلك الجزء الصغير المعلق. فاذا ما جفت الأغصان تماما وهطلت عليها الأمطار، اسقطت هذه الأطراف الجافة الى الأرض لتبدأ أولي دورات حياة تلك الحشرة التى تعيش على عمق ستة أو سبعة أقدام (حوالى مترين) تحت سطح الأرض، حتى تتم دورتها كاملة وتظهر على الأشجار بعد سبعة عشر عاما..

والحل الوحيد المتاح أن تجمع هذه الأطراف الجافة من الفروع بمجرد تساقطها وتحرق بما تحمله من بيض تلك الحشرة، قبل أن يتسرب مع مياه الأمطار الى جوف الأرض..

وحشرة اللوكاست فى مثل حجم حشرة الجراد GRASSHOPPER لكن لها صوتا مزعجا، لدرجة أنها فى إحدى السنوات أقلقت الناس فى ولاية بنسلفانيا PENNSYL-VANIA حتى أنهم لم يستطيعوا النوم..

وحوالى عام ١٨٤٠ هاجم الجراد زراعات طائفة المورمون فى مدينة سولت ليك سيتي SALT LAKE CITY بولاية يوتا UTAH. كانت أسراب الجراد كثيفة، وكان من الممكن أن تقضى على كل زراعات طائفة المورمون فى بداية عهدها بالاقامة فى هذا المكان، بعد عدة هجرات متوالية، لو لم تأت طيور النورس البحرية SEAGUL لتقضى على أسراب الجراد وتنقذ المحصول الزراعى.

ويعتبر المورمون هذه الواقعة من المعجزات الإلهية التى أنقذتهم من الموت جوعا، لبعد المسافة التى قطعتها تلك الطيور البحرية بين المحيط الباسيفيكى ومدينة سولت ليك سيتى الواقعة على احدى قمم جبال روكى العالية ROCKY MOUNTAINS.

وتقول القصة التى يرويها أتباع الطائفة أن طيور النورس كانت تبتلع بشراهة عددا من حشرات الجراد ثم تتجه الى البحيرة لتتقيأ ها فيها، ثم تعود لتبتلع كمية أخرى وهكذا، حتى قضت على كل الحشرات.. لذلك تجد تمثالا كبيرا لطائر النورس على مبنى مرتفع أمام معبد المورمون فى مدينة سولت ليك سيتى.

ولعل طائفة المورمون بولاية يوتا UTAH من أهم وأكبر الطوائف الدينية المنظمة فى أمريكا .. وهى تسيطر بأغلبيتها على حكم الولاية. وقد كان أول ما لفت نظرى فى تلك الولاية ـ عندما قمت بزيارة الصديقين نيكول وروى ديدمان NICOLE, ROY DED-MAN فى صيف عام ١٩٨٤ ـ ذلك الإحساس الكامل بالأمن والأمان، خلافا لما عليه الحال فى مدينة دنفر عاصمة ولاية كولورادو المجاورة لها والتى تكثر فيها الهجرة الأجنبية من المكسيك وفيتنام..

فعندما وصلنا الى منزلهما، بدأت أغلق زجاج نافذة السيارة فسألنى روى وهو يبتسم..

= ماذا تفعل ؟!

أجبت.

= أغلق نافذة السيارة.

قال ضاحكا..

= دعها مفتوحة، نحن هنا فى سولت ليك سيتى وليس فى دنڤر..

قلت فى تعجب

= عندما أقمت فى دنفر تنبه على بشدة أن أغلق نافذة السيارة، وباب المسكن الخارجى والداخلى أيضا.. وعدم ترك النوافذ مفتوحة ليلا أو عند مغادرة المسكن!

قال مبتسما..

= عندما تكون هنا، الأمر مختلف.

وفى منزلهما، فوجئت بأنهما لا يحكمان إغلاق الباب الخارجى أو النوافذ فى أى وقت، ليلا أو نهارا.. بل كانا يتركان الباب مفتوحا معظم ساعات النهار، مثلما يفعل باقى الجيران..

وبعد وصولى بقليل حضرت السيدتان المقيمتان بالشقتين المجاورتين وقدمت إحداهما كعكة التفاح الأمريكية، وقدمت الثانية إناء زجاجيا كبيرا امتلأ بسلطة الجمبرى SHRIMP هدية وتحية للضيف المصرى.

سألتنى نيكول عن الأماكن التى أحب زيارتها فى المدينة، فقدمت لها قائمة بتلك الأماكن كان قد ذكرها لى الصديق الدكتور أحمد حسنين حشاد، وعلى رأسها معبد طائفة المورمون..

وقفنا ـ ثلاثتنا ـ عند جزع شجرة ضخمة فى انتظار أحد المرشدين ليقودنا خلال مجموعة المبانى الفخمة.. وفى أول صالة استقبال كانت هناك سيدة تقف خلف مكتب كبير.. سألتنا عما اذا كنا نريد بعض الكتب عن طائفة المورمون، وبأى لغة!..

قلت لها مداعبا..

= نعم أريد كتابا باللغة العربية

بدت عليها الدهشة، فقالت لها نيكول..

= صديقنا محام من مصر، جاءنا فى زيارة قصيرة..

استأذنت السيدة وتركت مكانها واختفت بعض الوقت، وعندما عادت كانت تخطو خلف رجل مهيب الطلعة يسير فى خطوات متئدة، يفسح له الجميع الطريق فى احترام واضح..

تقدم الرجل نحوى وقدم نفسه لى..

= إيرل ويلسون EARL WILSON

فقدمت نفسى له، ثم الصديقين نيكول وروى ديدمان.. سأل

= هل أنتم مع إحدى المجموعات؟

أجابت نيكول وهى تشير الى باقى المجموعة والمرشدة..

= نعم، هذه المجموعة التى تنتظرنا..

فقال..

= دعوا المجموعة تسير فى طريقها، وسأقودكم بنفسى..

وأشار بيده الى المرشدة لتتابع طريقها مع باقى المجموعة.

وسأله روى فى دهشة.

= نحن الثلاثة فقط؟

أجاب الرجل مبتسما..

= نعم

ولم أعرف عن الرجل المهيب الطلعة أكثر من اسمه هـ. إيرل ويلسون H.EARL WILSON رغم تبادل بعض الخطابات معه بعد عودتى الى القاهرة. ولكنى لاحظت أن نيكول وروى كانا يشعران بالزهو ونحن نسير معه..

قلت له..

= لدى أسئلة كثيرة، أرجو أن لا ترهقك الإجابة عليها..

نظر نحوى مبتسما وهو يقول..

= سأجيبك على ما أستطيع الإجابة عليه، ولكن ليس بسبب الارهاق، بل لأن هناك أسرارا لا تذكر لأحد من خارج الطائفة.

بدأ ظهور المورمونية مع بداية القرن التاسع عشر فى نيو إنجلند NEW ENGLAND أى أن المذهب أمريكى النشأة.. وقبل الحرب الأهلية ـ بين الشمال والجنوب. كانت

المعارضة شديدة جدا في ولايتي ميسوري MISSOURI والينوى ILLINOIS ضد المورمون لتفضيلهم دعاة الحرية..

قال أحدهم..

= المورمونية تحرير العبيد وإلغاء الرق، يجب طردهم من الولاية.

كان إصرار المورمون علي معتقداتهم التى كونوها من الكتاب المقدس بقسميه ـ التوراة والإنجيل ـ والتوفيق بين النشاط الاقتصادى الخاص والتعاونى، وكذلك بين المدينة والقرية، فكانت مدينة الحدائق بالاضافة الى محاولاتهم الجريئة لتطبيق نظام تعدد الزوجات وتغيير أساس البناء العائلى متخذين فى ذلك موقفا وسطا بين جماعة الشيكرز SHAKERS التى تنادى بالعزوبة والاقلاع عن الزواج، وبين جماعة أونيدا ONEIDA التى تدعو لحرية الحب، ويطبقون الآن نظاما يطلقون عليه اسم الزواج المتشابك أو المعقد COMPLEX MARRIAGE.

ولم يستطع أحد أن يهاجم فكر المورمون بالنسبة لتعدد الزوجات على أنه من بقايا الوثنية، لأنه كان مطبقا فى العهد القديم..

وهم يؤمنون بالطهارة الكاملة للإنسان ويقولون «كما يكون الانسان» كان الله ـ وكما يكون الله، يجب أن يكون الإنسان، لأن الله خلق الإنسان على صورته ومثاله». ولذلك لا يدخن المورمون ولا يشربون الخمر.. وجسد المرأة معبد يلتزم الجميع بالحفاظ عليه طاهرا..

ولا يسمح للفتى من طائفة المورمون بالزواج من فتاة تنتمى لنفس الطائفة، الا اذا قام بالدعوة لمذهبهم فى الولايات الأمريكية الأخرى ـ أو فى خارج البلاد ـ لمدة عامين وعلى نفقته الخاصة.

وهم يجوبون الولايات إثنين إثنين، لأن السيد المسيح أرسل تلاميذه ليبشروا باقتراب ملكوت الله، إثنين إثنين.

وقد تم استدعاء دافيد كون DAVID COON ـ ابن الصديقين ريتشارد ومارى كون RICHARD, MARY COON فى شهر اكتوبر سنة ١٩٨٨ لإرساله في بعثة تبشيرية

الى هلسنكى HELSINKI عاصمة فنلندا FINLAND وقد تلقى مقررا مكثفا فى اللغة الفنلندية لمدة ثمانية أسابيع قبل السفر، حيث أتم باقى السنتين الملتزم بهما نحو الطائفة حتى يتوافر له شرط الزواج.

ولا يعقد الزواج فى معبد المورمون الا اذا كان كلا العروسين منتميين الى الطائفة.. ولا يسمح للوالدين ـ أو لأحدهما ـ بحضور إجراءات عقد الزواج إلا اذا كانا من أتباع الطائفة أيضا.. لأن هناك أسرارا كثيرة يجب ان لا يعرفها غير أبناء الطائفة..

ومن اجراءات الزواج أن يمر العروسان عبر عشر حجرات، وما يحدث فى كل منها يعتبر من الأسرار. وقد أخبرنى إيرل ويلسون بما يدور فى ثلاث منها. بشرط أن لا أذكره لآخرين.. ولكننى علمت ـ عن غير طريقه .. بما يدور فى حجرة رابعة، مما يجيز لى ذكره. وفيها يحصل كل من العروسين على اسمه الجديد الذى سيعرف به فى الجنة.

فى ٣ ابريل سنة ١٨٣٦ افتتح أول معبد للمورمون فى كيرتلاند KIRTLAND بولاية أوهايو OHIO بمعرفة جوزيف سميث JOSEPH SMITH، الذى أعلن أنه رأى السماء وقد انفتحت وظهر موسى الذى أوكل اليه جمع بنى اسرائيل من أربعة أركان الأرض، وقيادة القبائل العشر من أرض الشمال. وقال أنه رأى يهودا يعود الى أورشليم واسرائيل الى صهيون، وأن أمريكا هى أرض صهيون وأنها أرض الميعاد. وان ولاية ميسورى MISSOURI هى قلب القارة لتكون المكان لأورشليم الجديدة.. وانها هى مكان جنة عدن، وليس أى مكان آخر وأن وادى نهر المسيسبى MISSISSIPPI هو مهد الإنسان الأول..

كان المورمون يتطلعون إلى مدينة نوفو NAUVO الجميلة الواقعة عند منحنى عظيم لنهر المسيسبى. وبدأت دعوتهم للانتقال الى تلك المدينة المقامة على تل مرتفع لتراها جميع ممالك الأرض!.. وعندما أضطر جوزيف سميث إلى مغادرتها، والاتجاه إلى مدينة سولت ليك سيتى أصبحت بدورها المدينة المقامة على قمة التل لتراها أم الأرض.. فقد أقيمت على إحدى القمم المرتفعة بسلسلة جبال روكى..

اعترض الأمريكيون على محاولات المورمون للربط بين الحياة الدينية والحياة المدنية، ونشرت بينهم شعورا بعدم الراحة والتهديد السياسى. وبدأوا ينظمون أنفسهم للدفاع عن

الدستور الأمريكي بطرق غير دستورية، بينما كان المورمون ينادوون بالضمانات الدستورية لحرية العقيدة، لحماية عقيدتهم الجماعية..

وعندما وجد سكان ولاية ميسورى أن مقاطعة جاكسون JACKSON قد اكتظت بالمورمون، عرضوا أن يشتروا منهم أراضيهم ليرحلوا عنها، ولكن المورمون رفضوا قائلين أن بيعهم لأراضيهم يعني إنكارهم لعقيدتهم.. وفي يوليو سنة ١٨٣٣ كان عدد المورمون في مدينة إندبندانس INDE PENDENCE وحولها، حوالي ١٢٠٠٠ فرد، وخشي سكان الولاية أن يستولي المورمون على مقاطعة جاكسون، وأن يكون المورمون اسرائيل أخرى تستولي على أرض كنعان بالسيف.. ودعا رئيس كنيسة كمبرلاند برسبيتاريانز CUMBERLAND PRESPYTERIANS الى القضاء على المورمون لأنهم أعداء الإنسان!

فقام الناس بتحطيم مطبعة المورمون واحراق ممتلكاتهم، وأجبروهم على مغادرة المقاطعة خلال فصل الشتاء عام ١٨٣٣/ ١٨٣٤. وعبر معظمهم نهر الميسورى شمالا الى مقاطعة كلاى CLAY, حيث استقبلوا بترحاب فى أول الأمر. ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت الاقامة فيها غير سهلة، فغادروها سنة ١٩٣٦.

وفشلت محاولات المورمون لاقامة مقاطعة خاصة بهم فى كالدويل CALDWELL. فقد أثيرت ضدهم «حرب المورمون» التى خسروا فيها كل شيء.. وأسرع المورمون فى الخروج من ولاية ميسورى وهم مابين ١٢ الفا و ١٥ ألف شخص، بينما كان رئيسهم جوزيف سميث مقبوضا عليه، وينتظر حكما بالاعدام..

واستطاع الهرب، وانشأوا مدينة سولت ليك سيتى التى أصبحت قلب مملكة المورمون، تحميها وتحيط بها سلاسل جبال روكى.

وعند زيارتى لجامعة يوتا، أدهشني أن أرى فى مدخل مبنى إدارتها ثلاث صور بحجم كبير جدا تمثل الأنبياء الثلاثة العظام.. موسي وعيسى ومحمد (صلى الله عليه وسلم)..

وكانت المورمونية قد اتجهت الى القارة الأوربية حيث قادت الآلاف من سكان شمال أوربا الى أرض الميعاد الجديدة.. وبدأ جوزيف سميث دعوته الى حرية الصحافة وتعدد الزوجات..

وفى سولت ليك سيتى شاهدت المكان الذى أقام فيه رئيسهم بريجهام يونج BRIG-RHAM YOUNG وهو عبارة عن مجموعة مساكن منفصلة لكل زوجة من زوجاته السبعة والعشرين، أقيمت على شكل نصف دائرة، يتوسطها مكتبه الخاص فى منتصف قطرالدائرة..

وقد حاول المورمون استصدار قانون يبيح تعدد الزوجات قائلين.. «إنه من الأفضل أن تكون ممن يؤمنون بتعدد الزوجات دون أن تعدد زوجاتك، عن أن تكون ممن يقولون بالزوجة الواحدة دون أن تكتفى بها!»

وعين بريجهام يونج أول حاكم لاقليم يوتا

وقد أصدر الكونجرس الأمريكى ـ بين عامى ١٨٦٢ ـ ١٨٨٧ ـ عدة قوانين قصد بها اقتلاع نظام تعدد الزوجات..

وفى ٢١ ابريل سنة ١٩٨٨ أرسلت سفارة الولايات المتحدة الأمريكية الى حكومة سويسرا تحذرها من نشاط طائفة المورمون فيها وتطلب منها منع هجرة الأشخاص الذين يهاجرون الى إمريكا بقصد مخالفة القانون وممارسة تعدد الزوجات..

والمورمون يتكاثرون بسرعة بطريقتين.. الزواج المبكر وكثرة الأولاد.. فالصديقة مارى كون MARY COON جدة فى الأربعين من عمرها، ولها حفيدتان أشلى ASHLEY وكورين KORRIN، وخمسة أبناء وبنات هم تشيلى CHELLY وتارا TARA ودافيد DAVID ومايك MIKE وسبنسر SPENCER.

وظاهريا، قيل لنا أنهم لايمارسون الآن تعدد الزوجات، ولكن لا أحد يستطيع التأكد من ذلك.

والمورمون لا يدخنون ولا يشربون الخمر ولا يمارسون العلاقات الجنسية قبل الزواج. وعندما اختيرت شارلين ويلز Sharlene Wellsملكة جمال أمريكا سنة ١٩٨٥، قالت ردا على مندوبى الصحف الأمريكية الذين حاصروها بأسئلتهم عن معتقداتها ـ توكد أنها لا تدخن أو تشرب الخمر أو تتعاطى المخدرات كما تؤمن بعدم ممارسة أى علاقات جنسية قبل الزواج premarital.

وتعد ولاية يوتا UTAH أكثر الولايات الأمريكية جمالا ونظافة وهدوءا.. بالاضافة الي الأمن الكامل والأمان..

الفصل السادس والثلاثون

النظرية الثالثة

فى أصل الحب

العقل والجسد
النظرية الثالثة فى أصل الحب

لم أكن أعرف أننى صاحب إحدى النظريات الهامة فى علم النفس الإجتماعى، حتى كنت أجلس الى مكتبى ـ فى شهر فبراير سنة ١٩٨٥ ـ اقرأ بعض صفحات من كتاب «نظرة جديدة للحب A NEW LOOK AT LOVE للكاتبين الأمريكيين إيلين ولستر ELAINE WALSTER ووليم ولستر G. WILIAM WALSTER الصادر سنة ١٩٧٨.

وعلى الصفحات الرابعة حتي التاسعة كتبا عن النظريات الثلاث فى أصل الحب ORIGIN OF LOVE

لقد بدأ اهتمامى بقضايا الزواج والحب والأحوال الشخصية منذ كنت طالبا بكلية الحقوق جامعة القاهرة . وقد نشر لى أول مقال فى الصحافة بعنوان «الصداقة والحب» فى ١٩٤٩/١٠/١٤ .. ثم كنت أحد المتحدثين فى ندوة ثقافية عن «الزواج المبكر والمتأخر» بالاشتراك مع الزميل والصديق يعقوب الشارونى ـ رئيس مركز ثقافة الطفل بوزارة الثقافة سابقا ـ ثم محاضرا فى أحد الأندية الثقافية بالقاهرة وأنا فى بداية حياتي العملية كمحام تحت التمرين عن «أيهما أفضل» الزواج المتقدم أم الزواج المتأخر..»

ومنذ تخرجت من الجامعة فى مايو سنة ١٩٥٣ وأنا أوالي البحث والاطلاع حول هذا الموضوع لتحقيق الفكرة التي راودتني خلال المناقشات المثيرة التي جرت بعد المحاضرة.. وقد ساعدنى على ذلك اشتغالى بالمحاماة ومباشرة عدد من قضايا الأحوال الشخصية.

وفى شهر يوليو سنة ١٩٦٠ صدر لى أول كتاب بعنوان «التنظيم الاجتماعي للعلاقات الجنسية» . وقد أخذت عنوانه من تعريف علمى جديد وضعته للزواج بأنه «تنظيم اجتماعى للعلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة يرتب قبلهما التزامات متبادلة ومسئوليات اجتماعية» . كما تضمن هذا الكتاب تعريفا جديدا للحب. ولم أكن أعلم

عندئذ أننى أضع نظرية جديدة فى علم النفس الاجتماعى، تضاف الى النظريتين السابقتين بشأن تحديد ماهية الحب الذى يتبادله الرجل والمرأة، وأصل هذا الحب.

ولاشك أن أفلاطون PLATO ـ الفيلسوف اليونانى الشهير ـ لم يكن يعلم أيضا أنه وضع النظرية الأولى فى أصل الحب عندما قدمها ـ فى القرن الخامس قبل الميلاد ـ بعنوان «الرغبة فى الاكتمال THE LONGING FOR COMPLETION قائلا... إن البشر ـ عندما خلقتهم الآلهة ـ كانوا ينقسمون الى ثلاثة أنواع.. الرجال، والنساء، ونوع ثالث يجمع بين الاثنين.. كان لكل منهم راس واحد بوجهين متضادين فى الاتجاه وأربع عيون وأربع آذان وأربع أيدى وأربع أقدام وعضوان تناسليان.

وكانت هذه المخلوقات البشرية تستطيع السير الى الأمام والخلف كما يحلو لها. وحين حدث صراع بين الآلهة والبشر، أرادت الآلهة أن تقلل من قدرة تلك الكائنات البشرية على الحركة والرؤية فى جميع الاتجاهات، فقررت أن تقطع كلا منها مناصفة إلى جزءين، كما تقطع التفاحة.. ومنذ ذلك الحين بدأ كل جزء يجول فى الأرض باحثا عن نصفه الآخر...

وبدأت أنصاف النوع الثالث ـ المختلط الذى كان يجمع بين الجنسين تبحث كل منها عن نصفها الآخر.. الرجل يبحث عن المرأة، والمرأة تبحث عن الرجل، يخضع كلاهما للرغبة الشديدة فى الاكتمال.. الرغبة فى التجانس مع شخص من الجنس الآخر.. وصار مثلا بين الناس أن الرجل يبحث دائما عن نصفه الحلو..

وقال العالم سيجموند فرويد SIGMUND FREUD بالنظرية الثانية فى أصل الحب بعنوان «من النرجسية ـ الأنانية – الى الارتباط أو المودة FROM NARCISSISM TO ATTACHMENT وتتلخص هذه النظرية فى أن الطفل يكون ابتداء نرجسيا، أى أنانيا يتجه كل حبه الى ذاته، ثم يبدأ خلال مجموعة متشابكة من التحولات، والتحولات المضادة، في توجيه حبه الى أحد والديه.. وأخيرا ـ بعد بلوغه الحلم، أى النضج الجنسى ـ ينقل عاطفة الحب الى شيء جوهرى ملائم ينتمى للجنس الآخر.. ويتكون هذا الحب لدى الإنسان الطبيعي ـ العادى ـ من اتحاد اثنين من المشاعر المتدفقة، هما الشعور بالحنان والرغبة الجنسية..

وبتاريخ ١٩٤٩/١٠/١٤ ولدت النظرية الثالثة فى أصل الحب والتى يطلق عليها اسم «نظرية علم النفس الاجتماعى، بعنوان «العقل والجسد» فى المقال الأول الذى نشرته بعنوان الصداقة والحب» . وأوردت فيه تعريفا علميا جديدا للحب بأنه.. «رغبة فى الجسد يتبادلها رجل وامرأة وفكر متجاوب بينهما بحيث يشعر كل منهما بضرورة أفكار الآخر لحيوية أفكاره الخاصة» .

وبالتالي نفهم معنى الدرجات فى الحب، إذ يفترق الشخص عن الآخر فى مقدار ما يوجده ـ بجوار رغبته الحسية أو اللاشعورية ـ من تجاوب فكرى.. فمجرد الرغبة فى جسد لن يستطيع أحد أن يسميها حبا.. ولكن فى اللحظة التى ندخل فيها مع تلك الرغبة تجاوبا فكريا، يبدأ الحب الذى تعارفه الناس.

وكذلك مجرد تعرف إنسان إلى فرد آخر من خلال شخص ثالث، ليست صداقة مطلقا، إنها معرفة قد يوجد فيها تبادل فكرى دون التجاوب الفكري، الذي يقتضى الوجود فى مجال مكاني واحد، ينتج عنه فهم كل من الطرفين للأخر.. ذلك الفهم الذى يؤدى الى الإحساس بضرورة أفكار كل منهما لحيوية أفكار الآخر.

ومن ذلك نخلص الى أن أساس الصداقة غير أساس الحب، وليست الصداقة درجة من درجات الحب، بل قد يدخل العامل الحسى خلال صداقة فنتصور أن الصداقة قد صارت حبا، مع أن الواقع أن حبا قد حل محل الصداقة، ولم تتحول الصداقة الى حب.. وهناك فارق كبير بين «حل محل» و «تحول» .

وقد أوضحت هذه النظرية «العقل والجسد» فى كتابى الأول الصادر فى يوليو سنة ١٩٦٠ (ص ١٤) بقولى أن «الحب هو نتاج عنصرين هامين ورئيسيين هما التجاوب الجنسى (الجسد) والتجاوب العقلى (العقل) ، لأننا نحب بكل كياننا، وكل منا مركب من غريزة وعقل..

والتجارب الجنسى هو تبادل الرغبة فى جسد، بأن يشتهى كل طرف جسد الطرف الآخر..

أما التجاوب العقلي فهو وجود فكر متجاوب بين طرفي علاقة الحب، بحيث يشعر كل منهما بأن أفكار الآخر ضرورة حيوية أفكاره الخاصة. والتجاوب العقلي نوع من الانسجام أو التوافق ـ أو على الأقل ـ الألفة..».

ولم تعرف هذه النظرية الجديدة -نظرية العقل والجسد - فى الولايات المتحدة الأمريكية ومعظم دول العالم قبل سنة ١٩٦٤ عندما كتب عنها الدكتور ستانلى شتاكترDR. STANLEY SCHACHTER أستاذ علم النفس بجامعة كولومبيا بمدينة نيويورك، «بأن كلا من العقل والجسد يساهمان بقدر واحد فى التجربة العاطفية، فيجب أن يتزامنا، أى أن يوجدا فى وقت واحد، إذا أردنا تجربة عاطفية تلقائية وحقيقية.. فكلاهما - العقل والجسد - مهمان فى تشكيل عواطفنا، فالعقل يحدد خاصية العاطفة التى نشعر بها، والجسد يحدد ما إذا كنا نشعر بأى عاطفة أم لا.. إن كلا من العقل والجسد يكونان مساهمة فريدة للتجربة العاطفية.

BOTH MIND AND BODY MAKE A UNIQUE CONTRIBUTION - TO OUR EMOTIONAL EXPERIENCE

ومن ذلك العرض المبسط يمكن للقارىء العادى - غير المتخصص فى : علم النفس الإجتماعى - أن يدرك أن نظرية العقل والجسد ـ كما قلت بها ـ أكثر وضوحا وتحديدا مما كتبه الدكتور ستانلى شتاكتر. فقد أوضحت أن العقل - التجاوب العقلى - والجسد - التجاوب الجنسى - عنصران هامان ورئيسيان لنشوء علاقة الحب، وكما أوضحت دور كل منهما فى تحديد طبيعة العلاقة ودرجتها.. وليس مجرد إشارة إلى مساهمتها الفريدة فى التجربة العاطفية..

لذلك بدأت إتخاذ الإجراءات التى جال بخاطرى أنها كافية لإثبات حقى فى النظرية الثالثة «العقل والجسد» واطلاق اسمى عليها بصفة كونى مصريا.. فقد قلت بها وكتبت عنها، ونشر لى ما كتبته، قبل الدكتور ستانلى شتاكتر بأكثر من خمسة عشر عاما، منذ مقالى الأول «الصداقة والحب» بجريدة الكتلة الوفدية القاهرية بتاريخ ١٤/ ١٠/ ١٩٤٩.. ثم فى كتابى الأول «التنظيم الاجتماعى للعلاقات الجنسية «فى شهر يوليو سنة ١٩٦٠.

بدأت بإرسال خطابات إلى نحو خمسين من أساتذة علم الإجتماع وعلم النفس الإجتماعى بالجامعات المصرية، مرفقا بها صورا ضوئية من المقال المشار إليه وبعض صفحات من كتابى الأول - لعدم توافر نسخ منه - وبعض صفحات وأجزاء من الصحف والمجلات التى نشرت عنه «جريدة المساء العدد ٧٦ فى ٢٩/ ٧/ ١٩٦٠ وجريدة الأخبار العدد ٢٥٣٩ الصادر فى ٢٦/ ٨/ ١٩٦٠ ومجلة روز اليوسف العدد ١٦٨٠ الصادر فى ٢٢/ ٨/ ١٩٦٠) وقد رجوتهم فى نهايته التكرم بالتنويه بضرورة أن ينسب الرأى - أو النظرية - إلى اسمى وليس للدكتور ستانلى شتاكتر الذى كتب عنها سنة ١٩٦٤ - أى بعد أول نشر لى عنها بخمسة عشر عاما..

وفى شهر أبريل سنة ١٩٨٥ قمت بأرسال مجموعة كبيرة جداً من الخطابات إلى أساتذة علم النفس وعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى بالجامعات الأمريكية ومرفقا به جميع المستندات التى سبق لى أن أرسلتها للأساتذة المصريين مع ترجمتها الإنجليزية. وقد اهتمت بعض الجامعات الأمريكية بالرد، ودعتنى بعضها للإلتحاق بالدراسات العليا بها مع إلقاء محاضرات، ولكن أهم تلك الخطابات جميعها كان ما ورد لى من الدكتور ك. د. بروتDR. K. D. BREAULT الأستاذ المساعد بقسم الإجتماع بجامعة سينسناتى CINCINATTI بولاية أوهايو.

كان بعض الأصدقاء قد أكدوا لى أن الأساتذة الأمريكيين لن يفعلوا أكثر مما فعل الأساتذة المصريون بتجاهل الرد على خطاباتى إليهم ، فهم لن يساعدونى لأنهم لن ينصرونى على واحد منهم.. ولكنى كنت أعرف الأمريكيين أكثر منهم، وكيف أنهم يضعون العلم والأمانة العلمية فوق كل إعتبار آخر.. وكان خطاب الدكتور بروت أولا ثم ما تلاه من خطابات، وكل ما قدمه لى أصدقائى بالمكتبة العامة بجامعة إنديانا - وفى مقدمتهم الصديق جيمس بولوك JAMES POLLOK مما دحض ظنونهم.

لقد كتب الدكتور بروت فى خطابه -المؤرخ ١٩ سبتمبر سنة - ١٩٨٥ - أنه قد أسعده أن عرضت عليه موضوع البحث، وشجعنى على إرسال المواد المتعلقة بالموضوع إلى الكاتبين ايلين ولستر ووليام ولستر، وكذلك إلى الدكتور ستانلى شتاكتر - وقد فعلت - إذا كان لدى أى حق قانونى فى الأسبقية، لما فى ذلك من أهمية تاريخية. كما نصحنى

بإرسال جميع الأوراق والمستندات الخاصة بالموضوع إلى مجلة تاريخ النظريات JOUR-NAL OF THE HISTORY OF IDEAS، وأن ترجمتها قد تساعد كثيرا. وقال أنه شخصيا مهتم بتاريخ النظريات، وأنه يمكنني إرسال جميع المواد له أيضا..

وقد أعددت جميع الخطابات اللازمة بالأوراق، مع ترجمتها وأعطيتها للمهندس حاتم الزرقاني - أحد أفراد الأسرة بالنسب - ليبعث بها عن طريق البريد الأمريكي بمجرد وصوله إلى أول مدينة أمريكية، حتى أضمن وصول جميع الأوراق والمستندات إلى الجهات المرسلة إليها في أسرع وقت ممكن..

كانت أهم الخطوات لإثبات حقي، أن يتم تسجيل كتابي الأول الذي تضمن «نظرية العقل والجسد» في المكتبات الأمريكية وأجهزة حفظ المعلومات - الكمبيوتر - وقد سافرت إلى أمريكا في صيف سنة ١٩٨٧ حيث قمت - بمساعدة الصديق جيمس بولوك رئيس القسم العربي بمكتبة جامعة إنديانا - بتسجيل كتابي، بعد تقديم نسخة منه، وتم قيده برقم HQ 663. 3 - A2 - S27 - 1960 وكذلك تسجيل بياناته في أجهزة حفظ المعلومات لإثبات أسبقيتي في القول بالنظرية الثالثة في أصل الحب..

وكانت الخطوة التالية، إخطار الهيئة القائمة على تاريخ النظريات والآراء، والهيئة القائمة على تحرير مجلة علم النفس الاجتماعي والتي تضم قمة علماء العالم في هذا المجال. وقد تم ذلك كله في شهر أغسطس سنة ١٩٨٧.

وقد أوضحت لهم أن اللغة العربية هي إحدى اللغات المعترف بها دوليا، وأنه يتعين على الباحث أن يشير إلى جميع النظريات العلمية مهما كانت اللغة التي كتبت بها. وأنه لايمكن لأي باحث على مستوى عال أن يتجاهل الإشارة إلى النظرية الثالثة، كما قلت بها سنة ١٩٦٠ قبل الدكتور ستانلي شتاكتر خاصة وأنني كنت أكثر وضوحا في عرضها وتحديد عناصرها..

ولم يبق ـ كما قيل لي ـ إلا إجراء واحد، يلزم أن يقوم به أحد الأساتذة المصريين أو العرب في علم النفس الاجتماعي، بأن يتم نشر بحث باللغة الإنجليزية حول تقييم النظرية الثالثة التي قلت بها ومقارنتها بما كتبه الدكتور ستانلي شتاكتر سنة ١٩٦٤. وإنني على استعداد تام لتقديم كافة الأوراق والمستندات الخاصة بالموضوع..

الفصل السابع والثلاثون

الفتـــــاة ...

هل يمكن أن تقول لا؟

الفتاة .. هل يمكن أن تقول لا؟

فاجأتنى الصديقة السيدة سوزان ريكوردMRS SUSAN RECORD ـ من إنديانا بوليسINDIANAPOLIS عاصمة ولاية إنديانا ـ بأنها قد حددت لى موعدا لزيارة المدرسة الإبتدائية التى تديرها وتشرف عليها كنيسة «طريق الملك»KINGSWAY، التى تتبعها، لأتحدث إلى تلاميذها..

ويبدو أن ملامح وجهى قد شابها شيء ما جعلها تسألنى فى قلق..

ـ هل يضايقك أن تتحدث فى كنيسة مسيحية؟

أجبتها بسرعة..

= لا طبعا، فقد سبق لى أن فعلت ذلك مرارا.. ولكن المشكلة هى.. ماذا يمكن أن أقول لتلاميذ وتلميذات مدرسة إبتدائية!.

واتفقنا أخيرا على أن يتخذ لقائى بتلاميذ المدرسة شكل أسئلة منهم أجيب عليها، وبذلك يحددون هم مستوى المحاضرة..

وفى الموعد المحدد قادتنى السيدة سوزان إلى القاعة الكبرى التى يقيمون فيها اجتماعاتهم وكذلك الصلاة يوم الأحد.. لأن الأمريكيين لا يتركون مكانا فسيحا طوال أيام الأسبوع لمجرد الاستعمال بضع ساعات صباح كل يوم أحد..

دخل تلاميذ المدرسة فى نظام تام، كل فصل دراسى تتقدمه المدرسة المسئولة عنه.. وجلسوا جميعا فى هدوء تام فى الأماكن المحددة لهم..

كانت عيناى تراقبان فى قلق بالغ هذه الزهور اليانعة وهم يتهامسون ويتطلعون نحوى بعيونهم الجميلة لعلهم كانوا يتساءلون عما يمكن أن أقوله لهم..

قدمنى ناظر المدرسة أولا، وشكرنى على قبولى الدعوة للتحدث إلى تلاميذ المدرسة الذين سيوجهون الأسئلة فى الموضوعات التى يختارونها هم.. ورجاهم أن تكون أسئلتهم موجزة وواضحة، وأن يستمعوا جيدا لما يقال حتى يستفيدوا من المعلومات الجديدة، وحتى لا تتكرر نفس الأسئلة..

ثم قدمتنى السيدة سوزان ريكورد بأننى صديق قديم منذ ثلاثة عشر عام ـ منذ عام ١٩٧٦ ـ وأننى محام مصرى أزور الولايات المتحدة الأمريكية للمرة الخامسة وأننى قد زرت عدة بلدان أخرى، كان آخرها تونس فى طريقى إلى أمريكا.. وأننى كاتب نشرت لى عدة كتب عن تقاليد الزواج فى المجتماعات المختلفة..

كانت سوزان تقصد بذلك تحديد الموضوعات التى تدور حولها الاسئلة وقد بدأت أسئلة التلاميذ والتلميذات عادية عن تقاليد بعض المجتمعات فى الزواج..

سألتنى تلميذة عن أغرب عادات الزواج فى تونس. تحدثت إليهم عن إجراءات الخطبة وكيف تتم فى مدينة القيروان ـ التى كانت عاصمة دولة عظيمة فى شمال أفريقيا ذات يوم..

قلت..

= يجتمع الفتى الذى يريد الزواج مع أصدقائه وأفراد أسرته من الرجال فقط على مقهى فى البلدة. ثم يتوجهون إلى المسجد لتأدية صلاة العصر ـ التى تكون غالبا قبل الساعة الرابعة بعد الظهر ـ قبل أن يذهبوا إلى منزل الفتاة التى يريد الزواج منها..

يقف الفتى أمام باب المنزل المغلق يحيط به أصدقاؤه وأفراد أسرته..ثم يتقدم ليطرق الباب.. فيأتيه صوت صاحب المنزل ـ وهو غالبا والد الفتاة، أو المسئول عنها من أفراد أسرتها فى حالة وفاة والدها ـ يسأل.. من الطارق ؟..

عندئذ يعلن الفتى عن نفسه، فيذكر اسمه وأسرته وعمله الذى يمارسه ودخله الشهرى أو اليومى، وقد يذكر أملاكه من الأراضى والعقارات.

فيسأله والد الفتاة ـ من الداخل ودون أن يفتح باب المنزل ـ عن مراده..

فيرد الفتى أنه قد جاء ليخطب ابنته (فلانه) ويذكر اسمها..

ويتبادلان الحديث، الفتى فى الطريق وسط أصدقائه وأفراد أسرته، ووالد الفتاة داخل المنزل الذى لم يفتح بابه، ويناقشان شروط الزواج، المهر الذى يدفعه الفتى لعروسه، والشبكة والهدايا التى يقدمها..

وبعد أن يتفقا على جميع الشروط، يقرأ الجميع الفاتحة ـ داخل المنزل وخارجه، وبذلك تكون الخطبة قد تمت..

ثم ينصرف الفتى مع المجموعة اتي تحيط به ليعودوا جميعهم إلى المقهى مرة ثانية، حيث تقدم المشروبات..

سألتنى تلميذة..

= هل يعنى ذلك أن الوالد هو الذى ينظم زواج إبنته؟..

أجبت..

= نعم..

قامت فتاة صغيرة جدا وسألتنى باهتمام أثار دهشتى..

= الفتاة، هل تستطيع أن تقول لا؟!..

تلميذة صغيرة إهتمت بمعرفة حق الفتاة فى الاعتراض على الزواج المنظم بمعرفة الأهل..

شعرت بالراحة، وقد تغيرت نظرتى إلى التلاميذ والتلميذات بالمرحلة الإبتدائية، فلم أعد أعتبرهم أطفالا فإن مستواهم العقلى مرتفع جدا بالنسبة لأعمارهم..

أجبتها مبتسما..

=نعم، تستطيع الفتاة أن ترفض، لأن الدين الإسلامى الذى يدينون به، يشترط موافقة الفتاة على الزواج وإلا كان باطلا..

وزال عنى كل شعور بالقلق،كان قد إعترانى من قبل. واستمرت المناقشات فترة طويلة ممتعة.

وبعد إنتهاء الندوة جاءنى الدكتور جون كالدويل DR.JOHN CALDWELL رئيس الكنيسة MINISTER، ليشكرنى ، ثم دعانى إلى مكتبه ليقدم لى فنجانا من القهوة..

وتبادلنا الحديث ـ والحديث ذو شجون ـ فجاء ذكر صديقه رائد الفضاء ـ الكولونيل ڤرچيل جر يسوم COL.VIRGIL GRISSOM الذى كان مهتما بالبحث عن فلك نوح على جبال أرارات ولم يوفق فى ذلك حتى وفاته سنة ١٩٦٧ .

وعندما ذكرت وجهة نظرى عن مكان وجود فلك نوح، سألنى

= هل تأكدت من وجود الفلك فى المكان الذى حددته ؟!..

قلت..

= لا ، لم يمكننى ذلك بعد. ولكن لدى عدة شواهد تشير إلى ذلك المكان.. فالراجح أن أرض الجزيرة السفلى ـ جنوب غرب العراق ـ كانت مكان قوم نوح وبناء الفلك، والثابت ـ تحقيقا ـ أنه قد ألم بحضارة تلك المنطقة تغير جوهرى لسبب من الأسباب.

وقد قام العلماء باجراء حفريات هامة متتالية فى العراق بهدف تحديد مكان وزمن حدوث الطوفان. وفى الفترة من سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٣٤م قامت بعثة من المتحف البريطانى وجامعة بنسلڤانيا الأمريكية بالتنقيب والبحث. وأثبتت البعثة أن الطوفان كان حوالى عام ٣٤٠٠قبل الميلاد وأنه قضى على مظاهر العصر الحجرى الحديث التى كانت سائدة فى تلك المنطقة.

وقد ذكر العلماء أخيرا أن الفلك يجب أن يكون قد تم بناؤه على شكل صندوق كبير، حتى يمكن أن يظل مستويا فوق سطح الماء تدفعه الرياح العاصفة.. فإذا كانت الرياح العاصفة الشمالية الشرقية فى تلك الجهات تدفع بالفلك نحو الجنوب الغربى، فانه سيعبر البحر ـ الذى كان يجمع بين البحر الميت وخليج العقبة والبحر الأحمر ـ حتى إستوى على سلسلة جبال البحر الأحمر فى مصر.. ومع الأيام كسته عوامل الطبيعة بطبقة من الرمال ورماد الفضاء، ولكنه احتفظ بشكله الصندوقى.. وعرف بين الناس فى مصر باسم «جبل علبة» الذى يقع فى جنوب مصر قرب حدودها مع السودان، لأنه يشبه الصندوق وبداخله مغارة كبيرة واسعة..

ويؤيد ذلك أمران

الأول: وجود قبيلة فى منطقة جيل علبه تسمى قبيلة نوح

الثانى: وجود بعض أنواع الحيوانات فى المنطقة لا يتوقع تواجد مثيلاتها فيها..

قال وهو يبتسم..

- إذن فهى نظرية جديدة فى هذا الشأن إلى أن تتحقق فتصبح إكتشافا..

وقد دعيت إلى هذه المدرسة مرة ثانية لحضور حفل تخرج تلاميذ مرحلة رياض الأطفال،ومن بينهم ترافيسTRAVIS ـ البالغ من العمر خمس سنوات ـ ابن الصديقين سوزان ورسل ريكـورد SUSAN, RUSSEL RECORD ـ وبعد ذلك يلتحقون بالمدرسةالإبتدائية..

وقد استمتعت تماما بهذا الحفل وأنا أشاهد البراعم الصغيرة فى سن الخامسة والسادسة على الأكثر يرتدون زيا موحدا من اللون الأبيض، ويضعون على رءوسهم قبعات شبيهة بتلك التى يضعها الطلبة عند إنتهاء المرحلة الثانوية وطلبة الجامعة عند تخرجهم.. ثم وهم يدخلون إلى القاعة فى نظام جميل على أنغام الموسيقى.. ويقدمون أنا شيدهم وكلماتهم البسيطة، قبل أن يتم توزيع شهادات إنهاء مرحلة الدراسة فى الحضانة!..

وبعد نهاية الحفل قدمت المأكولات والحلوى التى ساهم بها أولياء أمور التلاميذ والتلميذات، تعبيرا عن فرحتهم بذلك اليوم فى تاريخ حياة أولادهم..

الفصل الثامن والثلاثون

فلك نوح في مصر

فلك نوح فى مصر

كان حديثى مع الدكتور چون كالدويل ـ رئيس كنيسة كينجز واى، طريق الملك ـ عن صديقه الكولونيل ڤيرچيل جريسوم COL.VIRGLL GRISSOM ـ رائد الفضاء الأمريكى الذى قتل مع زميليه في حادث انفجار مركبة الفضاء فى قاعدة كيب كيندى CAPE KENNEDY يوم ٢٧ يناير سنة ١٩٦٧ ـ دافعا لى على استكمال دراسة وجهة نظرى ـ أو النظرية الجديدة كما قال ـ لأدلى بها فى مجال المحاولات والدراسات العالمية لمعرفة المكان الذى استقر فيه فلك نوح، ونشرها إثباتا لها ودفعا لاستكمال البحث والدراسة..

وقد نشرت فى خمس حلقات بجريدة الأيام البحرينية بعنوان «أين فلك نوح» فى الفترة من ٤/١ حتى ٤/٧/ ١٩٩١.

وقد جاء ذكر قصة نوح والطوفان والفلك فى كل من ملحمة چلجميش GILGA-MESH EPIC البابلية، وفى التوراة المعروفة بترجماتها الثلاث ـ العبرية واليونانية (السبعينية) والسامرية ـ وأخيرا فى القرآن الكريم.

وملحمة جلجميش هى مجموعة من الأساطير خليقة بأن تضارع أعظم القصص فى العالم.وقد نشأت ـ فيما يظهر ـ بين السومريين SUMERIANS، واستعارها البابليون BABYLONIANS الساميون سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد. كما استعارها الحثيون HIT-TITES بالأناضول (تركيا) بعد ذلك ببضع سنوات. كما أخذ العهد القديم ـ وهو التوراة المعروفة ـ الشىء الكثير..

وجلجميش ـ الذى نسبت الملحمة إليه ـ هو ملك إيريخ URUK الطاغية، فى عصر سحيق.. وقد جاء بالملحمة البابلية أن الآلهة قد منحت الخلود للحكيم أوتانابشتم UTNAPISHTIM، الذى أنبأ جلجميش بقصة الطوفان..

ففى ذات يوم قضت مشيئة الآلهة أن يكون فيضان كبير فى مدينة شورباك SHURPPAK ـ مدينة فارا FARA الحديثة على نهر الفرات ـ وأن يهلك الفيضان كل البشر..

أوتانابشتم قال، يا جلجامش

سأكشف السر الخفى، المحتجب أبوح لك.

بسر من أسرار تلك الآلهة المحتجبة..

شورباك ـ ياجلجامش ـ المدينة المقدسة.

تلك التى تعرفها، بشاطىء الفرات واقعة

مرت بها العصور والدهور

أصبحت قديمة بالية.

الآلهة اجتمعوا يوما بها..

تشاوروا فيما بينهم وقرروا.

أن يحدث الطوفان بالمدينة.

قد سمحت قلوبهم بذلك.

بدون ـ جلجامش ـ أدنى سبب.

«أيا»، قد كان يومذاك حاضرا.

وكان ينقل الكلام لى.

ولكن «أيا» EAيشفق على الحكيم أوتانابشتم فيحذره من الكارثة المقبلة. وكان لزاما عليه ـ إلى حدما ـ أن لا يفشى أسرار الآلهة لأحد من المخلوقين مباشرة.. ولذلك ذهب الإله «أيا» إلى كوخ القصب ـ أو البوص ـ الذى يعلم أن أوتانابشتم يسكنه وأخبر حوائط الكوخ بالأمر.. وهكذا سمع أوتانابشتم إنذار الآلهة. فهدم الكوخ وبنى بأنقاضه أى بحزم القصب التى شيد بها ـ فى أغلب الظن ـ سفينة أقل فيها كافة أسرته ومتاعه. ثم حل بهم الطوفان وفنى البشر جميعهم عن آخرهم

إليك ياكوخ القصب.

وياجدار، ياجدار استمع.

عليك أن تعى الأمور ياكوخ القصب.
يا أيها الرجل، يا ابن شورباك..
عليك أن تقوض البيت وتبتنى السفينة.
تخل عن مالك وانشد الحياة لك .
والملك دعه واحتفظ ببذرة الحياة فى سفينتك..
كل كائن حى ومخلوق..
عليك حمل بذرته..
عليك أن تضبط فى قياسك..
القياس فى السفينة..
فطولهاكعرضها..
عليك أن تختمها وجاعلا إياها.
مثل مياه العمق..
حين أضاءت أولى بشائر الصباح..
اجتمع كل الرجال والشيوخ حولى..
وأحضروا أغلى أضاحى الخراف والغنم..
تلك المراعى النادرة، من المراعى جلبت..
عاد الصغار يحملون القار..
وكل ما أحتاج، أو تحتاج السفينة..
أحضره الكبار والصغار لى..
فى خامس الأيام تمت بنية السفينة..
حددت إيكو (وحدة قياس مساحة) واحدة للقاعدة..
وكان علو كل جانب..
مائة وعشرين ذراعا حددت..
وكان طول كل جانب..

مائة وعشرين ذراعا قدرت..
وهكذا قدرت بنية السفينة..
حشوتها، غرزت فيها أوتاد المياه..
في الفواصل..
تسعة سارات (مكيال) تركت للقار..
وست سارات من القطران..
صببته في باطن السفينة..
أربع سارات سمن..
لدهن أوتاد المياه بالسفينة..
أركبت في السفينة..
جميع أهلي، كل أقربائي..
كل دواب الحقل قد أركبتها..
كل وحوش البحرقد حملتها..
حملت كل طائر..
وكل كائن حي حملت بذرته..
أركبت كل صانع بها..

إستمر الإعصاء واستمرت العاصفة والطوفان ستة أيام وست ليال تكتسح الأرض. فلما كان اليوم السابع سكنت العاصفة والطوفان. كأنه حرب شنت على جيش. ثم استقر البحر وذهبت كل قوة الريح. وخف الطوفان. وهكذا استطاع أن يرى النهار..

وفي المساء سارت السفينة..
وأنزل الموكل بالعواصف، المطر..
وأمطرت سحب الدمار والفناء ماءها..
رفعت رأسي، كانت السماء..
مرعبة

وكانت الأجواء مكفهرة ومظلمة..
مخيفة ومنذرة..
حين أطل الفجر، أقبلت سحابة مزمجرة..
حالكة السواد مزمجرة..
حواجز المياه السفلى..
فوق السدود ارتفعت..
تلك الأراضى الواسعة..
كجرة تحطمت..
وكل نور إستحال ظلمة..
ستة أيام مضت..
نهارها بليلها..
ولم تزل زوابع الطوفان..
تعصف كالنيران فى البلاد..
غطت زوابع الجنوب كل أرضها..
تفتك بالناس كحرب طاحنة..
فى الحرب العوان تسحق البشر..
فى سابع الأيام قد توقفت..
رياح الطوفان..
زوابع الجنوب قد تراجعت..
الأرض غاض ماؤها..
الريح فى اندفاعها..
توقفت..
لف السكون البحر والأكوان..

وانعدم كل صوت، كل آدمى قد عاد طينا،

وارتفع الماء حتى صار فى مستوى الأسطح..

كان الصمت مطبقا..

أبصرت، قد نظرت، البشر..

جميعهم عادوا إلى التراب..

سجدت للإله، عدت أبكى..

هى الدموع إنهمرت بخدى..

شاهدت اثنى عشرة ناحية..

كانت هناك مائلة..

يبدو بكل واحدة..

منها جبل..

لكنها على جبل نصير قد توقفت..

جبل نصير أمسك بالسفينة..

ومر يوم، ومر يومان..

ومازال الجبل يمسكها..

فلم يدعها تجرى..

وتستقر السفينة على الأرض، فيطلق حمامة أول ما يطلق، ثم خطافا. ولكنهما تعودان، ثم يطلق غرابا فلا يعود. فينزل من السفينة ويقدم القربان للآلهة.

فى سابع الأيام..

جئت بالحمامة..

تركتها تطير، لكنها عادت..

قد رجعت لأنها لم تلق فى الأرض..

مكاناواحدا..

تحط فيه وبه..

عمدت للغراب..

تركته يطير لكن لم يعد لأنه..

فى حين أبصر المياه انحسرت..

حام وحط، ولم يعد، ثم أكل..

وحينذاك قد فتحت بابها..

إلى الرياح والجهات الأربع..

ولكن الإلة «إنليل» ENLIL الذى تقع عليه ـ أكثر من غيره ـ تبعة الطوفان، يستشيط غضبا لمرأى أوتانابشتم، لأنه الوحيد من البشر الذى نجا وأسرته من فوضى الدمار العام..فيطيب الآلهة الآخرون خاطره، وما أسرع ما يهدأ ويغفر لأوتانابشتم ويهبه هو وزوجه الخلود ..

وبمراجعة التوراة المعروفة فى وصف الطوفان نلاحظ وجود وصفين له، كتبا فى وقتين مختلفين..

الأول: ماكتبه: أتباع يهوا، الذى يرجع إلى القرن التاسع قبل الميلاد.

الثانى: ماكتبه الكهنة اليهود، الذى يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد..

ولم توضع القصتان جنبا إلى جنب، بل نسجتا معا بحيث يتخلل كل جزء من إحداها بين جزءين من القصة الأخرى..

وقد أظهر شرح سفر التكوين للقس دى ڤو DE VAW ـ وهو أستاذ بمدرسة اللاهوت بمدينة القدس ـ أظهر بوضوح أن الفقرات المكونة للقصة قد قسمت بين مصدرين.. فالقصة تبدأ بفقرة من كتابات أتباع يهوا، التى تضمنت عشرا منها. وبين كل

اثنتين منها، إحدى الفقرات التسع المأخوذة من كتابات الكهنة. ولذلك أطلق عليها القس دى ڤو إسم «قصتى الطوفان».. حيث اختلفتا فى تحديد عوامل الطوفان، والفترة التى حدث فيها، وفى عدد الحيوانات التى أدخلها نوح إلى الفلك.

وفى ضوء العلم الحديث، نجد أن وصف الطوفان ـ كما أوردته التوراة المعروفة ـ غير مقبول للأسباب الآتية..

١ـ أن التوراة المعروفة تصف الطوفان بأنه كان عالميا، أى شمل العالم كله..

٢ـ أن الفقرات المأخوذة من كتابات أتباع يهوا لم تشر إلى تاريخ حدوث الطوفان، بينما تحدد كتابات الكهنة ذلك التاريخ، فى الوقت الذى يستحيل فيه ذلك تماما..

فكتابات الكهنة تقرر أن الطوفان قد حدث عندما كان عمر نوح ٦٠٠ سنة وطبقا لتسلسل الأجيال الوارد فى الفصل الخامس من سفر التكوين ـ المأخوذ أيضا من كتابات الكهنة ـ يتضح أن نوحا قد ولد بعد خلق آدم بـ ١٠٥٦ سنة.. وعلى ذلك يكون وقت حدوث الطوفان هو عام ١٦٥٦ بعد الخلق..

فاذا راجعنا تسلسل الأجيال من إبراهيم ـ الوارد بسفر التكوين (ص ١١ : ١٠ ـ ٣٢) ـ نجد أن إبراهيم قد ولد عام ٢٩٢ بعد الطوفان، أى قبل مضى ثلاثمائة سنة على وقوع الطوفان..

والثابت ـ من التوراة أيضا ـ أن ابراهيم ـ عليه السلام ـ كان يعيش حوالى عام ١٨٥٠ قبل الميلاد..

فهل يمكن الآن أن نتصور حدوث طوفان عالمى فى القرن الواحد والعشرين قبل الميلاد، فيدمر كل وجه الأرض ـ ما عدا سكان الفلك من الإنسان والحيوان ـ فى نفس الوقت الذى كانت فيه حضارات إنسانية مزدهرة فى كل أنحاء الأرض، بقيت آثارها مع توالى الأجيال حتى يومنا هذا؟!..

فى مصر ـ مثلا ـ كانت الفترة الوسيطة بين نهاية المملكة القديمة وبداية المملكة الوسطى. ومع معرفتنا بتاريخ تلك الفترة، يكون من غير المعقول أن يصر البعض على أن الطوفان قد دمر جميع الحضارات التى كانت قائمة فى ذلك الوقت خاصة وقد ثبت علميا اختراع التقويم الشمسى فى مصر سنة ٤٣٤١ ق. م. فى عهد مملكتى مصر العليا ومصر السفلى، الفترة السابقة للأسر..

وعلى ذلك يمكن التأكد من وجهة النظر التاريخية ـ أن قصة الطوفان، كما وردت في التوراة المعروفة، تتناقض مع العلم الحديث.

ولعل أوضح دليل على أن العهد القديم ـ في صورته الحالية ـ من وضع الإنسان، هو وجود القصتين لأتباع يهوا والكهنة..

وتختلف قصة الطوفان في القرآن الكريم تماما عن تلك الواردة بالتوراة المعروفة، ولاتترك مجالا لأي نقد موضوعي من وجهة النظر التاريخية.

فالقرآن الكريم لا يسرد قصة مستمرة عن الطوفان، ولكن نجد عدة سور تذكر العقوبات الموقعة على قوم نوح.. ولعل أكملها ما جاء في سورة هود (آية ٢٥ ـ ٤٩)، وسورة نوح وسورة الشعراء (آية ١٠٥ ـ ١١٥) وسورة الأعراف (آية ٥٩ ـ ٧١).

فقد جاء بسورة هود:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٢٥) أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ (٢٦)﴾..

وجاء بسورة الشعراء:

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥)﴾..

وجاء بسورة الأعراف:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)﴾..

وعلى ذلك يجب أن ننظر إلى الطوفان ـ طبقا لوصفه في القرآن الكريم ـ باعتباره منتميا إلى بلـب العقـويات التي يوقعهـا اللـه تعـالى علـى المجتـمعات المخالـفة لوصـاياه..

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)﴾ (سورة الأعراف آية ٩٤).

وجاء في سورة الفرقان:

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا (٣٥) فَقُلْنَا اذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا (٣٦) وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨) وَكُلاًّ ضَرَبْنَا لَهُ الأَمْثَالَ وَكُلاًّ تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا(٣٩)﴾..

وجاء بسورة غافر:

﴿مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ (٣١)﴾

وجاء بسورة الشعراء:

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ (١١٧) فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَن مَّعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ(١١٨) فَأَنجَيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (١١٩) ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ (١٢٠)﴾..

وجاء بسورة الفرقان:

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا(٣٧) وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا (٣٨)﴾..

وقد تضمنت سورة الأعراف (آية ٥٩ ـ ٩٣) التذكير بالعقوبات التي أوقعت على قوم نوح وعادو ثمود وقوم لوط وقوم مدين..

١ـ قوم نوح: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)﴾.. (**سورة الأعراف آية ٦٤**).

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١)﴾.. (**سورة نوح آية ١**).

٢ـ قوم عاد: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ (٦٥)﴾ (**سورة الأعراف آية ٦٥**).

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ (٥٠)﴾ (سورة هود آية ٥٠).

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ (٧٢)﴾ (سورة الأعراف آية ٧٢).

﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَاهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥٨)﴾ (سورة هود آية ٥٨).

٣ـ قوم ثمود: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)﴾ (سورة الأعراف آية ٧٣).

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨)﴾ (سورة الأعراف آية ٧٨).

٤ـ قوم لوط: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠)﴾ (سورة الأعراف آية ٨٠).

﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)﴾ (سورة الأعراف آية ٨٣ و ٨٤).

٥ ـ قوم مدين: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٨٥)﴾ (الأعراف آية ٨٥)..

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)﴾ (الأعراف آية ٩١)..

وعلى ذلك يتضح أن القرآن الكريم قد أورد الطوفان كعقاب قصد به خاصة قوم نوح. وهذا أول اختلاف أساسى بين القصتين كما وردتا بالتوراة المعروفة وبالقرآن الكريم. والاختلاف الثانى الهام، أن القرآن الكريم ـ خلافا للتوراة.. لم يحدد وقت حدوث الطوفان أو مدته. وإن كانت عوامل الطوفان واحدة تقريبا..

فكتابات الكهنة في التوراة تحدد المسببات كالآتي.. «في ذلك اليوم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء» (سفر التكوين ص ٧: ١١).

وجاء بالقرآن الكريم.. ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢)﴾ (سورة القمر آية ١١ و ١٢).

وقد حدد القرآن الكريم بإحكام محتويات الفلك.. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ (٤٠)﴾ (سورة هود آية ٤٠)..

فلم يذكر القرآن الكريم الحيوانات المفترسةوغير الطاهرة ودابات الأرض..

ولم يكن أحد أبناء نوح ـ المرفوض ـ بين راكبي الفلك.. ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ(٤٦)﴾ (سورة هود آية ٤٥ و ٤٦).

ولم تذكر التوراة هذا الابن الأخير بين ساكني الفلك.. « في ذلك اليوم عينه دخل نوح وسام وحام ويافث بنو نوح وامرأة نوح وثلاث نساء بنيه معهم إلى الفلك. هم وكل الوحوش كأجناسها. كل عصفور كل ذي جناح ودخلت إلى نوح إلى الفلك اثنين اثنين من كل جسد فيه روح وحياة، والداخلات دخلت ذكرا وأنثى من كل ذي جسد كما أمره الله» (تكوين ص ٧: ١٣ ـ ١٦)

ولكن طبقا لإحدى الفقرات في كتابات الكهنة، فإن نوحا وأسرته ـ بدون استثناء ـ وزوج من كل نوع دخلوا إلى الفلك.. «فدخل نوح وبنوه وامرأته ونساءبنيه معه إلى الفلك من وجه مياه الطوفان ومن البهائم الطاهرة والبهائم التي ليست بطاهرة، ومن الطيور وكل ما يدب على الأرض. دخل اثنان اثنان إلى نوح إلى الفلك ذكرا وأنثى كما أمر الله نوحاً».. (سفر التكوين ص ٧: ٧ ـ ٩). «وقال الرب لنوح ادخل أنت وجميع أهل بيتك إلى الفلك» (سفر التكوين ص ٧: ١).

ولاشك أنه من السهولة بمكان تحديد الاختلافات الرئيسية بين التوراة المعروفة وبين القرآن الكريم. ولعل أهم ما نلاحظه هو أن المعلومات الخاصة بالطوفان التي وردت في القرآن الكريم لاتتعرض لأي نقد موضوعي طبقا للعلم الحديث..

والثابت بيقين أن الإنسان لم يحصل على معلومات جديدة تلقي الضوء على ذلك الحدث في الفترةمابين الوقت الذي حددته التوراة لوقوع الطوفان، وبين نزول الوحي بالقرآن الكريم.. لأن المستند الوحيد لهذه القصة القديمة ـ الذي كان معروفا في ذلك الوقت ـ كانت هي التوراة نفسها.. أي أنه لم تكن هناك أية عوامل إنسانية لإجراء تغيير في القصة ليجعلها تتفق مع العلم الحديث.. ولم يبق إذن إلا تفسير وحيد مقبول لذلك، إنه الوحي الذي نزل بعد ورود القصة في التوراة بعد مئات السنين..

ومنذ عام ١٨٥٤م بدأ العلماء بإجراء حفريات هامة متتالية في العراق بهدف تحديد مكان وزمن حدوث الطوفان. وتم الكشف عن مدنية أورUR التي كانت مزدهرة في عصر الكلدانيين CHALDEANS وفي الفترة من سنة ١٩٢٢ ـ ١٩٣٤م قامت بعثة من المتحف البريطاني وجامعة بنسلفانيا الأمريكية بالتنقيب والبحث. وأثبتت البعثة أن الطوفان كان حوالي ٣٤٠٠ قبل الميلاد، وأنه كان في العراق فقط، ولم يشمل الكرة الأرضية كلها، بل كان سيلا فياضا طغى على وادي دجلة والفرات وأغرق كل المنطقة المأهولة بين الجبال والصحراء. وأن هذه المنطقة كانت ـ بالنسبة لسكانها ـ هي الدنيا بأسرها.. وقضى الطوفان على مظاهر العصر الحجري الحديث التي كانت سائدة في تلك المنطقة حتى ذلك العصر. وعلى ذلك يكون الطوفان قد حدث ـ كما حددته الأبحاث الأثرية ـ عام ٣٤٠٠ قبل الميلاد، قبل بدء التاريخ الفرعوني المكتوب بنحو ٣٠٠ سنة..

وقد حددت التوراة المعروفة مكان رسو فلك نوح بأنه على جبل أرارات ARARAT «واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبل أراراط. وكانت المياه تنقص نقصا متواليا إلى الشهر العاشر وفي العاشر من أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال (تكوين ص ٨ : ٤ و٥)

وجاء بالقرآن الكريم أن الفلك قد استقر على الجودى ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴿٤٤﴾﴾ (سورة هود آية ٤٤)..

والجودى ـ لغة ـ هو الجبل. فقد قيل إن الجودى اسم لكل جبل. وفى ذلك قول زيد ابن عمرو بن نفيل، وقيل إنه لورقة بن نوفل..

سبحانه ثم سبحانه يعود له وقبلنا سبح الجودى والجمد

(القرطبى، الجامع لأحكام القران، كتاب الشعب ص ٣٢٧٠).

وقد قيل إن الجودى جبل بقرب الموصل شمال العراق (السيوطى تفسير الإمامين ط ١٣٢٦هـ).

ويقال.. «أكرم الله تعالى ثلاثة جبال بثلاثة نفر، الجودى بنوح، وطور سيناء بموسى، وحراء بمحمد ﷺ.

وذكر المؤرخ العربى ابن سعد، أن الجبل الذى استوت عليه سفينة نوح هو جبل بالحصينين فى أرض الموصل بالعراق. وأن نوحا هبط إلى قرية، فبنى فيها كل رجل من الثمانين الذين كانوا فى السفينة ـ وهم بنوه ونساء بنيه وثلاثة وسبعون من بنى شيث ـ بيتا، فسميت بذلك سوق الثمانين .. ولما ضاقت بهم سوق الثمانين تحولوا إلى بابل.. (دكتور عادل طه يونس، حياة الأنبياء ص ٢٨)..

وهناك رأى يقول أن استواء سفينة نوح قد حصل على جبل الجودى الذى هو أحد الجبال الممتدة بين اليمامة وبين جبال شمر فى نجد بالجزيرة العربية.. (عبد المجيد شوقى البكرى، قصة الطوفان ص ١٦٦).

وقد جاء فى تفسير القرطبى أن نوحا بعث الحمامة فلم تجد قرارا، فوقعت على شجرة بأرض سبأ (اليمن) فحملت ورقة زيتونة ورجعت إلى نوح فعلم أنها لم تستمكن من الأرض. ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقعت بوادى الحرم.. فإذا الماء قد نضب فى موقع الكعبة، وكانت طينها حمراء، فاختضبت رجلاها. ثم جاءت إلى نوح فقالت بشراى منك أن تهب لى الطوق فى عنقى والخضاب فى رجلى وأسكن الحرم (حمام الحمى). (القرطبى، المرجع السابق ص ٣٢٧٠).

ولم يحدد القرآن الكريم ـ وكذلك التوراة المعروفة ـ مكان قوم نوح وبناء الفلك. والراجح أن أرض الجزيرة السفلى ـ جنوب غرب العراق ـ قد نزلت بها تلك النازلة التى نجد صداها فى قصة الطوفان.. والثابت ـ تحقيقا ـ أنه قد ألم بحضارة تلك المنطقة تغير جوهرى لسبب من الأسباب (تاريخ العالم حـ ١ ص٥٤٢).

وقد ذكر العلماء أخيرا أن الفلك يجب أن يكون قد تم بناؤه على شكل صندوق كبير ـ وهو ما يتفق مع مقاييس السفينة كما وردت بملحمة جلجميش ـ حتى يمكن أن يظل مستويا فوق سطح الماء، تدفعه الرياح.. ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ...﴾ (سورة هود آية ٤٢). ثم تدفعهم الرياح العاصفة.. ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ...﴾ (سورة يونس آية ٢٢)..

فإذا كانت الرياح العاصفة الشمالية الشرقية فى تلك الجهات، تدفع بالفلك نحو الجنوب الغربى، فإنه سيعبر البحر ـ الذى كان يجمع بين البحر الميت وخليج العقبة والبحر الأحمر ـ ليرسو به فى مكان مبارك.. ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (سورة المؤمنون آية ٢٩).. حتى استوى على الشاطىء الشرقى لأفريقيا، على سلسلة جبال البحر الأحمر فى مصر، وقبالة وادى الحرم.

ومع الأيام كسته عوامل الطبيعة بطبقة من الرمال ورماد الفضاء ولكنه احتفظ بشكله الصندوقى. وعرف بين الناس فى مصر باسم «جبل علبة» الذى يقع فى جنوب مصر قرب حدودها مع السودان، لأنه يشبه الصندوق وبداخله مغارة كبيرة واسعة.

ويؤكد ذلك أمران..

الأول: وجود قبيلة فى منطقة جبل علبة تسمى قبيلة نوح..

الثانى: وجود بعض أنواع الحيوانات فى المنطقة لايتوقع تواجد مثيلاتها فيها..

وقد نشرت جريدة الأهرام تحت عنوان «محميات علبة، نموذج فريد للحياة البرية»، أن محميات علبة (منطقة جبل علبة) الطبيعية تقع بمحافظة البحر الأحمر فى الجزء الجنوبى الشرقى من الصحراء الشرقية: وتعتبر من أهم المناطق الغنية بالحياة البرية فى مصر.. وتشمل المحميات منطقة جزر البحر الأحمر وغابات المانجروف الساحلية ومنطقة

أبرق ومنطقة الدئيب وكذلك منطقة جبل علبة. ونظرا لتباين النظم البيئية بالمنطقة من جبال ووديان ومناطق سهلة وساحلية وبحرية. وكذلك زيادة الأمطار بها نسبيا عن المناطق الصحراوية الأخرى، نجد أنها تحتوى على غالبية انواع الحيوانات والطيور والزواحف والنباتات البرية المصرية.

وبالنسبة لمحمية جبل علبة، فهل تشمل المنطقة الواقعة بين ساحل البحر الأحمر شرقا وحتى خط طول ٣٦ْ غربا، وخطوط عرض ٣٠ـ ٢٣ْ شمالا حتى ٢٢ْ جنوبا. ويعتبر الجبل بيئة جبلية صرفة ويحتوى على نباتات برية وغابات نادرة وأنواع كثيرة من الحيوانات والطيور والزواحف البرية. وبصفة عامة فمنطقة محميات علبة تكثر فيها الحيوانات البرية مثل الماعز الجبلي والحمار البرى والغزال المصرى والأرنب الجبلى والقط البرى والنعام والحبارى والحجل، وكذلك أنواع كثيرة من النسور والعقبان والصقور بالإضافة إلى السلاحف البحرية.(جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٠/١/٨ ص ١٦).

لقد كانت نتيجة البحث عن ملك نوح على جبال أرارات ـ بجبال أرمينيا على الحدود الروسية التركية ـ دائما سلبية، فلماذا لايتجه البحث إلى جبل علبة على ساحل البحر الأحمر عند حدود مصر الجنوبية ؟!..

لقد وعدنى الدكتور جون كالدويل رئيس كنيسة «طريق الملك» بمدينة إنديانا بوليس عاصمة ولاية إنديانا، بأنه سينقل وجهة نظرى إلى أصدقائه المهتمين بالبحث عن فلك نوح، لعلهم يوفقون فى العضور عليه..

وقد تمنيت أن يوم المستشار الإعلامى بالسفارة المصرية لدى دولة البحرين بارسال صور من البحث ـ عند نشره فى جريدة الأيام البحرينيا سنة ١٩٩١ ـ إلى وزراء الثقافة والسياحة والإعلام، لعلهم كانوا يشكلون لجنة تكون مهمتها التأكد من صحة المعلومات التى وردت به.

مراجع بحث الفصل (٨ ٣)

١ - القرآن الكريم
٢ - التوراة المعروفة
٣ ـ تاريخ العالم جـ١
٤ - القرطبى، الجامع لأحكام القرآن، كتاب الشعب، القاهرة.
٥ - يوسف بن عبد الله القدومى الحنبلى، قلائد المرجان فى صحة القول بعموم الطوفان، مطبعة اللواء بالقاهرة سنة ١٩٠٠ .
٦ - رءوف أبو سعده، من إعجاز القرآن، دار الهلال القاهرة سنة ١٩٩٣ .
٧ - دكتور عادل طه يونس، حياة الأنبياء، القاهرة.
٨ - عبد المجيد شوقى البكرى، قصة الطوفان ، الموصل - العراق سنة ١٩٦٧ .

9- Jeffery H. Tigay, the Evolution of the Gilgamesh Epic 1982.

10- Liioyd R. Bailey, NOAH the person And the story in History and Tradition, 1989.

11- parallels, The Gilgamesh Epic And Old Testament, 1967.

الفصل التاسع والثلاثون

الناس الطيبون يعيشون بلا ماء أو كهرباء أو تليفون

الناس الطيبون يعيشون بلا ماء
أو كهربـــاء أو تليفـون

عندما علم أصدقائى الأمريكيون أن موعد مغادرتى لبلادهم يوم الجمعة ١٣ سبتمبر ١٩٩١، شعرت بعدم رضاء بعضهم عن ذلك التاريخ وجال بخاطرى أنهم يريدون أن تستمر زيارتى لمدة أطول، ولكن البعض الآخر حاول أن يثنينى بشدة عن السفر فى ذلك اليوم بالذات، واختيار أحد اليومين، إما يوم الخميس ١٢ سبتمبر أو يوم السبت الموافق ١٤ سبتمبر والمهم عندهم أن لا يكون السفر يوم الجمعة ١٣ سبتمبر!..

وابتسمت عندما علمت أن الأمريكيين يتشاءمون من رقم ١٣ وكذلك من يوم الجمعة. فاذا إجتمع يوم الجمعة مع الرقم ١٣، بلغ التشاؤم أقصى مداه.. وتقل المعاملات المالية فى أمريكا بقدر يزيد على الخمسين مليونا من الدولارات ويمتنع كثيرون عن السفر..

فالأمريكيون شعب يتفاءل ويتشاءم، ولذلك لن تجد فندقا مكونا من ١٣ دورا، كما أن الكثيرين لا يحررون شيكا أوخطابا يوم ١٣ من الشهر ولا يدفعون فاتورة إذا كانت قيمتها ١٣ دولارا.. بل يدفعون ١٢,٩٩ دولار ولذلك يستعمل يوم ١٢ من الشهر كيومين.. متأثرين فى ذلك بالجماعات المهاجرة القادمة من ضفاف نهر الراين فى ألمانيا، الذين يتشاءمون أيضا من رؤية قط أسود. وأنه يلزم لمن يراه. أن يرى بعد ذلك ــ للقضاء على الفأل السيىء – حصانا أبيض وامرأة ذات شعر أحمر.. كما لايتخطون شخصا على السلم لأن ذلك يجلب الحظ السيىء.. ويحرصون على الخروج من نفس الباب الذى دخلوا منه، ليأخذوا معهم حظهم الطيب..

وسافرت يوم الجمعة ١٣ سبتمبر، وكان معى على الطائرة التى غادرت مطار شيكاغو إلى أمستر دام بهولندا، محمد على كلاى بطل الملاكمة العالمى السابق فى طريقه إلى مصر لحضور الدورة الأفريقية الخامسة.. وقد قام بتوزيع صورة كبيرة له بالألوان عندما كان بطلا للملاكمة.. وكان حظ الدكتور رودريك إدوارد بوتشرRUDRICK EDWARD BOUCHER ــ إخصائى الأنف والأذن والحنجرة بولاية MICHIGANميتشجان ــ

وزوجته، اللذين كانا يشغلان المقعدين المجاورين لى على الطائرة، نسختين من صورة البطل السابق.. وابتسمت عندما رأيت تاريخ التوقيع عليهما ١٢ سبتمبر!.

ومعظم الأمريكيين يستعملون الكلمات التى تدل على التشاؤم أو التفاؤل مثل «إمسك الخشب» «NOCK ON WOOD» التى تنتقل من الوالدين والأجداد والأقارب إلى الأجيال الجديدة.

ولكن جماعات الأميش AMISH والمينونايتس MENNONITE لا يؤمنون بهذه الخرافاتWITCHCRAFT، ويرفضون أن يضعوا أى علامة على بيوتهم.. فما زالت بعض الجماعات الأمريكية المترابطة بسبب وحدة الأصل ـ الدينى أو الإقليمى ـ تنتشر فى كثير من الولايات الأمريكية. ولعل أهم تلك الجماعات هى طائفة الأميش وجماعة المينونايتس.

ويعيش الأميش والمينونايتس فى مجتمع زراعى يحقق لهم رغباتهم فى تربية أولادهم بعيدا عن الآثار الشريرة للعالم حولهم..

كان الأميش جزءا من المينونايتس ولكنهم إختلفوا عندما إستمر الأميش فى القيام بمباشرة بعض التقاليد التى أهملها المينونايتس..

لقد كانوا معا يؤمنون بالإنجيل والتوراة، ولكنهم إختلفوا فى بعض المناقشات الجدلية وأخيرا قرروا الإنفصال سنة ١٦٩٣م. وهم حتى الآن ـ غالبا فى بعض مناطق إنتشارهم ـ يعملون ويعيشون معا، ولكنهم لا يمارسون الشعائر الدينية معا..

وكل من الجماعتين تتبع أسلوبا للمعيشة إشتقته من الإنجيل. وهم يدرسون التوراة المعروفة ويؤمنون بأن الإنجيل مكمل لها. والواقع أن الإختلاف بينهما يرجع أساسا إلى مدى تأثر كل منهما بالعالم حولهما..

وتنتشر جماعات كبيرة من الأميش والمينونايتس واللوزثريين LUTHERNS ـ أتباع مارتن لوثر ـ والكواكرز QUAKERS ـ الذين جاءوا من الأراضى الواقعة حول نهر الراين RHINE بألمانيا ـ فى جنوب شرق ولاية بنسلفانيا PENNSYLVANIA فى

المنطقة الواقعة بين نهر ديلاويرDELAWARE ونهر سوسكو يهان SUSQUEHANN كما تنتشر جماعات الأميش والمينونايتس فى ولاية إنديانا وبعض الولايات الأخرى. لقد جاءوا إلى أمريكا بحثا عن حرية العقيدة التى وعد بها وليام پن WILLIAM PENN حيث أقاموا القرى والمزارع الجميلة.

والأميش لا يميلون لحصر عددهم، ولكن يقدر عددهم فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا نحوا من تسعين ألفا.

وهم يعيشون فى مزارعهم بدون الكهرباء، ويعتمدون على الحصان للعمل فى الحقول ويسافرون ويتنقلون فى عربات الباجىBUGGY التى يجرها الخيل. فهم لا يركبون السيارات ولايستعملونها. ويقيمون شعائر دينهم فى منازلهم حيث يتحدث رؤساهم باللغة الألمانية..

وهم يعيشون فى بيوت لا تدخلها الكهرباء أو الماء أو التليفون. وعندما قمت بزيارة نابانى NAPPANNEE ـ إحدى قرى جماعة الأميش بشمال ولاية إنديانا ـ فى شهر يوليو سنة ١٩٨٩ مع الصديقين العزيزين أندريه وكينتون يوهى-ANDREA KEN-TON,YOHEY شاهدنا كشك التليفون يقف وحده خارج القرية بالقرب من الطريق الرئيسى لإستعماله فى حالات الضرورة القصورى، وهم يحصلون على الماء من الطلمبات خارج المنزل..

وقد لاحظت أن الرجال يعملون فى الحقول بملابسهم السوداء كاملة وهم يطلقون لحاهم فقط ويحفون شواربهم، إذ يعتبرونها غير صحية، كما أنها ترتبط لديهم بالشكل العسكرى القديم، وبذلك يختلفون عن جماعة اليهود المحافظين المقيمين فى ولاية نيويورك الذين يطلقون لحاهم وشواربهم الكثيفة.

ورغم أنهم لا يستعملون الآلات الحديثة فى الزراعة، إلا أن انتاجية أراضيهم مرتفعة جدا.. وعندما كانوا يقيمون بيتا جديدا لعروسين، رأيتهم قد خلعوا الچاكت فقط حتى لا تعوق حركتهم فوق الأخشاب. ولعل هذا العمل بالذات يوضح بجلاء مدى التعاون

والترابط بينهم. فاذا أراد فتى من الأميش أن يتزوج فتاة منهم، ركبا معا عربة الباجى بعد أن يرفعا عنها سقفها وسارا بها فى شوارع القرية وهما يتبادلان القبلات، وهذا يعنى أنهما قد قررا الزواج.

وفى اليوم التالى يجتمع رجال القرية ليقيموا معا بيتا جديدا للعروسين. وذلك يستغرق منهم ثلاثة أيام فقط. ولا يدفع العروسان شيئا فى تكاليف إقامة هذا البيت، فهو هدية من القرية.

ولا يسمح للفتى بالإقامة فى القرية إلا إذا تزوج بفتاة تنتمى لنفس الجماعة. فاذا إختار فتاة من غير الأميش، تعين عليه أن يغادر القرية..

وبيت الأميش بسيط جدا من الداخل. طلاء الحوائط أزرق أو أخضر أو رمادى، والستائر على النوافذ خضراء قاتمة أو سوداء ولكن النظام والنظافة بعطيان الإنسان الإحساس بالهدوء والراحة.

يستعمل الأميش الغاز والفحم والزيت للتدفئة، ولذلك لا تصل إلى جميع حجرات المنزل. وحجرة نوم الوالدين تكون دائما بالدور الأرضى ولذلك تكون دافئة، ويسمح للطفل الصغير فقط أن ينام فيها فى فصل الشتاء، أما باقى الأولاد، فينامون بالدور العلوى تدفئهمالبطانيات.

أما المينونايتس فأقلية منهم فقط تحافظ على بساطة المسكن وغالبيتهم يتشبهون باسلوب حياة جيرانهم المحيطين بهم..

ويجلس أولاد الأميش حول مائدة واحدة، يمسك كل منهم كتابا أو كراسا وقلما، لا يزعجهم جهاز راديو أو تليفزيون أو رنين جرس تليفون. وبعض المينويايتس يملكون أجهزة الراديو والتليفزيون وأيضا السيارات التى تنقلهم بسهولة ويسر إلى العالم الخارجى وتأثيراته، ولذلك لايستعملها الأميش..

ويتمسك الأميش بارتداء زى موحد حتى يكون رمزا لوحدة الجماعة وقوتها.. فهو لا يستطيع أن ينسى إنتماءه لجماعة الأميش وهو يرتدى ملابسهم المميزة.. البدلة السوداء والمعطف الأسود بلاثنيات، قميص لونه سادة، وأحذية سوداء، يضع قبعة سوداء على رأسة وهو خارج المنزل ويستبدلها بقبعة من القش المشغول فى فصل الصيف..

ورداء المرأة طويل حتى القدمين، ويغطى الذراعين حتى الرقبة وتضع دثارا على كتفيها ـ حرملة CAPE - ومريلةAPRON وتغطى رأسها وشعرها الطويل. وجميع نساء الأميش يمشطن شعرهن بنفس الطريقة.. فيفرقنه في الوسط ويمشطنه على الحانين، ثم يربطنه ويجمعنه في دائرة خلف الرأس.. وبذلك لا تحتاج المرأة منهن إلى تمشيط شعرها بين حين وآخر، حيث يبقى كما هو طوال اليوم.. وتضع المرأة غطاء للرأس من الحرير الأبيض بشكل يناسب الرأس. ويظهر الجزء الأمامى منه فقط حول الوجه، وتثبته فى شعرها بالدبابيس، وفوقه قبعة سوداء BONNET تربط تحت ذقنها..

ويرتدى أطفال الأميش ملابسا تميزهم فورا، ولو أنهم ليسوا بعد أعضاء فى الجماعة.. حتى يتم ذلك باختيارهم. إلا أنهم ينتمون إلى عادات وتقاليد الأميش وليس للعالم الخارجى..

ورغم الحياة الجامدة، يختار شباب الأميش أن يبقى بينهم. ولكن عددا قليلا جدا يتركهم لينضم إلى كنيسة أخرى.

ويؤمن الشباب عادة بما يعلمه لهم كبارهم. وطبيعة الحياة فى المزرعة تقتضى أن تكون الأسرة مترابطة متعاونة، لأن الأعمال فيها كثيرة ومتعددة وتحتاج إليهم جميعا ليعملوا فيها. ولذلك كانت الأسرة قوية، والإخلاص والولاء للمجموع..

والأميش يعترضون على التعليم بعد السنة الثامنة (الإعدادية) أى أنهم يكتفون بالمدرسة المتوسطة. ولكنهم يحبون أطفالهم ويرعونهم تماما ويعلمونهم كيف يعملون فى المزرعة. وهم يعاملون كبارهم باحترام كبير..

وعندما يتقدم السن بالوالدين يرعاهم أولادهم، وعندما يتقاعدان من العمل يقيمان فى جناح مستقل يضم مطبخا وحجرة معيشة وحجرة نوم. ويتركون باقى المنزل الكبير للإبن المتزوج ـ أو البنت المتزوجة ـ وأسرته. ويطلقون على هذا الجزء مسكن الجد..

والأميش يعطون ظهورهم لآلات التصوير، فهم لا يحبون أن يلتقطوا صورا لأنفسهم أو أن يلتقط أحد صورا لهم، تطبيقا لما جاء فى التوراة أن «لا يصنع له تمثالا منحوتا ولا صورة ما، مما فى السماء أو ما على الأرض»..

وقد حاولت في زيارتي لقرية ناپاني التقاط بعض الصور لنساء يقمن بالعمل في حديقة المنزل أو يقدن عربة الباجي. ولكنهن كن يحولن وجوههن بهدوء دون غضب إلى الجهة الأخرى.. أو تتراجع برأسها إلى الخلف داخل عربة الباجي السوداء المعتمة، فلا تبدو في الصورة أي ملامح لها.. ويبدو أن الأميش قد عودوا أنفسهم على تحمل مضايقات السائحين الذين يتوافدون إلى قراهم، وتجاهل نظراتهم الفضولية حتى يستمروا في حياتهم الخاصة.

ويزداد عدد السائحين الذين يذهبون ليروا كيف يعيش الأميش بعد إهتمام عدد من المجلات الأمريكية بالنشر عن حياتهم وطرق معيشتهم وكذلك بعد إنتاج فيلم «INVITED».

وبعض جماعة المينونايتس يرفضون بشدة وجود السائحين وبعضهم يتقبلهم لأسباب إستثمارية أو ليتمتعوا بتبادل الحديث معهم، وتأدية واجبهم التبشيري عن معتقداتهم وممارساتهم الدينية..

ويفضل الأميش العلاج بالأعشاب الطبية عن الإلتجاء إلى طبيب. ومنذ أكثر من عشر سنوات كان أحدهم ويدعى سولومون ويك SONMSOLO WICKEY يصف لهم ـ بعد أن يجلسهم على مقعد مائل للخلف ويطيل النظر في عيونهم ـ نوعا أو أكثر من الأعشاب الطبية. وكانوا يأتون إليه من كافة أنحاء الولايات الأمريكية، وهم لا يدفعون شيئا مقابل، هذه الوصفة، لأنه ليس طبيبا مرخصا له بالعمل إنه مجرد مزارع، ولكنه يأخذ ثمن الأعشاب الطبية. وقد يترك له بعضهم بعض المال كهدية..

وتقدم المدعى العام لولاية إنديانا بشكوى ضده لممارسته مهنة انطب بدون ترخيص، ولكن سولومون ويكي دافع عن نفسه قائلا بأنه لايتصرف كطبيب لأنه لا يحصل على أجر مقابل خدماته، ولأنه يقترح فقط أي الأعشاب الطبية أكثر فائدة. ولكنه لا يصفها كعلاج. كما أن بيع الأعشاب نفسها لا يخالف القانون..

والأميش يدينون بالمسيحية الأولى قبل أن تستغرقها تقاليد المعبد القديم في روما.. وهم يطبقون الوصايا العشر بالتزام تام، حتى إذا تعارضت مع مصالحهم المادية. وقد جازف المئات من الأميش منتجي الألبان المقيمين في شمال شرق ولاية إنديانا بالتوقف عن إنتاج

ألبان تقدر قيمتها بثلاثة مليون دولار سنويا حتى لا يخضعوا لقانون جديد أصدرته الولاية بشأن ضرورة وضع الألبان فى الثلاجات الخاصة به لتبريده قبل مضى ساعتين على الأكثر من وقت عملية الحليب.

فالأميش عادة يستعملون الماء المثلج أو قطع الثلج لتبريد الألبان، وهذا يستغرق عادة أكثر من ساعتين، خاصة فى فصل الصيف.. وديانتهم تمنعهم من إستعمال الثلاجات الكهربائية اللازمة، رغم أن انتاج اللبن يعتبر المصدر الرئيسى للدخل النقدى للمزارعين الأميش وقد أعلن معظم المنتجين أنهم سيكتفون ببقرة واحدة أو بقرتين لإنتاج ما يحتاجونه هم فقط من ألبان..

وقد تعرضت جماعة الأميش إلى تجربة مثيرة عندما تعارضت مبادؤهم مع التجنيد العسكرى أثناء حرب فيتنام. وقد واجه عدد من شبابهم تهمة الهروب من الجندية أثناء الحرب حتى لايقتلوا أحدا، ولو كان فى ميدان القتال.. وأخيرا تم الإتفاق بين زعمائهم وبين الحكومة الفيدرالية على أن يقتصر عمل المجندين من طائفة الأميش على الأعمال الإدارية والتموين..

ويتحدث الأميش لغة هى خليط من الألمانية والإنجليزية، كاحدى وسائل ابعادهم عن العالم الخارجى.. ويتحدث الأولاد هذه اللغة الدراجة أولا، ثم يتعلمون اللغة الإنجليزية فى المدرسة، ولكنهم يحتفظون بلغتهم يتحدثون بها فى حضور غيرهم ممن لا يعرفونها..

وهم ينطقون حرفw بدلا من حرفv فيقولون WALLEY بدلا من VAL-LEYبمعنى وادى. كما يقولون..«MAKE THE LIGHT OUT» بدلا من«THE LIGHT OFF » بمعنى أطفىء النور.

ويقولونRENCH بدلا من RINSE بمعنى يغسل ويقولون أيضا «THROW THE COW OVER THE FEN CE» وترجمتها الحرفية «ألقى البقرة فوق السور» ولكنهم يقولونها بدلامن « THROW THE HAY TO THE COW OVER THE-FENCE» بمعنى «ألقى الأعشاب إلى البقرة من فوق السور» !!

ويتوقع الكثيرون أن تنقرض جماعة الأميش بسبب الزواج الداخلى بينهم وما يترتب عليه من آثار سيئة بالنسبة للأمراض الوراثية. ولعل أخطرها مرض ضعف العضلات MUSCULAR DYSTROPHY الذى ينتشر بينهم بنسبة تصل إلى ١٪ ويحذر الأطباء من زيادة هذه النسبة لأن هذا المرض ينتقل إلى الأطفال من والديهم، إذا كان كلاهما من حاملى فيروس المرض. وتصل نسبتهم إلى ٢٠٪ من الأميش..

ويبدأ المرض فى سن العاشرة عندما يشعر الطفل بضعف عضلات الأكتاف، وفى سن العشرين يضطر المريض إلى إستعمال المقعد المتحرك ذى العجلات. وهذا يجعلهم غير قادرين على المشاركة فى الحياة اليومية التقليدية لجماعة الأميش، التى تبدأ مع شروق الشمس حتى غروبها، حافلة بأعمال الزراعة والرى والحصاد وإطعام وكسوة عائلات كبيرة مع عدم إستعمال أى آلات حديثة ـ مثلما كان يفعل الفلاح المصرى قبل إنتشار أجهزة التليفزيون والڤيديو..

ويقول الأميش أنهم يتقبلون هذا المرض كارادة الله. لقد قيل لهم أنه بسبب الزواج الداخلى فيما بينهم، ولكنهم لايعرفون كيف يمنعونه.. إنهم يحاولون أن لا يكون الزواج بين أقرب الأقارب، ولكن الأمر يبدو صعبا فى مجتمع قرية لا يزيد عدد أفرادها على ثلاثة آلاف شخص. وهم يرفضون بإطلاق، الزواج الخارجى لأن ذلك هو السبيل الوحيد للمحافظة على جماعتهم بقيمها وتقاليدها الدينية والإجتماعية..

وتعانى من هذه المشكلة عينها بعض مجتمعات الخليج العربى حيث ينتشر بين أفرادها مرض فقر الدم المنجلى الذى ينتج عنه خلل فى هيموجلوبين كرات الدم الحمراء، المسئول عن حمل الأوكسيجين إلى جميع أنحاء الجسم، مما يؤدى إلى تغيير فى شكل كريات الدم الحمراء فتأخذ شكل المنجل بدلا من الشكل الكروى المعروف، مما يصعب معه مرورها فى الأوعية والشعيرات الدموية الدقيقة، فلا يصل الدم إلى بعض أجزاء الجسم..

فاذا كان العلم الحديث لم يتمكن من إيجاد علاج له حتى الآن، فان العقل قد يقودنا إلى وسيلة للقضاء على هذا المرض الوراثى الخطير، محافظة على الأجيال القادمة.. ويكون ذلك يمنع الزواج بين أفراد ذلك المجتمع لعدة أجيال، والتزاوج بين أفراده وأفراد مجتمع عربى آخر لا ينتشر بينهم هذا المرض..

فالمعروف علميا أن هيموجلوبين الدم يحدده إثنان من الجينات (بالوراثة) واحدة من الأب والأخرى من الأم. والعامل الوراثى السليم ينتج عنه هيموجلوبين طبيعى، والعامل الوراثى المريض ينتج عنه هيموجلوبين فقر الدم المنجلى..

والمعروف أيضا أن الطفل يصاب بهذا المرض إذا ورث الجين المصاب من كل من والديه.. أما إذا ورث الجين الطبيعى من أحدهما والجين المصاب من الآخر، فانه يصبح مجرد حامل للمرض، ولكن ليس هناك إحتمال أن يكون مصابا بالمرض..

أى أنه إذا تزوج سليم ـ أو سليمة ـ بحاملة ـ أو حامل ـ للمرض، كان هناك إحتمال ٥٠ ٪ أن يكون طفلهما سليما، واحتمال ٥٠ ٪ أن يكون حاملا للمرض فقط دون أن يكون مصابا بالمرض.

فاذا توالت عدة أجيال قلت نسبة حاملى المرض حتى تنقرض، ويقضى نهائيا على هذا المرض الذى لم يتمكن العلم الحديث من ايجاد علاج له بعد..

ولا يقتصر رفض مظاهر المدنية الحديثة على طائفة الأميش، فقد رأينا بعض قرى الهنود الحمر ترفضها بعنف (الفصل السابع والعشرون) كما ترفضها بعض الجماعات الأخرى..

وتحضرنى قصة سمعتها من المرحوم الشيخ خالد بن محمد بن عبدالله الخليفة ـ وزير العدل السابق بدولة البحرين ـ فقد توجه جماعة من شيوخ القبائل إلى الملك فى بلادهم، حيث طلبوا مقابلته وعرضوا عليه طلباتهم الخاصة برفض مظاهر المدنية الحديثة لأنها ـ فى رأيهم ـ تخالف ماجرى عليه أيام السلف الصالح..

كان الملك معروفا برجاحة عقله وقدرته الفائقة على إتخاذ القرارات الحكيمة. وافق الملك على طلباتهم دون أن يناقشها معهم، ودعاهم إلى تناول الطعام على مائدته..

وعندما إنصرف شيوخ القبائل من حضرة الملك، لم يجدوا سياراتهم الفارهة التى جاءوا بها، ووجدوا مكانها جمالا معدة للركوب.. ولما سألوا عن سياراتهم، قيل لهم أنها من مظاهر المدنية الحديثة، وأن جلالة الملك قد أمر بسحبها..

وقاد بعض رجال القصر الملكي قافلة الجمال التى تحمل شيوخ القبائل. وبعد فترة توقفت القافلة، وطلب منهم أن يترجلوا ليتوجه كل منهم إلى مسكنه. تلفت شيوخ

القبائل حولهم فرأوا على ضوء القمر والنجوم مخيما كبيرا في وسط الصحراء. وأبدوا دهشتهم لأنهم لا يجدون حولهم أثرا لقصورهم!..

وقيل لهم أن سكنى القصور الفخمة من مظاهر المدنية الحديثة، وأن جلالة الملك قد أمر باعداد هذه الخيام لإقامتهم مع عائلاتهم التى سيحضرونها في اليوم التالى.. وأنه قد روعى أن لا يكون فيها أى من مظاهر المدنية احديثة ـ تنفيذا لرغباتهم التى أبدوها للملك ـ فلا كهرباء أو تليفون.. والماء في البئر.

وقف رؤساء القبائل يتساءلون..

= ألا توجد أجهزة تكييف؟

= ولا حتى مروحة كهربائية!

= لقد تعودنا أن نشرب الماء مثلجا!..

= كيف نحفظ طعامنا بدون ثلاجات؟.

= إن إعداد الطعام على النار سيستغرق وقتا وجهدا.. فهل مواقد الغار أيضا من مظاهر المدنيةالحديثة؟!..

= إننى لا أكاد أرى في هذا الظلام!..

وطلب شيوخ القبائل العودة لمقابلة الملك، حيث إستعطفوه أن يصفح عنهم وأن يعيدهم إلى الحياة التى إعتادوا عليها!.

الفصل الأربعون
الهـــرم المصري الرابـــع
هل يرتفع فى سماء أمريكا

الهرم المصري الرابع ..
هل يرتفع فى سماء أمريكا

قبل مغادرتى للولايات المتحدة الأمريكية في يوليو سنة ١٩٧٩، دعتنى الصديقة السيدة دوروثى إدواردز MRS DOROTHY EDWARDS ـ من مدينة بدفوردBEDFORD بولاية إنديانا ـ إلى حفل أقيم تكريما لى بمناسبة عودتى إلى مصر، بعد غيبة عنها طالت لأكثر من ثلاث سنوات..

بدأت علاقتنا بالسيدة دوروثى إدواردز عندما التقينا بها ـ السيدة زوجتى وأنا ـ فى حفل أقامته السيدةچولى نيلسون. MRS. JULIE NILSON فى بيتها بمناسبة العام الجديد.. وقد جذبنا إليها حبها الشديد لمصر..

كان زوجها مهندسا بالشركة العربية الأمريكية للبترول ـARAMCO ـ مما أتاح لها السفر إلى عدة بلاد، منها المملكة العربية السعودية وأسبانيا وايطاليا وهولندا التى قضت فيها عشر سنوات، منذ عام ١٩٥٣ حتى عام ١٩٦٣.

وخلال تلك الفترة فقدت إبنتها الوحيدة سيلڤياSYLVIA، التى توفيت عن عمر يناهز الرابعة والعشرين.. وفى طريق عودتها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، كان فى صحبتها طفلان شقيقان هما لويجLOESJE فى الخامسة والنصف من عمرها ـ والتى أصبحت فيما بعد سكرتيرة الرئيس ريجانREAGAN ـ وبيتPETE فى الثالثة والنصف من عمره.. وقد أصبحا طفليها بالتبنىADOPTION، لعلهما يعوضانها عن فقدها لإبنتها سيلڤيا.

كان أهم حديث أثير خلال حفل التكريم عن مشروع بناء هرم فى مدنية بدفورد. وهى مدينة صغيرة تقع على بعد نحو سبعين ميلا جنوب العاصمة إنديانابوليس. ويبلغ تعداد سكانها حوالى ستة عشر ألف نسمة..

فبناء على دراسة إقتصادية قامت بها الحكومة الفيدرالية ـ المركزية ـ للولايات المتحدة، تبين أن منطقة بدفورد بولاية إنديانا «منطقة عدم تشغيل» ـUNEMPOLYMENT

AREA ـ أى أنه ليس بها مجالات عمل كافية، وأن سكانـها يعملون ـ غالبا ـ خـارجها.

اجتمعت الغرفة التجارية للمدينة برئاسة ميرل إدنجتون MERLE EDINGTON ـ في ذلك الوقت ـ وقررت إقامة مشروع سياحى فى المدينة ليجذب مليونا من السائحين سنويا.. وليخلق ـ تبعا لذلك ـ مجالا اقتصاديا للعمل بالمنطقة، بإنشاء الفنادق والموتيلات والمطاعم ومحلات البيع المختلفة بجانب محلات بيع الهدايا والتذكارات وغيرها..

واتفق المجتمعون على أن يقوم المشروع السياحى إعتمادا على شهرة المدنية بمناجمها من الحجر الجيرى LIME STONE، الذى أقيمت به عدة مبانى شهيرة فى أمريكا، منها مبنى الإمباير ستيت EMPIRE STATE BUILDING وكاتدرائية واشنطن ومبنى البنتاجون ومركز روكفلر وبرج شيكاغو وفندق والدورف استوريا، وغيرها الكثير فى معظم عواصم الولايات الأمريكية.

كانت الاقتراحات حول الشكل الذى يقام به المبنى السياحى كثيرة، وأخيرا وافقت الغرفة التجارية على الاقتراح الذى تقدم به الدكتور مدحت جرجس ـ المصرى الأصل ـ الذى يعمل طبيبا بمستشفى بدفورد، بأن يقام هرم على مثال هرم خوفو بقدر خمس مساحته وبارتفاع عشرة طوابق، أى حوالى ثلاثين مترا..

وأختير الدكتور مدحت جرجس مستشارا للمشروع ليتولى مناقشة اللجنة الفيدرالية فيه، والتى وافقت عليه وقررت المساهمة فى المشروع بمبلغ نصف مليون دولار، قدمت منها ٣٠٠ألف دولار..

وقد اعترضت مدينة القاهرة CAIRO بولاية الينوى ILLINOIS المجاورة على إقامة الهرم فى مدينة بدفورد، لأنها كانت تنوى إقامته على أرضها، لأنها الأولى بذلك وهى تحمل اسم القاهرة..ولكن مدينة بدفورد أعلنت تمسكها بالمشروع وأنها لن ترسل إلى القاهرة الأحجار اللازمة لبناء الهرم فيها.. حيث أن مناجم الحجر الجيرى تقع كلها حول مدينة بدفورد.. وأن اسمها ليس مبررا لنقل المشروع إليها حيث أن بالولايات المتحدة الأمريكية ثمانى مدن تحمل إسم القاهرة..

تحدد مكان المشروع على أرض مساحتها حوالى خمسة عشر فدانا وقدمت المناجم قطع الأحجار الضخمة هدية منها، وعددها مليونان وثلاثمائة ألف قطعة وزن كل منها ما بين ٢ طن وخمسة عشر طنا..

أرسل الدكتور مدحت جرجس خطابا إلى السفارة المصرية فى واشنطن يسأل عن إمكانية زيارة رئيس جمهورية مصر لمدينة بدفورد لافتتاح مشروع الهرم عند الانتهاء منه، لكن السفارة المصرية ـ كالعادة ـ لم ترد أو تبد أى اهتمام أو تشجيع!..

ورأسل ميرل إدنجتون ـ رئيس الغرفة التجارية فى ذلك الوقت ـ يطلب حضور أحد المسئولين المصريين لحفل وضع حجر الأساس لمشروع وبناء الهرم، فلم يرد عليه أحد، ولو بالاعتذار!..

كان الاهتمام كبيرا وواضحا فى حفل وضع حجر الأساس للهرم المصرى فى المشروع السياحى، فقد حضره عدد كبير من كبار المسئولين بولاية إنديانا والحكومة الفيدرالية وجامعة إنديانا ـ إحدى أكبر عشر جامعات فى أمريكا ـ وبدأ العمل فى المشروع مع بداية ربيع عام ١٩٨٠ وكان المرجو يومئذ أن يتم الافتتاح النهائى فى ربيع سنة ١٩٨٢..

كنت فى مدينة دنڤرDENVER عاصمة ولاية كولورادوفى صيف سنة ١٩٨٢ عندما اتصلت بى تليفونيا السيدة دوروثى إدواردز وأبلغتنى أن الغرفة التجارية لمدينة بدفورد تدعونى لزيارة المشروع فى طريق عودتى إلى مصر..

أقلتنى سيارة الصديقة سوزان بولتيانو SUSAN POLITANO إلى مكان المشروع حيث كانت تنتظرنا السيدة دوروثى إدواردز ومعها ميرل إدنجتون رئيس الغرفة التجارية ومندوب جريدة التايمز ميل THE TIMES MAIL ومصور صحفى. وفى اليوم التالى كانت الجريدة تنشر على صفحتها الأولى صورتنا ـ ميرل إدنجتون وسوزان بوليتاتو وانا ـ ونحن واقفون فوق الحجارة الضخمة التى صفت كقاعدة للهرم. وتحت الصورة عنوان كبير عن زيارة محام من مصر لموقع مشروع الهرم المحلى..

كانوا قد وضعوا أساس الهرم بعمق سبعة عشر قدما ـ أى حوالى خمسة أمتار ـ وظهر فوق سطح الأرض صفان من الحجارة الضخمة، التى يماثل بعضها حجارة هرم خوفو.

وتم ترتيب لقاء بينى وبين أعضاء الغرفة التجارية لمدينة بدفورد والشخصيات الهامة فيها.. حيث دار الحديث حول إمكانية قيام وزير السياحة المصرى بتمثيل مصر والسيد رئيس الجمهورية فى حفل افتتاح الهرم..

وقد أدركت أهمية المشروع للدعاية السياحية لمصر باشتراكها رسميا فى حفل الافتتاح الذى سوف تنقله جميع محطات التليفزيون الأمريكية، وتغطيه إعلاميا جميع محطات الإذاعة وتنشر عنه كل الصحف والمجلات. ثم توافد مئات الألوف من الأمريكيين لحفل الافتتاح، مما يعطى مصر فرصة رائعة مجانية للدعاية السياحية لزيارة هرم خوفو الأكبر..

وبمجرد عودتى إلى القاهرة بدأت اتصالاتى بوزارة السياحة، حتى أتيحت لى أخيرا مقابلة السيد الوزير محمد توفيق إسماعيل ـ وزير السياحة فى ذلك الوقت ـ الذى وجدت منه تفهما كاملا لأهمية المشروع للدعاية لمصر سياحيا.. فلا شك أن نسبة كبيرة من المليون زائر ـ المتوقع توافدهم على منطقة هرم بدفورد سنويا ـ سيفكرون فى زيارة مصر لمشاهدةهرم خوفو المقام على خمسة أمثال مساحة الهرم الصغير.. بالإضافة إلى إمكانية فتح مجالات التصدير لمنتجات خان الخليلى وكرداسة لعرضها للبيع فى محلات بيع الهدايا التذكارية التى ستقام حول المشروع..

كان المشروع السياحى يضم ـ بالإضافة إلى نموذج الهرم المصرى ـ نموذجا لهرم المكسيك ولسور الصين العظيم، وقاعة صغيرة لعرض فيلم أعدته جامعة إنديانا عن خطوات العمل بالمشروع، ومتحفا صغيرا ومحلا لبيع الصور والهدايا التذكارية، ومحلا لبيع الوجبات الخفيفة والمرطبات. وفى الأرض الواسعة أقيمت شواية GRILL كبيرة من الحجارة، يمكن إعداد طعام عليها لثلاثمائة شخص مرة واحدة..

ولكن المشروع توقف ولم يتم، مما اضطر ميرل إدنجتون ـ الذى كانوا يلقبونه باسم «ملك الهرم» KING OF THE PYRAMID ـ إلى الاستقالة من منصبه احتجاجا على الصعوبات التى كانت توضع فى طريق إتمام المشروع الذى كان ـ فى ذلك الوقت ـ يحمل اسم الهرم المصرى!.



المؤلف يقف فوق أطلال قاعدة الهرم المصرى فى مشروع ميرل إدنجتون، وتظهر خلفه الرافعة (الونش) الذى امتدت إليهـا يـد التخـريب (تصوير Dave zeller)

وقد قمت بمجهود فردى بقصد إعادةالعمل فى المشروع، ونشرت الصحف فى ولاية إنديانا دعوتى للمقيمين فيها بالتبرع لإتمام الهرم المصرى يوم ٦ فبراير سنة ١٩٨٣ . ورغم استجابة الكثيرين لدعوتى، ورغم تغيير إسم المشروع، فإن الهرم المصرى لم يتم بناؤه.. بمقولة أن المتبرعين يقدمون تبرعاتهم «لإتمام الهرم المصرى» وليس للإنفاق على المشروع السياحى وسداد الديون المستحقة عليه، والتى بلغت ـ فى ذلك الوقت ـ حوالى أربعين ألف دولار.. والتى تمثل العائق الأكبر ـ من الناحية الاقتصادية ـ لاستمرار العمل بالمشروع، خاصة بعد أن امتنعت الحكومة الفيدرالية عن دفع الجزء الباقى من المبلغ الذى كان قد سبق أن قررته للمشروع، تحت ضغط ـ السناتور السابق لولاية ويسكونسين WISCONSION - السناتور وليم بروكسماير WILLIAM BROXMIRE ..

وفى شهر أكتوبر سنة نظمت السيدة دوروثى إدواردز لقاء لى مع ألان ووكر ALAN WALKER الرئيس الجديد للغرفة التجارية لمدينة بدفورد ـ حيث أن فترة الرئاسة سنة واحدة فقط..

كان الأمل الذى يراود الجميع أن مصر تستطيع أن تفعل شيئا لدفع العمل بالمشروع. وكنت أنا أيضا متفائلا وأنا أذكر لهم تلك المكالمة التليفونية الطويلة ـ التى استغرقت أكثر من ساعة وربع الساعة ـ التى تلقيتها فى دنفر قبل أسابيع من سيدة مصرية بمكتب السياحة المصرى فى نيويورك، بناء على تعليمات عاجلة من وزارة السياحة بالقاهرة ولكنها لم تخبرنى بمضمون تلك التعليمات.. وبدا لى أنها لا تعرف شيئا على الإطلاق عن سبب إجراء الاتصال العاجل بى فى ذلك الوقت المبكر ـ لوجود فارق ساعتين فى التوقيت بين دنفر ونيويورك!..

وكان علىّ أن أشرح لها المشروع السياحى وبناء الهرم المصرى فى مدينة بدفورد.. وعندما عدت إلى القاهرة فى شهر نوفمبر ١٩٨٤ لم أستطع أيضا أن أعرف سبب ذلك الاتصال التليفونى العاجل ولا مصدر الأمر به!..

كان يمكن لمصر أن تدفع بالمشروع خطوات واسعة إلى الإتمام الكامل بتقديم الهدايا التى سبق أن عرضتها ـ ووافق عليها ـ السيد وزير السياحة الأسبق محمد توفيق إسماعيل.. ونشرت عنها صحف إنديانا مع صورته وهى:

١ـ مائة ألف كارت هدية من وزارة الإعلام، على أحد الوجهين صورة هرم خوفو، وعلى الوجه الآخر معلومات تاريخية عن الهرم وتاريخ بنائه وارتفاعه ومساحة الأرض المقام عليها، وعدد الأحجار الضخمة المستعملة فى البناء وعدد العمال والورديات التى شاركت فى إقامته.. والمهم أن يذكر بوضوح أن بناءه كان قبل دخول بنى إسرائيل إلى مصر فى عهد الهكسوس ـ الأسرتين ١٥ و ١٦ ـ حتى يكون ردا كافيا على ماسبق أن أعلنه بيجينBEGIN رئيس وزراء إسرائيل ـ يوم توقيع اتفاقية كامب داڤيدDA-CAMP VID سنة ١٩٧٨ ـ من أنهم سيساعدون مصر اقتصاديا كما ساعدوها من قبل فى بناء الأهرامات.. هذه الكلمات التى أثارت ـ فى ذلك الوقت ـ تساؤلات كثيرة بين الأمريكيين والأجانب.. ولعل الكثيرين مازالوا يصدقونها لأنهم لم يجدوا من يذكر لهم حقيقة التاريخ بعد..

٢ـ يتم ترقيم تلك الكروت السياحية، ويكون للغرفة التجارية لمدينة بدفورد حق بيعها ـ مقابل دولار واحد مثلا ـ للمترددين على الموقع للمساهمة فى سداد الديون المستحقة ولاستكمال المشروع..

وتشجيعا لبيع تلك الكروت، يجرى أسبوعيا ـ أو شهريا ـ سحب على الأرقام المبيعة، ليحصل الفائزون على إحدى الجوائز الآتية:

أ ـ تذكرتان لشخصين على طائرات شركة مصر للطيران من نيويورك إلى القاهرة والعودة . وقد تقدم بعض شركات الطيران الأخرى هدايا مماثلة كدعاية لها.

ب ـ هدايا من منتجات خان الخليلى وكرداسة التى تقدمها بعض الشركات المنتجة كدعاية لها، ولفتح مجالات التصدير لمنتجاتها، لبيعها فيما بعد بالمحلات التى ستقام حول المشروع.

٣ـ إهداء نموذج من تمثال الملك خوفو ـ مصنوع بمعرفة وزارة الثقافة ـ ليوضع فى مدخل المشروع أو فى المتحف الخاص به. ويمكن تصور كيفية استقبال الأمريكيين لذلك التمثال الملكى عند وصوله إلى مطار عاصمة الولاية ثم نقله على طريق طويل إلى مكان المشروع فى احتفال كبير..

٤- إهداء قطعة صغيرة من الحجر الجيرى - من تلك الأحجار المتناثرة حول أهرامات الجيزة - التى استعملت فى بناء الهرم الأكبر، لتوضع بجانب قطعة أخرى من الحجر الذى يقام به هرم بدفورد، فى متحف المشروع.

٥ - إرسال فرق فنون شعبية لتقديم عروضها بأرض المشروع أو على مسرح قاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة إنديانا لصالح المشروع.. الذى يتكفل بمصروفات الإقامة الكاملة. ويمكن أن ينظمها مكتب السياحة المصرى فى نيويورك مع الغرفة التجارية لمدينة بدفورد..

٦- عرض أفلام مصرية يقبلها الذوق العام الأمريكى ويتذوقها أيضا، مثل أفلام فرقة رضا وغيرها..

٧- إنتاج فيلم كارتون مصرى يصور مراحل بناء الهرم الأكبر، والنظريات المختلفة التى قيلت حول طريقة رفع الأحجار إلى مكانها من البناء الضخم، ليتم عرضه فى القاعة المخصصة لذلك بالمتحف..

فبجانب النظرية القديمة عن تلال الرمل ودحرجة الكتل الضخمة من الأحجار عليها صعودا حتى قمة الهرم.. ثم نظرية الآلات الرافعة التى قال بها الدكتور فاروق عبد الوهاب فى البحث المقدم منه لمؤتمر تاريخ وعلوم الرياضة بكلية التربية الرياضية بجامعة المنيا فى يناير سنة ١٩٨٨، هناك رسومات على حوائط معبد دندرة توحى بأن المصريين القدماء إكتشفوا الكهرباء واستعملوها.. فالصورة تمثل اثنين من الكهنة يحملان شيئين شبيهين بلمبات كهربائية كبيرة، تتدلى منها خيوط سميكة مثل الكابلات المضفرة وتتصل بما يشبه المحول الكهربائى، ويستندون إلى قاعدة تشبه البطارية الكهربائية الحديثة.

وهناك صور أخرى مماثلة على ورق بردى يرجع إلى عهد الأسرة الثامنة عشرة..

ولعل إستعمال قدماء المصريين للضوء الكهربائى يفسر لنا كيف استطاع الفنانون أن يرسموا على حوائط المقابر - بتفصيلات دقيقة جدا - المنحوتة فى صخور الجبال خلال ممرات متشابكة. فالإضاءة كانت لازمة جدا للعمل، وليس هناك فى أى مقبرة أى آثار لإحتراق أو أى وجود للمبات الزيت.. وقد فكر البعض أنهم استعملوا مجموعة من المرايا العاكسة لضوء الشمس خلال تلك الممرات المتعرجة، ولكن لم يذكر المصريون القدماء شيئا عن ذلك فى كتاباتهم، كما لم تكتشف أبدا تلك المرايا الكبيرة..

ولعل ذلك يفسر أيضا ـ فى رأينا ـ كيف تم بناء هذا الهرم الأكبر وكيف تم رفع تلك الأحجار الضخمة لتستقر فوق بعضها البعض بدقة متناهية..

٨ ـ إنشاء فرع لمكتب السياحة المصرى بمنطقة المشروع ولا يلزم أن يكون هناك مكتب كامل بالشكل التقليدى، بل يكفى تواجد شخص يقوم بالاتصالات بين الجهات المختلفة..

٩ ـ دعوة بعض الصحفيين الأمريكيين ـ المهتمين بمشروع هرم بدفورد ـ مثل الصديقين كلود بارسونCLAUDE PARSONS ومارى جونسون MARY JOHNSON وآخرين من المحررين بصحف ومجلات ولاية إنديانا لزيارة مصر ـ لمدة أسبوعين مثلا ـ بتنظيم خاص من وزارتى السياحة والإعلام، فقد كتبوا كثيرا عن مصر والمشروع السياحي.. ولعلهم يكتبون أكثر بعد زيارتهم لمصر..

١٠ـ أن يحضر مسئولون مصريون حفل افتتاح المشروع، منهم وزير السياحة ومحافظ الجيزة الذى يقع هرم خوفو فى دائرة محافظته.

ومصر تدفع آلاف الدولارات لنشر دعاية عنها فى إحدى الصحف الأمريكية، لاتقرأ عادة من أحد، مثلما يحدث لصفحات الدعاية التى تنشرها البلاد المختلفة فى الصحف المصرية.. والفرصة متاحة لمصر لنشر مقالات عنها ـ بلا مقابل ـ يقرأها الناس فى صحف إنديانا، وأمريكا كلها نقلا عنها.

ولكن ـ للأسف الشديد ـ لم يتحرك أحد ـ وقبر المشروع الذى تبناه ميرل إدنجتون، وظل يحلم به حتى وافته منيته..

وعندما قمت بزيارة موقع المشروع فى صيف سنة ١٩٨٩ فوجئت بمدى التخريب الذى حدث عمدا بأرض المشروع ولحق بكل الآلات الموجودة بها، حتى دورات المياه لم يتركها المخربون!!..

وقد أدهشنى أن السيدة ليندا سليط LYNDA SLATE ـ رئيسة الغرفة التجارية وقتذاك ـ لم تتخذ أى إجراء ضد هذا التخريب، ورفضت مجرد الحديث عنه.

Pyramid promoter invites Proxmire

By Doug Zehr
H-T Staff Writer

Egyptian attorney Adel Sarkiss is determined to build a pyramid in Bedford and he wants former Wisconsin senator William Proxmire to be there for the grand opening.

"I hope he will be there on opening day," Sarkiss said of Proxmire during a trip to southern Indiana Thursday. "Of course he must come."

Proxmire gave his "Golden Fleece Award" in 1981 to the federal Economic Development Administration for its grant to the original Bedford pyramid project. That plan — a $2.7 million proposal to build a one-fifth scale model of Egypt's Great Pyramid — flopped in 1982 when funds dried up. The plan, announced in the mid-1970s, was to include a campground, museum, quarrying exhibits and picnic facilities in a 15-

see **Pyramid**, page **A11**



Staff photo by John Terhune

Adel Sarkiss

ما نشرته صحيفة الهيرالد تايمز لإثارة التحدى بين المؤلف والسناتور بروكسماير

وقد حاولت ـ مع مجموعة من الأصدقاء المصريين ـ إحياء مشروع الهرم مرة أخرى وبشكل آخر، بأن يقام هرم ضخم بنفس مساحة وارتفاع هرم خوفو، على أن يكون مفرغا من الداخل بحيث تقام حول منتصفه أدوار حلزونية ـ شبيهة بتلك المقامة فى متحف الأطفال فى إنديانابوليس ـ وتقام على جانبيها قاعات عرض ومحلات تجارية ومتحف مصرى ومطاعم تقدم الوجبات المصرية..

وقد لاقت الفكرة قبولا حسنا لدى الأمريكيين عندما عرضتها عليهم فى حفل الإستقبال الذى أقامته لى الغرفة التجارية لمدينة بدفورد برئاسة السيدة ليندا سليط يوم ١١ يونية سنة ١٩٨٩، وضم عددا كبيرا من المسئولين ومندوبى الصحف والإذاعة..

وخلال الحفل سألنى المسئول عن الطرق بولاية إنديانا عما إذا كان ضروريا أن يتم توسيع الطرق الرئيسيةHIGH WAYS المؤدية إلى مدينة بدفورد تحسبا لزيادة عدد السيارات القادمة إليها بالزائرين.. كما سألنى المسئول عن مطار بدفورد أيضا عن احتمالات توسيع المطار ليستقبل طائرات أكبر وأكثر عددا..

وعندما كنت مع أصدقائى أسرة ولترسيرWALTER SARE نشاهد عرض الزهور بمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال ـ يوم ٤ يوليو ـ كان عدد كبير من الأمريكيين يحيوننى ويعبرون عن سعادتهم لأنهم إلتقوا بمن سبق أن شاهدوا صورته فى الصحف وعلى شاشات التليفزيون، كما عبروا عن تشجيعهم لإقامة الهرم الكبير..

وعندما وصل أصدقائى ـ أفراد المجموعة المصرية ـ إلى بدفورد أقيم لهم حفل استقبال آخر، حيث عرضنا نموذجا مصغرا لمشروع الهرم من الداخل والخارج. وقد اهتمت بأخباره وسائل الإعلام جميعها.

وقد اتخذ الترحيب بالمجموعة المصرية أشكالا مختلفة.. فالفندق الذى أقمنا فيه ـ واسمه ستون هينج STONE HENGE LODGE ـ تقاضى أجرا مخفضا مقابل الإقامة، بل كان يرفض قبول ثمن المشروبات التى نطلبها لضيوفنا. وقد دبت الحياة فى الفندق، وتردد عيه الكثيرون لتناول الوجبات المختلفة طوال فترة إقامتنا فيه..

وقد وضعت سيارة كبيرة ـ ميكروباص ـ تحت تصرفنا بلا مقابل أيضا طوال فترة تواجدنا فى بدفورد، هدية من أحد معارض السيارات. بل إن المطعم الذى إعتدنا أن نتناول فيها طعام الغذاء ـ الساعة السادسة مساء يوميا -كان يتقاضى سعرا مخفضا أيضا خصيصا للضيوف المصريين..

وقد دعانا روبرت أرمسترونج ROBERT ARMSTRONG ـ وهو مهندس كهربائى ـ إلى رحلة مثيرة فى نهر يجرى تحت الأرض فى منطقة جنوبى مدينة بدفورد. وعندما دعوت بعض الأصدقاء الأمريكيين بعد ذلك رفضوا أن يتقاضوا منى رسم الدخول تنفيذا لتعليمات روبرت أرمسترونج..

وقد حضر عمدة المدينة جون وليامز MAYOR JOHN WILLIAMS إجتماعنا الأخير مع الغرفة التجارية حيث قدم لكل منا شهادة بمنحه لقب مواطن شرفHONORARY CITIZEN لمدينة بدفورد.

والمشروع متوقف الآن بسبب التمويل، رغم أن عددا كبيرا يدرك أهميته بالنسبة للمنطقة كلها.. يقول الصديق داڤيد سيرDAVID SARE أن منطقة مشروع الهرم تقع فى منتصف المسافة بين مدينتى بلومنجتون BLOOMINGTON وبدفورد، ومن شأن إتمامه أن يجعلهما معا مدينة واحدة كبرى بكل ماتحمله هذه الكلمة من تنمية إقتصادية، وايجاد فرص عمل بلا حدود لعدد هائل من الناس. مما قد يلزم معه إنشاء مطار جديد كبير بجانب مطارى المدينتين الحاليين..

ويقول الصديق كلود بارسونCLAUDE PARSONS ـ الكاتب الصحفى فى THE TIMES MALL أنه لو تم بناء الهرم فى بدفورد، ستكون السياحة الداخلية إلى بلومنجتون وبدفورد بلا حدود. وستساعد على إيجاد تقارب أكثر بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية.. ويزداد السفر بين البلدين، وتزدهر صناعة الحجر الجيرى LIME STONE فى بدفورد، وكذلك السياحة الخارجية إلى الهرم الأكبر فى مصر..

وقد حاولت بعض الصحف الأمريكية إثارة نوع من التحدى بينى وبين السناتور وليام بروكسماير SENATOR WILLIAM BROXMIRE بنشر إعلانى عن دعوته للحضور يوم إفتتاح المشروع.

وقبل عودتى من أمريكا فى تلك السنة، التقى بى رجل ـ قال إن إسمه چورج أوينGEORGE OWEN ـ حيث كنت أقيم مع الصديقين ولتر وهيلين سير فى منزلهما الكائن فى الغابة. وعرض نقل مشروع الهرم ليكون ضمن مشروعه الضخم على ثلاثة آلاف فدان فى ولاية كنتاكىKENTUCKY المجاورة لولاية إنديانا، حيث لاتثور مشكلة التمويل إطلاقا.. وأنه يحتاج لمدة سنتين تقريبا حتى يحصل مشروعه على الأرض الواسعة، لأن ذلك يحتاج إلى استصدار قانون من المجلس المحلى للولاية..

وقالت هيلين ـ التى ساورها الشك ـ إنها تخشى أن يكون هدف هذا الرجل تعطيل مشروع بناء الهرم حتى يتم مشروعه الضخم فى الولاية المجاورة، أو القضاء على فكرته نهائيا بمرور الزمن، الذى يبدأ بعامين!!..

وفى صيف ١٩٩١ وجدت أننى لست وحدى الذى يعيش على أمل أن يرتفع فى سماء ولاية إنديانا هرم ضخم، يمكن للقادمين على الطرق الرئيسية أن يشاهدوه عن بعد ـ يماثل هرم خوفو حجما ـ ويزيد روابط الصداقة بين الشعبين المصرى والأمريكى توثقا ولعل هذا هو ما يدفع البعض إلى محاربة المشروع..

وقبل عودتى لمصر فى شهر سبتمبر ١٩٩١، أجرت الصحفية القديرة مارى جونسون حديثا معى عن الهرم الكبير وقد أدخلت على المشروع عدة تعديلات بناء على ما ورد لى من بعض المهتمين به اقتصاديا ـ ومنهم الصديق إد إروتسED EROTAS من أنديانابوليس ـ الذى طالب بحجز مكان له داخل الهرم يقيم فيه فندقا..

وقد حددت المشروع التعليمى ليشغل الجزء العلوى تحت قمة الهرم، بدار سينما ١٨٠ درجة لعرض آثار مصر كلها، ثم متحف مصرى يعرض الحضارة المصرية القديمة بأسلوب علمى ـ وأن إيراد ذلك المشروع التعليمى ـ الذى لايخضع للضريبة ـ يصرف منه على منح دراسية للطلبة المصريين والأمريكيين معا، لدراسة علم المصريات فى كل من مصر وأمريكا بالتبادل، بعد خصم المصروفات الإدارية وتكاليف صيانة المشروع.

ويقوم بعض رجال المال من ولاية إنديانا باعادة دراسة المشروع فى ضوء التعديلات الجوهرية التى أدخلتها عليه..

الفصل الحادى والأربعون
الجمال يوحى بنظم الشعر

الجمال يوحى بنظم الشعر

لم يخطر ببالى قط أننى سأخط بقلمى بيتا واحدا من الشعر باللغة الإنجليزية.. حقيقة أننى - خلال فترة مبكرة جدا من حياتى - كتبت شعرا باللغة العربية، ولكن ذلك لم يدم طويلا..

وفى زيارتى لولاية كولورادو سنة ١٩٨٢، كان جمال الطبيعة فى كل مكان يدفعنى إلى ترديد كلمتى «سبحان الله».. ولم أكن أدرى أنه سيدفعنى إلى كتابة الشعر.. فإجادتى للغة الإنجليزية قراءة وكتابة تفوق كثيرا قدرتى على التحدث بها، نظرا لعدم استعمالها لفترة طويلة جدا. لكننى كنت أداوم القراءة والكتابة.. وفى زياراتى للولايات المتحدة الأمريكية كنت أحتاج لعدة أيام لأستعيد قدرتى على التفكير والحديث بلغة واحدة.

وكتبت أول قصيدة باللغة الإنجليزية، وكما يقول المثل المصرى.. «أول ما شطح نطح»! فأرسلت بها إلى المغنى الأمريكى الشهير كينى روجرز KENNY ROGERS، ولكنه أعادها إلى معتذرا بأنه لا يستطيع أن يقبل شعرا إلا من خلال إحدى المجلات المتخصصة فى نشره، طبقا للنظام المتبع فى أمريكا..

ولعل اتباع هذا النظام فى مصر يحقق ما نصبو إليه من الارتفاع بمستوى الأغنية.. فإلزام الفنانين والملحنين باختيار كلمات الأغانى من قصائد وأشعار منشورة فى مجلة متخصصة، مع رقابة إدارة تحرير المجلة على ما ينشر بها، كفيل بأن تستبعد كلية جميع الأغنيات والكلمات الهابطة. بالإضافة إلى اتساع مجال الإختيار للكلمات والمعانى المناسبة..

وفى عام ١٩٨٤ بدأت اتصالاتى بموسوعة الشعر الأمريكى AMERICAN POETRY ANTHOLOGY فى سانتا كروز SANTA CRUZ بولاية كاليفورنيا، حيث أبلغونى بشروط النشر ومنها أن تكون القصيدة فى حدود العشرين سطرا..

وفى ربيع عام ١٩٨٥ نشرت لى أول قصيدة فى المجلد الرابع رقم ١ بعنوان ACROSS THE OCEANS أى «عبر المحيطات»..

وقد تأثرت فى كتابتى للشعر باللغة الإنجليزية بشكل القصيدة العربية - خاصة فى الرباعيات - فكل سطر - بيت - ينقسم إلى شطرين، مع التزام بالقافية لكل بيتين متتاليين، بتوحيد الحروف الأخيرة منهما مع الحركة السابقة عليها، وأيضا الالتزام بالإيقاع الداخلى لموسيقى البيت.

1- ACROSS THE OCEANS

(عبر المحيطات)

WHENEVER I FEEL — SO VERY LONELY
I MISS THE COMPANY — OF JUST YOU ONLY
LONGING TO HOLD — AND TOUCH YOUR HAND
COVERS THE DISTANCE — HOW FAR THY LAND
THE GRAINS OF SAND — MULTIPLIED BY STARS
CAN NEVER BE COUNTED — OR PUT IN JARS
SO BE MY LONGING — TO YOU MY DEAR
HOW FAR APART — MY HEART IS NEAR
THE BOND OF LOVE — TWO PEOPLE CAN TIE
WILL EVER GO STRONGER — AND NEVER WILL DIE
THE MOUNTAINS, THE OCEANS — THE DESERT 'S HEAT
HOW POWERFUL THEY ARE — CAN 'T US DEFEAT
WHENEVER THE DAYS — ARE DOOM AND DARK
YOUR LOVE IS THERE — FOR ME AN ARK
MY LONGING TO YOU — IS A TENDER STREAM
OR MUST IT BE — A WILD LOUD SCREAM
ALL WHAT I NEED — IS NOT YOUR PITY
BUT JUST A HURRY — TO DENVER CITY

MOUNTAINS ARE HIGH AND GREEN IN THE VALLEY
HOW PRETTY THEY ARE WITH THE FACE OF KELLY

ونشرت القصيدة الثانية فيI NEED YOU في المجلد السابع رقم ٤ لسنة ١٩٨٧ .

2 - 1 NEED YOU

(أنا أحتاج إليك)

TILL THE LONGEST RIVERS ALL, RUN DRY
TILL THE SHINING SUN FALLS FROM THE SKY
TILL THE LIFE ON EARTH IS CEASED AND THROUGH
I'LL BE FOR ALWAYS BADLY NEEDING YOU
TILL THE TWINKLING STARS ALL, BURN OUT
TILL THE ENTIRE EARTH FACES A DROGHT
TILL EVERY FLOWER HAS DRIED AND BLOWN AWAY
I'LL NEED YOU KELLY FOR EVERY SINGLE DAY
JUST AS A RING IS ROUND AND HAS NO END
SO BE MY LOVE FOR YOU MY FRIEND
THOUGH AT TIMES WE ARE OCEANS AND SEAS APART
YOU ALWAYS WILL HAVE WITH YOU MY HEART
MY LOVE FOR YOU IS ENTIRE AND COMPLETE
AND WITH THAT STRENGTH NOTHING CAN COM PETE
NO MATTER HOW FAR AND WIDE THAT SEPARATES US THE LAND
I'LL REACH OUT TO YOU MY TENDER LOVING HAND

وفى عام ١٩٨٨ نشرت قصيدتى الثالثة THE FLAME ، التى رشحت لإحدى الجوائز فى مهرجان الشعر فى نيوأورليانز NEW ORLEANS سنة ٨٧ لأنها تمثل تطورا، حيث إشتملت القصيدة على قصة قصيرة. وقد نشرت فى المجلد السابع رقم٤ .

3- THE FLAME

(الشعلة)

THE VISIT HAS ENDED AND THE TRIP BEGAN TO GO
FROM INDIANAPOLIS AIRPORT TO O'HARE CHICAGO
WE HAVE MET AT A GATE WHICH IS CALLED THE B-EIGHT
STOPPED THE FIGHT TO A PLANE AS WE COULD THEN, SIT AND WAIT
HER GREY BLUE EYES WERE FULL WITH PAIN
FOR THE LOSS OF A MAN SHE HAD LOVED IN VAIN
HE ACTED AND TALKED JUST CRUEL AS A MAALE
SHE COULD'NT, DO THE SAME AS SHE IS, A HUMAN FEMALE
WE WERE NEIGHBORS SITTING IN THE PLANE
OUR SHARING THOUGHTS WERE RUNNING IN ONE LANE
SHE IS UNDERSTANDING LIBERATED, BUT SHY
THE WORDS ON HER LIPS WERE SWEET AS APPLE-PIE
SHE DID LIKED TO FEEL MY FINGERS THROUGH HER HAIR
SHE IS LONGING TO A MAN LOVING TRUE AND TAKING CARE
HER FACE LAY SILENTLY AND QUIETLY ON MY SHOULDER
MY ARM WRAPPED AROUND THE PRETTY LADY OF BOULDER
I WILL MISS YOU AMY SO MUCH MORE MY DEAR
WERE THE WORDS I WHISPERED SO GENTLY IN HER EAR

HER HANDS PRESSED THE ANSWER AND HER LIPS DID THE SAME
IN THE PLACE OF MY HEART SHE HAS WARMLY PUT ON A FLAME

وفى عام ١٩٨٩ نشرت لى القصيدة الرابعة THE TROPIC HEAT

فى المجلد التاسع رقم ٤

4 - THE TROPIC HEAT

(حرارة خط الاستواء)

FOR LONG YEARS ANS YEARS MANY TIMES LOVE WAS CALLING
BUT MY HEART REFUSED TO ANWER AFRAID OF SUFFERING PAIN AND LONGINC
MANY EYES AROUND WERE THERE ALWAYS TRYINGIIHARD ATTRACTING ME
BUT YOUR EYES WERE THE ONLY COULD DO THAT ALL TO ME
YOUR FACE IS PRETTY ROSY CHEE KED VERY SOFT AND TENDER AND SO SWEET
NO WOMAN ELSE CAN EVER HAS SUCH A BRIGHT ONE TO COMPEETE
WE WERE WALKING JUST LIKE DANCING CHEERFULLY HAND IN MY HAND
LET MY DREAMS GO SO HIGH VERY FAR ALWAYS TO THY LAND
YOUR EYEs WERE SPARKLING SIIENTLY .SAYING HOW MUCH YOU ARE TALANTED AND SMART
WITH THE SHINING TROPIC HEAT . YOU HAVE GENTLY, FILLED UP MY HEART.

وكانت قصيدتى الخامسة LADY OF DERRY آخر ما نشر لى فى موسوعة الشعر الأمريكية A.P.A وفى عام ١٩٩٠ بالمجلد العاشر رقم ١

5 - LADY OF DERRY

سيدة ديري (مدينة فى شمال ايرلندا)

HOW MUCH I AM DEVOTED TO YOU
MY CHA RMING BELOVED, LADY OF DERRY
YOUR LIPS HAVE TASTED, SUGARY TO ME
AS SWEET OF HONEY - SWEET STRAWBERRY
YOUR WARM SWEET, LOVELY KISS
WAS'NT INEFFECTUAL, OR ALL IN VAIN
WILL REMIND US, BOTH FOR GOOD
THAT WE'LL EVER ,EVER MEET AGAIN

THE SILVER BELLS, WERE JUST RINGING
GENTLY THROUCH, YOUR CRIMSON LIPS
WHILE THE ARMS, AND THE HAND'S
WERE RUSHING AROUND, OVER THE HIPS

HOW MANY TIMES, I HAVE ASKED
DEIRDRE ,PLEASE KEEP IN TOUCH
OH MY DEAR, DEAREST DEAR
I DO MISS YOU, SO TOO MUGH

MY HANDS ARE ALWAYS, STRETCHED UPLIFTED
ASKING YOU GENTLY, PLEASE DO COME
TO WHERE FOR CERTAIN, YOU WILL FIND
MY TENDER LOVING, HANDS IN WELCOME

Watermark Press

5 Gwynns Mill Court • Post Office Box 627 • Owings Mills, Maryland 21117 • (301) 356-2000

Adel Sarkiss
946 E Chambers Pike
Bloomington, IN 47408

Regarding Your Poem Beginning: "The face is pretty the meaning . . ."

Dear Adel,

The judges have just completed reading and discussing your poem, and I'm pleased to tell you that you have just been elected as a Semi-finalist in our current $5000 Amateur Poetry Contest . . . your poem will automatically be entered into final competition in December, 1991. . . and you now have an excellent chance of becoming one of two $500 Grand Prize Winners, or one of eighty $50 First Prize Winners -- all to be awarded this year.

But Adel . . . that's just the beginning!

Because of your considerable talent, Watermark Press also wishes to <u>publish your poem</u> in its forthcoming deluxe hardbound anthology . . .

مقدمة خطـــاب دار ووتـر مـارك للنشـر عـن اختيـار المحلفين للمؤلف

للترشيح للحصول على جائزة الشعر التى تجرى فى ديسمبر سنة ١٩٩١

وفي سنة ١٩٩١ وصلنى خطاب من دار ووترمارك للنشر WATERMARK PRESS بمدينة أوينجز ميلز OWINGS MILLS بولاية مريلاند MARYLAND، تقول فيه أن لجنة التحكيم قد أجازت قصيدتى A BODY TALK فى الدور قبل النهائي، وبذلك أصبحت مرشحة لإحدى الجوائز المالية فى مهرجان الشعر الذى سيعقد في شهر ديسمبر سنة ١٩٩١ ، وأنه يسعدها أن تحصل على موافقتى بنشرها فى المجلد الذى سيصدر بعد ذلك.

كما وصلنى خطاب من الجمعية الدولية للشعراء INTERNATIONAL SOCIE-TY OF POETS بتوقيع إليزابيث بيرنز ELIZABETH BARNES القائمة بأعمال رئيس الجمعية، تطلب منى أن أتخيل اجتماعا للشعراء والأصدقاء والناشرين والإعلام فى أهم مدينة فى العالم.. ينتظرون اعلان اسم الفائز بجائزة شاعر عام ١٩٩١ وقدرها خمسة آلاف دولار وعقد نشر كتاب وأنه قد يكون... أنا!!

ولا أدرى لماذا رفض عقلي أن يطلق العنان لخيالي استجابة لهذا الخطاب. وإن كنت قد أرسلت البيانات الشخصية التى طلبوها. والتى عرفوا منها أننى غير أمريكى، ولذلك رفعوا اسمى من بين المرشحين للجائزة لتعارض ذلك مع القانون..

ولكتابة هذه القصيدة واقعة طريفة.. فقد كنت أتناول طعام الغذاء في مطعم مبنى أيجنمان بالمدينة الجامعية لجامعة إنديانا فى أحد أيام صيف سنة ١٩٨٧ برفقة الدكتورة پوليت كرم وبعض زملائها في دراسة الدكتوراة في الأمريكيين وغيرهم.. وانضم إلى مائدتنا أستاذ زائر من الهند.

قدمتنى الدكتورة پوليت للمجموعة قائلة أننى محام بالمحكمة العليا فى مصر وأننى كاتب وأنظم الشعر باللغة الانجليزية... وبعد فترة سألنى الأستاذ الزائر من الهند.

= كيف تنظم الشعر باللغة الانجليزية وحديثك بهذه اللغة لا يوحى لى بإجادتك التامة لها؟!..

قلت

= إننى أكتب خيرا مما أتحدث، لأن الحديث بلغة ما يحتاج إلى ممارسة الحديث بها دائما.. وأنا لا أتحدث باللغة الانجليزية إلا عندما أزور أمريكا كل سنتين أو ثلاث سنوات.. أو عندما ألتقى بشخص يتحدث بها.. ولكننى أوالى القراءة والكتابة باللغة الإنجليزية..

ونظر الأستاذ الزائر من الهند نحوى لحظات، قبل أن يدير وجهه عنى.. وبدا لى أنه لم يقتنع بإجابتى..

ولا أنكر أن تصرفه ذاك قد ضايقنى وجعلنى أنفصل بعقلى عن متابعة الحديث المتبادل عبر مائدة الطعام.. وأخذت عيناى تجوسان فيما حولى.. واجتذبتهما فتاة تجلس إلى المائدة المجاورة تتحدث مع زميلة لها.. كانت تشير بيديها وتحرك رأسها وكتفيها بل وجسدها، كأنما لتؤكد معني ما تقول.. وطالت مراقبتى للفتاة ثم أمسكت بالقلم وبدأت أكتب على أحد المناديل الورقية..

وبعد فترة طلبت من زملاء المائدة ـ ومنهم الأستاذ الزائر فى الهند ـ أن يراقبوا تلك الفتاة التى تجلس إلى المائدة المجاورة وكيف تتحدث.. ثم قلت لهم..

= والآن إسمعوا ما كتبته عنها..

وقرأت لهم عدة أبيات من القصيدة التى كتبتها حينذاك، قبل صياغتها فى صورتها النهائية..

أعرب البعض عن استحسانهم لما كتبت ونظرت نحو الأستاذ الزائر فى الهند، الذى أدرك أننى أستحثه ليقول رأيه.. فابتسم قائلا..

= لقد جعلتنى أتحقق من صدق تبريرك للفارق بين قدرتك على الحديث باللغة الانجليزية وبين نظم الشعر بها.

وقد نشرت القصيدة فى مجلد عنوانه QUIET MOMENTS عام ١٩٩٢ (ص ٢٢٢)

6 - A BODY TALK

(لغة الجسد)

THE FACE IS PRETTY THE EYES ARE WIDE
THE MEANINGS IN THERE ARE ROLLING AS A TIDE
THE SMILE IS TWINKLING ALWAYS ON HER LIPS
THE HANDS, THE SHOULDERS ARE TALKING SO THE HIPS
THE HAIR IS SO LOUSY BUT SCREAMING FOR MORE
HER BODY WHEN TALKING IS HISSING IN A ROAR

THE WAIST IS DANCING CALLING BADLY FOR A HUG
HER LOVE IS WAITING TO BE FIERCELY GIVEN ON A RUG
THE MOVEMENTS, THE VOICE ARE FULL WITH JOY
HOW MUCH I WONDER WHO IS LUCKY. TO BE HER BOY
HER CRIMSON LIPS DO DESERVE A HOT LONG, LONGER KISS
THE WOMAN IS THERE SO DONT, DON,T MISS

وقد تلقيت خطابين من موسوعة الشعر الأمريكي AMERICAN POETRY ANTHOLOGY بقبول نشر القصيدتين LOVE FROM THE EAST (حب من الشرق) و THE CAT'S PAW (مخلب القط)، الأولى في المجلد العاشر رقم ٣ الذى يصدر في شهر ديسمبر سنة ١٩٩٠، والثانية في المجلد العاشر رقم ٤ الذى يصدر في شهر ابريل سنة ١٩٩١.

7 - LOVE FROM THE EAST

(حب من الشرق)

My heart can say
so gently hi
My dreams may go
so veey high
Someone I love
must be loved by
Before I lave
and say goodbye

Joan Rivers... In Person

International Society of Poets

VIP 18-110

Adel Sarkiss
946 E. Chambers Pike
Bloomington, IN 47408-9706

A hush suddenly falls over the audience . . . just imagine . . . an international gathering of a thousand poets . . . publishers, editors . . . your friends and family . . . the media . . . all waiting expectantly for the announcement. Finally it comes . . .

"Ladies and gentlemen, and fellow poets . . . our 1992 Poet of the Year, and winner of a $5000.00 Grand Prize, and a book publishing contract is . . .

Adel Sarkiss"

We're already familiar with your work, Adel, and you know . . .
it could happen just that way.

مقدمة خطاب الجمعية الدولية للشعراء

The sun shines where

I come from the east

The eyes when met

glimered in a feast

The face is pretty

and the eyes are blue

I am stuck to them

as if with a glue

The touch is tender

and the words are gentle

The woman is there

in a form of an angel

We say, we think

and feel the same

My love to you

Grows more with aim

The meaning of love

we share between

AM I a king

you are the Queen

Can all the things

our's work out

Oh, Backy my dear

How much I doubt

Could I not build

a pretty new ROME

Just once before

I go far Home

Your love is rooted

deep in my soul

My heart and mind

you own them all

8- THE CAT'S PAW

(مخلب القط)

She whispered softly in my ear

to be there in a certain time

To enjoy her love, for one night

without paying even a dime

Her own people will arrange

for her marriage to someone

But a stranger is so needed

To be there the first one

It is said that the devil

will be there, in that night

So the husband must escape

And leave the stranger alone to fight

To JAMILAH. I have been

the beloved one, she was waiting for

To her tribe, I have been

the cat's pow. they were looking for

Next morning with a tearful smile

I was offered, a tiny souvenir

On condition, to go far

and never come, back so near

وقد نظمت عدة قصائد أخرى، لم أتقدم بها للنشر، أهمها:

9 - A Lovely Hurricane (الإعصار المثير)

10 - The magic kiss. (القبلة السحرية)

11 - the visit (الزيارة)

12 - I wonder (إني أتساءل)

13 - Lost in Longmont. (فقد في لونجمونت)

(مدينة في ولاية كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية)

14 - La femme de Monastir(فتاة المنستير (مدينة في تونس)

15 - pearl of Bahrain (لؤلؤة البحرين)

الفصل الثانى والأربعون

الأباش مازالوا يعبدون آمون رع

الأباش مازالوا يعبدون آمون رع

دعانا الصديقان أيروين ماكلوك McCULLOCK ولولا ويكس LOLA WEEKS من مدينة فايرستون FIRESTONE بولاية كولوارد والى رحلة لجبال روكى ROCKY MOUNTAINS حيث زرنا مجموعة من الجبال الشهيرة. وعلى قمة أحدها كان قبر بافلو بيل BUFFALO BILL وهو أحد الكشافين الأمريكيين الذين كان لهم دور بارز فى تشجيع الهجرة الى الغرب وتدعيمها واستقرارها.

وقد توجهنا ـ فى رحلتنا تلك ـ الى مدينة صغيرة تقع بين الجبال اسمها إيداهو سبرنجز IDAHO SPRINGS حيث تناولنا الطعام فى أحد المطاعم المكسيكية. ولم تكن ملامح فتاة المطعم المكسيكية وبشرتها الخمرية الجميلة وحدها هى التى نقلتنى من سلسلة جبال روكى إلى وطنى مصر.. لقد قدمت لنا أولا طبقا صغيرا به جبنة بيضاء سائلة، بدت فيها قطع صغيرة من الطماطم والفلفل الأخضر، ومعه قطع من خبز البتاو BETA BREAD، المماثل للخبز الريفى فى مصر.. وعندما قدمت لنا الوجبات الثلاث. المعدة ذلك اليوم، فوجئنا بالفول المدمس BENTOBEAN قاسما مشتركا يتوسد تحت كل نوع من الخضار واللحم في الوجبات الثلاث..

قلت لفتاة المطعم المكسيكية ذات الملامح المصرية

= يبدو لى أن العلاقة بين مصر والمكسيك لا تقف عند حدود هرم المكسيك الشهير.. فالخبز البتاو والجبن المختلط بقطع الطماطم والفلفل الأخضر، ثم الفول المدمس.. وهو من البقول التي يجب أن يتم حفظها بطريقة خاصة ـ وهى كمره تحت الأرض لفترة معينة.. لا تعرف كما يبدو ـ الا فى بلدين هما مصر والمكسيك.

قالت فتاة المطعم المكسيكية أنها قد سمعت مثل هذا الكلام أيضا فى بلدها

قلت:

= إن هذا يؤكد وجود صلة أقوى بين بلدينا، قد ندركها إذا ما تبادلت جامعات مصر والمكسيك زيارات المتخصصين فى علم الاجتماع..

كان المصريون القدماء – في عهد بناة الأهرام– يعتقدون أن إله الشمس «رع» هو خالق الملوك الأول، وأنه يهبهم الحياة والقوة والجلد . ومن ثم جرى فى عروقهم «ماءرع» .. ذلك الماء الذى هو ذهب الآلهة وسائل الشمس المضئ. ومصدر الحياة والقوة والصلابة. وما زلنا نستعمل فى لغتنا وصف أشعة الشمس الذهبية.

وقد كان الذهب هو نفسه «الأم الكبرى» أو البقرة المقدسة «هاتور» ، ولذلك اقترنت كلمة «نوب»– أى الذهب فى اللغة المصرية القديمة– بهذا الرمز المقدس. البقرة هاتور بصفة خاصة– وكان الدليل على قدسيتها عقدا من القطع الذهبية «نوب» ومنه اشتقت كلمة «النوبة» ، وهو الإقليم الذى استخرج منه الذهب أول الأمر، والذى كان يعد الإقليم الخاص بالبقرة المقدسة «هاتور» .

وقد أرسلت البعوث لجمع الذهب، لما آمن ملوك مصر الأقدمون بأن عودة الحياة إليهم بعد الموت– وما يتبع ذلك من خلودهم وارتفاعهم إلى حيث مقام الآلهة– يتطلب منهم أن يعدوا له من الوسائل المادية ما يوصلهم إلى هذه الغاية. وقد أسرف بعض الملوك فى ذلك إسرافا مغالىْ فيه.. ولعل ما وجد فى مقبرة الملك توت عنخ آمون من كميات الذهب دليل على ذلك..

وقد أصبح البحث عن الذهب سياسة قومية متبعة، وكان ذلك هو العامل الأكبر فى نشر الحضارة المصرية في أنحاء العالم.. وقد وجدت صور للسفن التى كانت ضمن الأسطول المصرى الذى أرسلته الملكة حتشبسوت– من ملوك الأسرة الثامنة عشرة من سنة ١٥٨٠– ١٣٥٠ق.م– للحصول على ما يلزم لمعبدها الشهير فى الدير البحرى.

كانت حتشبسوت أول امرأة ترتقى عرش فراعنة مصر، وحكمت لأكثر من عشرين سنة –١٥٠١– ١٤٧٩ق م– ووصلت بجيوش مصر إلى العراق شرقا وإلى بلاد بونت– الصومال–جنوبا.

قام والدها– تحتمس الأول– بتزويجها من تحتمس الثانى الذى كان صغيراً وضعيفاً. فتسلمت حتشبسوت مهام السلطات الفعلية وبعد وفاة زوجها، جرى تعيين فرعون جديد في الرابعة من عمره، وبقيت حتشبسوت ملكة بالوصاية.. ولكنها استطاعت استصدار فتوى من رئيس كهنة آمون، أصبحت بموجبها أول امرأة فرعون فى تاريخ مصر..

وقام من جاء بعدها- تحتمس الثالث- بتدمير وتحطيم كل آثارها المبنية وطمس جميع النصوص والنقوش والمعالم المتعلقة بها ماعدا مسلتها الشهيرة بمعبد الكرنك، التى لم يستطع تحطيمها لكونها رمزاً مقدسا، فاكتفى ببناء سور مرتفع حولها ليحجبها، مما ساعد على حفظها فى حالة جيدة جداً..

وقد اتجه المصريون شرقا عبر البحر الأحمر.. وتوقفوا فى جزيرة البحرين- بعد إبحارهم بمحاذاة شاطئ شبه جزيرة العرب- حيث تركوا آثارهم، ثم أبحروا بمحاذاة ساحل الهند.

وفى جنوب الهند دلائل من علم الآثار- قاطعة الدلالة- على أن أقدم حضارات الهند قد جاء بها رجال كانوا يبحثون عن الذهب.. وأن أقدم مبانى حجرية توجد فى بعض جهات حيدر آباد وميسور وغيرهما، هى دائماً وثيقة الارتباط بمناجم الذهب الواسعة التى لم يكن أحد يتوقع وجودها فى تلك الأمكنة، قبل أن تكشف عنها الأبحاث الأثرية..

ولعل ذلك يفسر لنا ما قيل عن الذهب فى الهند القديمة، من أن الذهب خالد لا يفنى وأنه ولد من النار (عندما يستخلص من الشوائب)، وأنه يجدد نشاط الجنس البشرى ويهب مالكه الحياة الطويلة، وأن الذهب هو والنار والضوء والخلود شئ واحد، وأن الشمس هى التى وهبت الذهب لونه الجميل وبريقه الخلاب فالذهب يضئ بما يستمده من نور إله الشمس، ثم أصبح مصدر الحياة كلها..

ولعل ذلك يفسر أيضاً تقديس البقرة فى الهند. الذى مازال سائداً حتى الآن بين طائفة الهندوس، مع المغالاة الشديدة فيه..

وقد توغل المصريون القدماء شرقا بمحاذاة سواحل ماليزيا والجزر الأندونيسية وشمال استراليا.. ثم عبروا المحيط الهادى- الباسيفيكى- حتى وصلوا إلى شواطئ أمريكا الجنوبية والوسطى، حيث أقاموا الحضارات المعروفة هناك باسم حضارات الأزتيك AZTIC والإنكا INCA والمايا MAYA التى كانت نشأتها فى وقت يقارب فترة حكم الأسرة الثامنة عشر فى مصر (١٥٨٠- ١٣٥٠ ق م).

وفى بعض معابد المايا، نحت البناءون شكل رءوس الأفيال، والتى لا يمكن أن يعرفها شعب المايا نفسه، إلا إذا كانت قد وصفت لهم بواسطة مسافرين جاءوا إليهم عبر المحيط الباسيفيكي..

وقد حاول البعض أن ينسب القيام بهذه الرحلات البعيدة إلى اليهود والفينيقيين، رغم أن المعلوم تماما أن اليهود فى تلك الفترة كانوا مرتبطين بالأرض التى هاجروا إليها منذ دخلها يوسف سنة ١٦٥٥ ق.م أيام حكم الهكسوس والإقامة بها لمدة ٤٣٠ سنة فى شرق دلتا النيل، حتى خروجهم من أرض مصر سنة ١٢٢٥ ق . م ثم عاشوا أربعين سنة فى التيه على أرض سيناء حتى عام ١١٨٥ ق . م ثم صارعوا البقاء بين القبائل على أرض فلسطين حتى استطاعوا أن يجدوا مكانًا أنشأوا عليه أول مملكة عبرانية سنة ١٠٢٥ ق م، (راجع هوامش الفصل الثلاثين) . وأن الفينيقيين كانوا يعملون بالتجارة، أى أن تعاملهم كان مع مدن تجارية مزدحمة، وليس مع المجهول. كما لم يكن لديهم الدافع القومى والدينى للبحث عن الذهب. كما كان يستحيل- فى ذلك الوقت- إتمام الرحلة- كما تخيلوها- حول القارة الأفريقية ورأس الرجاء الصالح، عبر الدوامات الهائلة بخليج غرب أفريقيا.. والأهم من ذلك كله أن الفينيقيين لم يبدأوا رحلاتهم التجارية إلى غرب أفريقيا إلا بعد إقامة دولتهم فى قرطاجنة على أرض تونس سنة ٨٠٠ ق.م، أى بعد قيام حضارات الأزتيك والإنكا والمايا فى أمريكا الوسطى والجنوبية بأكثر من سبعمائة سنة. ويؤكد هذا أن هؤلاء الكتاب- فى محاولاتهم تلك- لم يستطيعوا أن ينكروا التشابه الكبير بين حضارات الأزتيك والإنكا والمايا وبين الحضارة المصرية القديمة.. فى حين كان هناك خلاف كبير بينهم وبين اليهود والفينيقيين، وذلك على النحو التالى..

١ - كانت مدينة نوكراتيس NAUCRATIS- مدينة الإسكندرية حاليًا- هى المكان الوحيد فى مصر خلال العصور القديمة، التى كان يلجأ إليها التجار ويجدون فيها مكانا لإقامتهم عبارة عن مبان بها صف من الحجرات المفردة أو المزدوجة - تشبه تقريبا طراز مبانى الموتيلات MOTELS المنتشرة فى أمريكا حاليًا- حيث يستطيع التاجر المسافر أن يجد راحته- كما وصفها هيرودت المؤرخ اليوناني.. وكانت مدينة تلا تلولكو TLATE-LULCO فى المكسيك تضم أكبر مركز تجارى لدول الأنا هواك ANAHUAC وكان التجار فى تلك المدينة يشكلون طبقة مستقلة من السكان، تقترب من طبقة النبلاء.

وكانت لهم محاكمهم الخاصة بشئون التجارة، وكانت التجارة بالمقايضة بينهم. وكان ذلك كله مماثلا تماما لما كان متبعا فى مدينة نواكريتس المصرية..

٢- كان نظام قوافل التجارة سائدا فى حضارة المايا التى تتجه إلى مختلف الأنحاء. وكان ذلك النظام أكثر إنتشارا فى مدينة تلاتلولكو. وكانت طرق القوافل محددة تماما حتى لا يقع أى خطأ وكانوا يستعملون خرائط للطرق. وهو نفس ما كان متبعاً فى مصر.

٣- الهند هى منشأ زراعة القطن، كما وصفها هيرودت بأنها الأشجار التى تثمر الصوف بدلا من الفاكهة.. وقد نقلت زراعته من الهند إلى حضارات أمريكا الوسطى والجنوبية، حيث بدأت صناعة الغزل والنسيج التى كانت معروفة فى مصر..

٤- تشابهت طرق صناعة الورق فى جزر البحر الجنوبى فى المحيط الباسيفيكى، وفى حضارات أمريكا الوسطى والجنوبية، مع طرق صناعة ورق البردى فى مصر..

٥- تماثلت صناعة دبغ الجلود لصناعة الملابس والأسلحة، حيث كانت مصر هى البلد الوحيدة التى تستعمل الجلود فى صناعة الأسلحة وخاصة الدروع.

٦- طريقة تسجيل الأحداث التاريخية فى حضارات الأزتيك والمايا والإنكا كانت تماثل تلك التى ذكرها هيرودت عن مصر.

٧- الوشم على الجسم باللون الأخضر والأسود باستعمال بعض النباتات ومسحوق أسود متماثلا مع مصر.

٨- كان القوس المنحنى- المعروف فى مصر وحدها- لإطلاق السهام من أسلحة تلك الحضارات.

٩- تنظيم الجيش وتقسيمه إلى عدة أقسام ثم إلى مجموعات مختلفة التسليح بنفس الطريقة المصرية وكذلك طرق تدريب أفراد الجيش.

١٠- الطوطمية- أو التوتمية- الرمز المقدس التى كانت تقضى بتسمية كل عائلة أو قبيلة باسم طوطم خاص بها سواء أكان نباتا أو حيوانًا أو من الآلهة والرموز المقدسة.

١١- عبادة الشمس فى تلك الحضارات والتى كانت معروفة تمامًا فى مصر، وكانت محرمة بشدة على اليهود ولا يدين بها الفينيقيون.

١٢- النظام القضائى فى حضارة المايا وشعوب ناهوا NAHUA مماثل لما كان فى مصر. وكذلك بعض القواعد القانونية التى عرفت عند الأزتيك.

ويقول الدكتور إليوت سميث DR. G. ELLIOT SMITH - فى كتابه «هجرات الثقافات الأولى» نقلا عن كتاب الدكتورة هانسن DR. HANSEN «معتقدات علمية "SCIENTIFIC MYSTERIES"- أنه قد وجد بعض العادات والتقاليد المتشابهة بين شعوب تسكن فى قارات مختلفة مع ظهور حضارات تلك البلاد.. وقد صبغت هذه العادات والتقاليد السكان الأوائل بوسط وجنوب أمريكا. فقد أقاموا المبانى الصخرية والأهرامات التى تواجه جوانبها الأربعة الجهات الأصلية، وعبدوا الشمس وكان الثعبان رمزاً مقدسا- طوطم TOTEM- وحنطوا موتاهم، وقاموا بتسوية سفوح التلال وحفروا قنوات للرى، ومخازن كبيرة تحت الأرض لبعض منتجاتهم الزراعية (كمر الفول) وارتدوا ملابس من القطن التى تتكون من جونلة للرجال تربط بحزام طويل تتدلى أطرافه من الأمام، وارتدت النساء رداء يترك أحد الكتفين عارياً، وقدسوا النار التى ترعاها الفتيات العذارى، ورمزوا للشمس بالهرم الأحمر وللمياه بالثعبان. و احتفلوا بأعياد الربيع والخريف.. ووضع الكهنة ذقونا مستعارة.. مثلما كان يفعل قدماء المصريين..

وقد أورد الدكتور إليوت سميث قائمة طويلة بالأشياء المتشابهة بين الحضارة المصرية القديمة وحضارات الأزتيك والمايا والإنكا، مقررا أن هناك حدودا للمصادفة، وإن هناك نقطة ما حيث يتعارض فيها قانون الاحتمالات مع هذا العدد الكبير من الحقائق..

وقد حاول البعض أن يتهرب من الحقيقة التاريخية عن ارتباط اليهود بأرض الميعاد- خاصة فى ذلك الوقت الذى كانوا فيه يحاربون القبائل المتناثرة للاستيلاء على قراهم وأراضيهم بعد خروجهم من مصر فى سنة ١٢٢٥ ق. م، حتى أنشأوا أول مملكة عبرانية سنة ١٠٢٥ ق. م تحت حكم شاؤل- فقالوا أن الفينيقيين هم عنصر أو جنس متميز نتج عن تزاوج واختلاط اليهود والهكسوس. والمعلوم- طبقا لما جاء بالتوراة- إن هناك تحريما مشددا يمنع اليهود من الزواج بغيرهم، إذ يعتبرون أنفسهم أبناء الله، بينما الآخرون أولاد الناس! .. كما أن الفينيقيين لم يكن لهم نشاط بحرى مؤثر إلا بعد إنشاء قرطاجنة (قرطاج) فى تونس سنة ٨٠٠ ق م..

واذا كان الثابت علميا أن حضارات الأزتيك والمايا والإنكا قد نشأت جميعها مرة واحدة حوالى سنة ١٥٠٠ ق. م، فان اليهود كانوا فى هذه الفترة ـ من سنة ١٥٨٠ ق م تاريخ طرد الهكسوس من مصر إلى سنة ١٢٢٥ تاريخ خروج بنى اسرائيل ـ فى الأسر المصرى، لا حول لهم ولا قوة.

ولعل هذه الثوابت التاريخية الواضحة تمامًا وراء تلك المحاولات الكثيرة لبعض الكتاب التى يريدون بها أن ينزعوا عن المصريين كل حضارة وقدرة.. والمؤلم حقا، أن تجتذب أفكارهم الخبيثة بعض الكتاب المصريين.. عن أولئك الذين جاءوا من الفضاءالخارجي وأقاموا الحضارات المختلفة ثم ... عادوا إلى السماء!! ..

وقد ذكرت الدكتورة لوسيل تايلور هانسن DR. LAUCILLE TAYLOR HANSEN– فى كتابها معتقدات علمية ص ١٦٧ – ١٧٤ – عن زيارتها لمنطقة جنوب وشرق ولاية نيومكسيكو NEW MEXICO مقر قبائل الأباشيريا APACHE-RIA والأباش APACHES من الهنود الحمر.فرغم إقامتهم لقرون طويلة بالقرب من حضارة البيبلو PUEBLO ومستوطنات الأوروبيين المهاجرين، فقد بقوا فى استقلال تام، خلافا لباقى القبائل الهندية فى القارة الأمريكية..

لم يفقد رجل الأباش كبرياءه الشخصى رغم كل ما فعله به الرجل الأبيض.. وهو لا يؤذى أحدا، ولكنه يتذكر دائمًا أمجاده فى عهد زعمائه كوشيس COCHISE وچيرونيمو GERONIMO، ولذلك فهو– حتى اليوم– يفضل أقل تعامل مع الرجل الأبيض..

ولعل كبرياء الأباش واقتصارهم عن الاختلاط بالآخرين هى التى جعلتهم يحتفظون بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم ورموزهم لآلاف السنين وما زالوا يؤدون «رقصة التاج» التى يسميها الأوروبيون المهاجرون «رقصة الشيطان» ..

تقول الدكتورة هانسن إن هذه الرقصة أعظم وأدق مثال على استمرار تواجد شخصية «آمون رع» المصرية القديمة فى العصر الحديث.. فالفتيات اللاتى سيتم ضمهن إلى القبيلة، ظللن يصلين ويصمن لعدة أيام قبل أن يرتدين الملابس البيضاء ويضعن جلد الغزال ويقفن منتظرات «رجال الجبال» تحت نجوم الشمال فى ضوء النار المقدسة.. ومن فوق قمة جبل فى الشرق يأتى أول راقص يغطى رأسه ويمسك فى كل يد حربة

عليها علامة الثعبان. ويتبعه الآخرون بنفس الشكل فى صف وهم ينشدون ويتجهون إلى النار ويحيونها بالانحناء لها ثم التراجع، أربع مرات.. من الشرق ثم من الجنوب ثم من الغرب، ثم من الشمال.. وأخيراً من الشرق مرة أخرى. وتتردد الأغانى والأناشيد وهم يؤدون الرقصات طوال الليل حتى طلوع الفجر.

وقد أتيح للدكتورة لوسيل هانسن– وقد ظلت طوال حياتها تدرس حياة الهنود الحمر، ولها خبرة واسعة جداً فى معرفة معانى العلامات والرموز– أن تشاهد رقصة التاج التى يؤديها الأباش. وقد أعدت الأسئلة التى توجهها إلى قائد الشعائر الذى ارتدى ملابس متقنة ولا يمكن أن تكون كل معرفته وعلمه لأى أحد غيره، لأنه الحافظ لحكمة الأسلاف وتراثهم.

عرضت عليه الدكتورة هانسن بعض صور الرسومات على حوائط المعابد المصرية. وقد سببت إحدي هذه الصور صيحات تعجب وتساؤل. وتم دعوة باقى رجال القبيلة لمشاهدتها. كانت صورة «آمون رع» فى شكل كبش: "AMON0RA, THE HORNED.. RAM GOD"..

سألها الرجل وقد بدا الارتباك والحيرة على وجهه الجامد..

= أى قبيلة رسمت هذه الصورة؟..

أخذت الدكتورة هانسن تشرح له أنه رسم على حائط أحد المعابد المصرية القديمة. وأشارت إلى التشابه بين تلك الصورة وبين «الإله» فى «رقصة التاج».. وسألته..

= هل يمكن أن تخبرنى باسم إلهكم حتى أستطيع المقارنة بين الأسماء؟..

أجابها الرجل.. لا أستطيع أن أفعل ذلك.. إننا ممنوعون من ذكر اسمه بصوت مرتفع، لأن ذلك يقلل من قوته عندما نحتاج إلى مساعدته، كما أنه فأل سيىء..

قالت الدكتورة لوسيل تايلور هانسن.

= إذا أخبرتك أنا باسم الإله المصرى، فهل يمكن أن تخبرنى إذا كان قريبا من اسم إلهكم؟!..

هز الرجل رأسه موافقاً ..

قالت..

= الإله المصري هو «آمون رع»..

وصدرت شهقة عن رجال الأباش جميعهم فى وقت واحد، وأخذ كل واحد منهم ينظر نحو الآخرين فى ذعر وخوف..

قال الرجل بعد صمت..

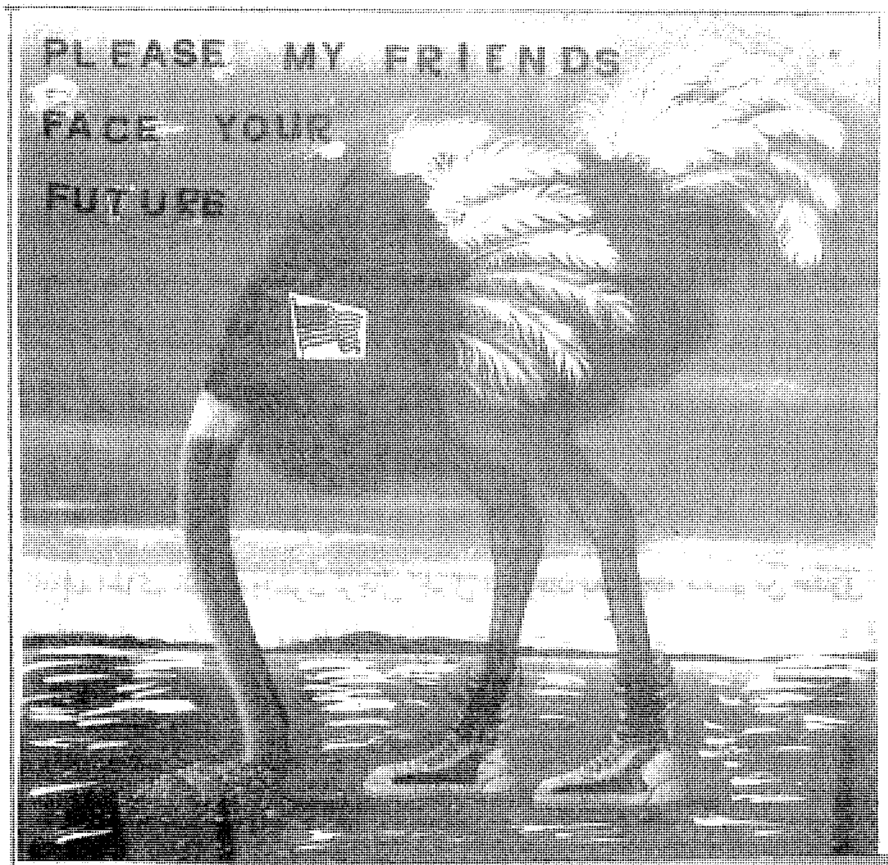
= إنه هو!..

ثم عاد الصمت قبل أن يقول ..

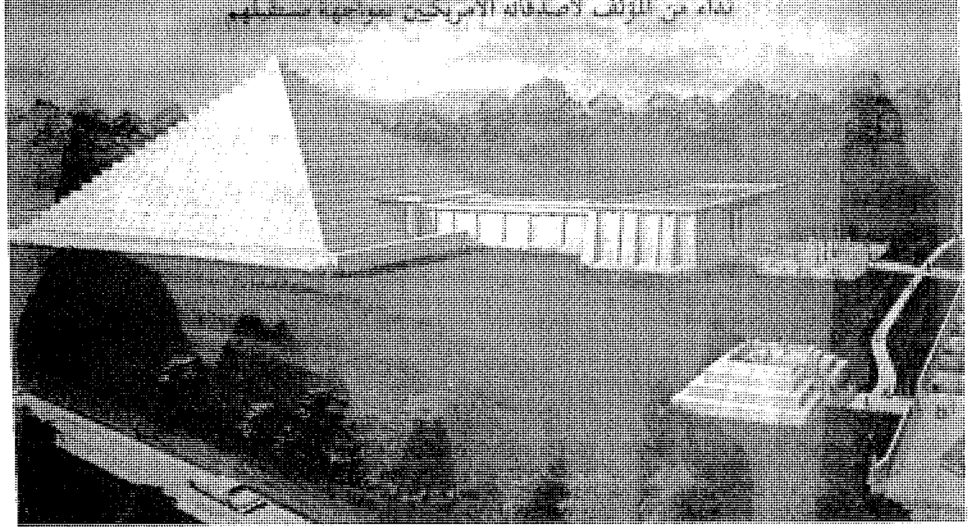
= إنه الحاكم الطيب والقوى لرجال الجبال منذ زمان بعيد جاء معهم من الشرق، من أرض النار التى كانت فى وسط المياه. ثم توجهوا جنوبا، حيث أقاموا مدنا فوق قمم الجبال. وكانوا يقدسون النار ويبنون المدن بالحجارة الكبيرة.

وقال الرجل فى مرارة وألم..

= إن من تراثنا أن أسلافنا القدماء سكنوا فى مدن تقع بعيدا إلى الجنوب– حيث كانت حضارات الأزتيك والمايا والإنكا– إن المدرس الأبيض يضحك ساخراً عندما نخبره بذلك، ويقول إننا شعب بدائي جاء من آسيا منذ وقت غير بعيد!..



نداء من المؤلف لأصدقائه الأمريكيين بمواجهة مستقبلهم



نموذج الهرم المصرى فى مشروع ميرل إدنجتون

الفصل الثالث والأربعون

هل يستيقظ المارد؟

هل يستيقظ المارد

لعل أكبر انقسام في الرأى يواجه المجتمع الأمريكى اليوم هو موضوع حق الإجهاض ABORTION . وقد بدأ ذلك بقرار المحكمة العليا الأمريكية فى عام ١٩٧٣ بإباحة الإجهاض. وقد صدر القرار بأغلبية ٧ الى ٢ من قضاة المحكمة العليا.

وفى عام ١٩٨٢ كانت الراهبة الأم تيريزا Mother TERESA ـ الألبانية الأصل والمقيمة في كلكتا CALCUTTA بالهند والحاصلة على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٧٩ لعملها المتواصل بين الفقراء ـ تخاطب أكثر من عشرين ألفا من الطلبة وأهليهم وضيوفهم المشتركين في يوم نشاط الطلبة بجامعة هارفارد HARVARD UNIVERSITY وقد طالبت الراهبة ـ البالغة من العمر ٧٢ عاما في ذلك الوقت ـ الطالبات خريجات سنة ١٩٨٢ من الجامعة بالمحافظة علي عذريتهن وطهارتهن حتى الزواج..

ووصفت الأم تيريزا الإجهاض بأنه أعظم خطيئة وأكبر فاجعة إنسانية، لأن امرأة تخشي أن تطعم وأن تعلم طفلا آخر.. ووصفت المرأة التى تسمح بالإجهاض بأنها أفقر الفقراء..

وقالت إن العذرية هى أعظم هدية يمكن أن يقدمها كل من الرجل والمرأة للآخر، وأن العذرية والطهارة شيء جميل، وأن متعة الحب فى التضحية..

وأخذت الراهبة تيريزا تحث الرجال والنساء ليمتنعوا عن ممارسة العلاقات الجنسية قبل الزواج، وقالت إن الزوج والزوجة اللذين يكملان زواجهما فى يوم زفافهما، ينمو بينهما الحب.

والاكتمال ـ طبقا للفكر المسيحى الكاثوليكى ـ هو الدخول..

ولم تكن الأم تيريزا وحدها فى الميدان، ولذلك عندما أعيد نظر الموضوع أمام نفس المحكمة فى عام ١٩٨٦ وقرر القضاة تأكيد حكمهم السابق، كانت الأغلبية ٥ الى ٤ .. ولعل تناقص أغلبية قضاة المحكمة العليا فى اتخاذ القرار باستمرار مشروعية الإجهاض تعطى مؤشرا واضحا عن الاتجاه الجديد فى المجتمع الأمريكى.

وقبل زيارتي للولايات المتحدة الأمريكية في صيف ١٩٨٩ نظرت المحكمة العليا دعوى جديدة أثارت ـ مرة أخرى ـ المناقشات حول حق الإجهاض، وكان على المحكمة أن تعطى إجابة في هذه القضية القومية. وقد رأت المحكمة العليا أن تترك الأمر لكل ولاية تبعا للظروف الخاصة بسكانها..

وبقيت قضية حق الإجهاض مثارة في كل مكان.. وقد يعاد عرضها على المحكمة العليا من جديد. ولذا تبدو أهمية ترشيح الرئيس بوش للقاضي كلارنس توماس لعضوية المحكمة والذى ينتمي إلى التيار المحافظ، وصدور قرار مجلس الشيوخ الأمريكى يوم ١٦/١٠/١٩٩١ بالموافقة على تعيينه بأغلبية ٥٢ صوتا ضد ٤٨. وقد اعتبر نجاحه هزيمة للتيار الليبرالى الذى رفض ترشيحه بكل الوسائل ومنها افتعال أو استغلال شهادة إحدى النساء التى سبق لها العمل معه.

وقد أعلنت جيرالدين فيريرو فى حديثها بالقاعة الكبرى بجامعة إنديانا يوم ٢ يونية سنة ١٩٩١ «لو أن نسبة النساء من أعضاء مجلس الشيوخ ٥١٪ لما كان القاضى سوتر SOUTER ـ من التيار المحافظ ـ جالسا في المحكمة العليا ولما واجهنا احتمالات التحول فى قضية الإجهاض»..

وقد أثيرت قضية الإجهاض فى مجلس الشورى المصرى، واحتدم الجدل بين المطالبين باطلاق حرية الاجهاض، وبين أولئك الذين يقولون بتحريمه، بل ورفض مناقشة القضية من الأصل باعتبارها قضية محسومة ولا تقبل المناقشة.

وقد أوضح فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر ـ مفتى جمهورية مصر حينذاك ـ أن الإجهاض، وهو قتل الجنين فى بطن أمه أو إنزاله، وقد أجمع الفقهاء علي حرمته إلا اذا قرر أحد الأطباء الموثوق بهم أن فى بقاء هذا الجنين هلاكا للأم أو ضررا بليغا سيصيبها بسبب بقائه فى بطنها ـ ولكن اذا كانت الأم تريد إنزال الجنين قبل نفخ الروح فيه ـ أي قبل إتمام أربعة أشهر ـ لأسباب اقتصادية أو اجتماعية يراها الزوجان، فقد أجاز ذلك بعض الفقهاء، ولا حرمة فيه، وقد وضعه البعض الآخر فى باب الكراهية، وليس التحريم، أى أن المسئول الأول عن تحديد الضرورة التى تبيح إنزال الجنين هما





مظاهرات الشعب الأمريكى ضد الإجهاض

الزوجان.. ولا شيء عليهما إذا قرر إنزال الجنين فى الأربعة الشهور الأولى بسبب ظروفهما وطبيعة حياتهما. ذلك أن الروح لا تدب فى الجنين قبل أربعة أشهر طبقا لما جاء فى حديث شريف صحيح..

ولكن بعض رجال الأزهر يرون أن الإجهاض بجميع حالاته ومبرراته حرام، إلا فى حالة واحدة وهى إصابة الأم بضرر بالغ قد يودى بحياتها وهو ما يحدده الأطباء الثقاة فقط.. فالإجهاض - فى رأيهم - جائز فى حالة الحفاظ على حياة الأم فقط..

والإجهاض - فى رأيى - هو قتل إنسان لا يستطيع الدفاع عن نفسه، ولذلك فالإجهاض غير مشروع فى المجتمع إلا فى بعض الحالات.

١ - عندما يكون الإجهاض ضروريا لإنقاذ حياة المرأة الحامل بشهادة طبيب.

٢ - أن يتم الإجهاض قبل نهاية الشهور الأربعة الأولى للحمل بشهادة طبيب فى حالات ثلاث

ا - أن تكون حياة المرأة الحامل فى خطر.

ب - أن يكون الحمل قد حدث من جريمة اغتصاب.

جـ - أن يكون الحمل نتيجة علاقة جنسية بين شخصين يحرم القانون الزواج بينهما..

وكان صديقي ولتر سير يؤيد حق الإجهاض فى صيف عام ١٩٨٩ عندما قال لى..

= كيف نرغم امرأة على أن تلد طفلا لا تريده!.. وإذا افترضنا أن الإجهاض مشكلة فإنها أخف كثيرا من تلك التى تثور بعد إتمام الحمل والولادة..

وفى عام ١٩٩١ بدا لى أنه لم يعد يتمسك بذلك الرأى.. فهل يرجع ذلك إلى كونه عضوا فى الحزب الجمهورى؟!

وانتشرت المعارضة للإجهاض فى كل مكان، كأنما كانت تنتظر الضوء الأخضر الذى أعطاه لها الرئيس جورج بوش بموقفه من هذه القضية وكان ذلك سبب قيام بعض المجموعات بالتلويح بأن ذلك قد يعرضه للسقوط فى انتخابات الرئاسة القادمة سنة ١٩٩٢ . وكان ضروريا عندئذ أن يتجه الرئيس بوش الى تدعيم وضعه الداخلى لدى الرأى

العام ،واتخذ خطوة جريئة بعرض موضوع ضمانات القروض لإسرائيل بمبلغ عشرة مليارات دولار وإعلانه عن رغبته فى تخفيضها الى النصف مع وضع نظام للإشراف على إنفاقها..

ولعل الرئيس بوش قد اتخذ هذا الموقف الجرىء لإدراكه حقيقة هامة هى عدم حاجته إلى أصوات الناخبين اليهود فى انتخابات الإعادة للرئاسة، فقد كانوا ضده فى انتخابات سنة ١٩٨٨ ونجح.. ،وبذلك لا يدين لهم بشيء سياسيا..

وقد بدا لأول مرة عجز مراكز الضغط اليهودية في أمريكا عن تجميع أغلبية الثلثين التى تحتاج إليها اسرائيل فى الكونجرس الأمريكى لإبطال مفعول حق الاعتراض الرئاسى، إذا ما تمكنت من الحصول على موافقة الكونجرس على مشروع قانون الضمانات اعتمادا على الأغلبية التى يتمتع بها الحزب الديمقراطى فيه..

وبدأت بوادر الصحوة الكبرى بنجاح الرئيس بوش فى استثارة الوطنية الأمريكية لمساندته فى معركته ضد سيطرة إسرائيل ـ من خلال المنظمات اليهودية ـ ومشاركتها فى صنع القرار الأمريكى.. أو عرقلتها للقرارات التى تمليها المصالح الأمريكية المباشرة.. بعد أن ظهر بوضوح أن مصالح الدولتين غير متطابقة.. وأنه كرئيس لأمريكا، عليه أن يضع لمصالحهاالأولوية..

واضطرت المنظمات اليهودية ـ أمام الرأي العام الأمريكى ـ إلى التراجع عن التشدد فى طلب الضمانات المالية الأمريكية بقيمة عشرة مليارات دولار، لتمويل اقامة مساكن وتوفير فرص عمل لمليون يهودى سوفيتى مهاجر إلى إسرائيل، بعد أن تبين أن ٨٦٪ من الشعب الأمريكى يؤيدون الرئيس بوش فى إرجاء بحث تلك الضمانات..

وكان طبيعيا بعد ذلك أن يرجىء مجلس النواب الأمريكى ـ الكونجرس ـ طلب إسرائيل بزيادة المعونة العسكرية لعام ١٩٩٣ بمقدار مائتى مليون دولار.. رغم اعتماد عدد كبير من أعضائه على أموال الجمعيات والمنظمات اليهودية فى حملاتهم الانتخابية، مما يجعلهم يتخذون القرارات التي تمليها عليهم تلك الجمعيات والمنظمات.. فقد كان على هؤلاء الأعضاء أن يختاروا بين التمويل المالى وبين الناخب الأمريكى.

ويقول بعض الأمريكيين ـ دفاعا عن تقديم تلك المعونات الضخمة إلى اسرائيل ـ إن العرب أيضا يقدمون مساعدات مالية باهظة إلى اسرائيل، بامتناعهم عن استلام الفوائد

المستحقة لهم عن ودائعهم االمهولة بالبنوك الأمريكية ـ التى يسيطر عليها رأس المال اليهودى ـ والتى لا يمكن أن تدخل فى حسابات أرباح تلك البنوك، فتقدمها معونة إلى اسرائيل.. إن هذه الأموال المرفوضة يمكن أن تؤدى خدمات عظمى للأمريكيين الأفارقة والهنود الحمر..

لقد استمعت قبيل مغادرتى للولايات المتحدة الأمريكية ـ فى منتصف شهر سبتمبر سنة ١٩٩١ ـ إلى احد التصريحات التى بدأ الرئيس بوش يدلى بها تمهيدا لمعركة انتخابات الرئاسة فى نهاية عام ١٩٩٢ . فقد أقدم على كشف جماعات الضغط ومدى تجاوزها لكل الحدود فى التأثير على إصدار القرارات السياسية الأمريكية، وأعلن أنه قد استيقظ أخيرا لكى يواجه تلك القوى السياسية ذات النفوذ الكبير، والتى تعمل فى خدمة مصالح أخرى غير مصالح الولايات المتحدة الأمريكية، أى أنه قد شكك فى انتماء هذه المجموعات وولائها نحو الولايات المتحدة.

وهذا الموقف ـ فى رأيى ـ يتمشى تماما مع الشعور العام لدى الأمريكيين، وإلا لما جرؤ على إعلانه قبل انتخابات الإعادة لمنصب الرئيس.. وقد يهتز كثيرا التأييد الشعبى للرئيس بوش فى حالة تراجعه عن هذا الموقف مستقبلا.. وهو ما قد حدث فعلا فيما بعد.

ويبدو أن التاريخ السياسى سيذكر تغيرا ملموسا وخطيرا بدأ فى عهد الرئيس جورج بوش لإعادة حق تقرير السياسات الأمريكية، إلى الشعب الأمريكى، بعد نزعه من الجمعيات والمنظمات ذات النفوذ الواسع والضاغط فى الكونجرس ووسائل الإعلام..

إن نجاح الرئيس بوش فى نقل معركته مع مراكز الضغط إلى الرأى العام الأمريكى ـ عندما أعاد للأمريكيين حق الاشتراك فى إصدار القرار السياسى، ليختاروا بين منح الأموال لإسرائيل لنقل المزيد من اليهود إليها وتوطينهم ببناء المساكن وإيجاد فرص العمل لهم أو إنفاق تلك الأموال على ملايين الأمريكيين المشردين فى شوارع المدن الكبرى أو فى مستوطنات الأمريكيين الأصليين ـ الهنود الحمر ـ يعنى بوضوح أن عهد دفن الرأس فى الرمال قد انتهى ، وأن صحوة الشعب الأمريكى قد بدأت، ليسترد زمام القيادة في يده التى كانت قد تراخت كثيرا.. فلم يعد يكتفى بلحظات التواجد فى مقار لجان الانتخابات كل أربع سنوات.

الفصل الرابع والأربعون

بين هزيمة فيتنام ..
وانتصار الخليج

بين هزيمة فيتنام .. وانتصار الخليج

لعل التاريخ الاجتماعى الأمريكى سيذكر عام ١٩٩١ مثلما يذكر عام ١٩٦٤ . ففى ذلك العام ـ ١٩٦٤ ـ بدأ التحول الاجتماعى الكبير نحو التحرر من الكثير من العادات والقيم الاجتماعية، الذى يصاحب عادة الهزيمة الحربية .. واستغل الكثيرون كلمة الحرية، وأنها بلاد حرة FREE COUNTRY ، لوقف الاعتراض على ما يمارسه البعض من أفعال تتعارض مع قيم المجتمع .. وقد ظلت موجات التحرر تعلو وتعلو بفعل مجموعات مخدوعة بألفاظ الحرية والتحرر، أو مجموعات تستفيد منها ماليا أو سياسيا. فهي تؤدى نفس الدور الذى تؤديه المخدرات في الشعوب ..

ثم بدأت الصحوة عام ١٩٩١ بعد انتهاء حرب الخليج وعودة القوات الأمريكية المنتصرة، مثلما بدأت حركات التحرر بعد هزيمة حرب فيتنام سنة ١٩٦٤ .

والشعب الأمريكى يعيش فرحة النصر كل عام باشتراك أبطال عاصفة الصحراء فى عروض الاحتفالات بعيد الاستقلال، رغم علامات الاستفهام الكثيرة حول حقيقة هذا النصر وما إذا كان مجرد عملية قتل جماعي لجيش منسحب بصواريخ اليورانيوم السام ـ كما تقول الصحف الألمانية ..

والمجتمع الأمريكى يعانى عدة مشكلات تراكمت خلال السنوات الماضية .

١ ـ ازدياد معدل الجريمة فى المدن الكبرى .

٢ ـ انتشار المخدرات بين الشباب الأمريكي .

٣ ـ تزايد عدد من لا مأوى لهم .

٤ ـ إساءة استخدام الحرية الشخصية والتحرر من العادات والقيم الاجتماعية وعدم مراعاة النظام العام والآداب .

ولما كانت أول خطوة نحو حل أى مشكلة هى دراستها وعرضها ومناقشتها جماهيريا، لتشكيل جبهة لمواجهتها والقضاء عليها .. فقد بدأت بعض العناصر الأمريكية المخلصة فى تقديم برامج لقيت نجاحا جماهيريا منقطع النظير ولعل أشهرهم المذيعة

التليفزيونية أوبرا وينفرىOPRAH WINFREY التى اعتبرت ـ فى استفتاء شعبى كبير عن النساء العاملات بالتليفزيون ـ أحسن شخصية ذات جاذبية، رغم أنها من الأمريكيينالأفارقة..

وفى برنامجها الذى تستضيف فيه نماذج من الرجال وزوجاتهم وعشيقاتهم، أو من الشواذ جنسيا رجالا ونساء، وتدير المناقشات بقدراتها وثقافتها وذكاء أسئلتها، وإشراك جمهور الحاضرين بالرأى، تدفع المشاهدين إلى الإحساس بضرورة التخلص من هذه الظواهر الاجتماعية المريضة..

ويقوم بنفس الدور ـ وفى نفس محطة التليفزيون ـ سالى جيسى رافائيل SALLY JESSY RAPHAEL وفيل دوناهيو PHIL DONAHUE.

وليس معنى ذلك أن كل شىء يتجه نحو الأفضل، فمازالت بعض البؤرات تفرز ما دأبت عليه.. فإحدى المحطات التليفزيونية تقدم برنامجا يقوم مقدمه بالتوفيق بين ثلاث نساء وثلاثة رجال ـ فى غير الحلال، ويتبادلون فيه كلمات لا تليق بأناس يحترمون أنفسهم أو يشعرون بكرامتهم الإنسانية. والواقع أنك تتساءل عن الدور الذى يقوم به مقدم البرنامج تماما.. إنه ليس برنامجا ثقافيا!.. إلا إذا اعتبرنا الكلمات الفاضحة التى تقال على لسان الأبطال الستة ومقدم البرنامج، أدبا من نوع خاص.. لا تختلف كثيرا عن تلك الألفاظ التى نسبتها امرأة أمريكية للقاضي كلارنس توماس ـ فى محاولتها منع تعيينه بالمحكمة العليا ـ والتي وصفت بأنها تحرش جنسى ENHARSHMENT وألفاظ مخلة بالآداب.

كما بدأ البعض يدافعون عن الشذوذ الجنسى بمقولة أنه نتيجة نقص فى عدد مجموعة من خلايا المخ التى تقوم بتوجيه الرغبة الجنسية عند الرجال، حيث يقولون أنه بالفحص بالميكروسكوب لمخ ٤١ رجل وامرأة ـ منهم ١٩ عينة من الشواذ جنسيا ـ اكتشف أن مجموعة محددة من الخلايا وجدت دائما أكبر عند العينة من الرجال الطبيعيين عن تلك الموجودة بالعينات الأخرى.. أى أنهم يريدون أن يقولوا ـ ان الشذوذ الجنسى قدرى وليس إراديا، وبالتالى عدم مسئوليتهم عن أفعالهم.

وفى صيف ١٩٩١ جذبت انتباهى واقعتان أثارتا التساؤل فى نفسى..

الأولى: ما جاء فى برنامج أذاعته محطة تليفزيون T B S عن التدريبات العسكرية للقوات الأمريكية استعدادا لحرب الخليج والتى جرت فى صحراء أمريكا الجنوبية الغربية، واستعملت فيها الأسلحة والمدفعية ضد الدبابات التى يستعملها الجيش العراقى.. وقال المعلق أنهم قد حصلوا على هذه الدبابات والأسلحة من «أعدائهم.. فى سيناء والجولان والضفة الغربية!!»

فهل كانت القوات المصرية والعربية تحارب أمريكا فى هذه الميادين الثلاثة ؟!

الثانية: ما جاء فى العرض الموسيقى الذى قدمته فرقة إنديانا من مدينة بلومنجتون.. واسمها نجمة إنديانا STAR OF INDIANA وحصلت به على بطولة العالم فى ذلك العام، فى المسابقة الأخيرة التى أقيمت فى مدينة دلاس DALLAS بولاية تكساس يوم ١٧ أغسطس سنة ١٩٩١.

كان موضوع المسابقة حرب الصحراء أو درع الصحراء DESERT SHEILD ولذلك استعملت الفرق الموسيقية المتنافسة فى عروضها الأسلحة والحراب والطائرات الورقية رمزا لأسلحة الحرب.. واستخدمت فرقة نجمة إنديانا القوس والسهم والدروع التى تحملها فتيات يرتدين ملابس تعود الى القرون الوسطى.. ثم ظهرت بينهن فتاة تحمل صليبا كبيرا تلتف حوله قطع من القماش الحرير الأبيض والأحمر رمزا للنار المشتعلة. ثم قدمت الفرقة تشكيل الصليب مرتين، ثم رفعت أعلام كبيرة تحمل علامة الصليب..

فهل كان يقصد القائمون على هذه الفرقة أو مصممو العرض الخاص بها ـ أن حرب الصحراء كانت حربا صليبية ؟! أم أنهم ينتمون إلى جماعة كوكلوكس كلان KUKLUX KLAN العنصرية ؟!

لقد كانت هذه الجماعة ذات شعبية كبيرة فى ولاية انديانا فى العشرينات من هذا القرن، وبلغ عدد أعضائها مائتين وخمسين ألفا، ولذلك كان لها تأثير سياسى كبير. وفى عام ١٩٢٥ أدين رئيسها ستيفسون D. C. STEPHENSON فى جريمة اغتصاب وقتل امرأة من مدينة انديانابوليس، مما أدى إلى تقلص نشاط هذه الجماعة حتى كادت تندثر..

ومناقشات القضايا القومية تتم غالبا في هدوء، ولا تمنع الأمريكيين من الاحتفال بأعيادهم.. ففي مساء ٣١ أكتوبر من كل عام يحتفلون بعيد الهلووين HALLO-WEEN، حيث يمارس الأطفال والكبار الألاعيب المختلفة والحيل المثيرة كإعطاء حلوى حارقة أو سيجارة تطلق عند إشعالها فرقعة مثل طلقة مسدس. ويتبارون في ارتداء الملابس الغريبة الشكل. وقد تجرى بينهم مسابقات لتحديد أكثرها غرابة..

وكلمة HALLOWEEN اشتقت من كلمات ALL HALLOW'S EVE، بمعنى عيد جميع القديسين الذى يوافق يوم ٣١ أكتوبر.. والواقع أن هذا العيد يجمع بين الاحتفالات الوثنية القديمة والاحتفالات الدينية المسيحية..

فقد كان الرومان ـ نسبة إلى روما ـ والبريطانيون القدماء يحتفلون في هذا التاريخ بعيد الخريف.. ولذلك نجد كثيرا من العادات التى يمارسها الأمريكيون فى عيد الهلووين تقوم على بعض معتقدات الماضى عند كهنة الكلت CELTIC فى بريطانيا وايرلندا قبل انتشار المسيحية هناك.

من هذه المعتقدات ـ على سبيل المثال ـ ذلك الاعتقاد الذى كان سائدا فى أيرلندا بأنه فى تلك الليلة ـ ٣١ اكتوبر ـ قد يعود الموتى إلى الحياة على الأرض، ولكن فى صور مختلفة، كالسحرة والساحرات WITCHES أو العفاريت GOBLINS أو الأرواح الشريرة GHOSTS أو قطط سوداء أو أى شكل آخر غريب وغير طبيعى، غير معقول أو مقبول..

ويشير نفس اليوم الى نهاية فصل الصيف وتراجع الشمس أمام قوى الظلام، فتحتفل بذلك النصر كل قوى الظلام فى العالم الخفى بإحداث الشر ونشر الحظ السيىء فى كل مكان.. ولذلك كان على الإنسان أن يحمى نفسه بالضوء.. وكانت النار هى أعظم مصدر للضوء فى ذلك الوقت، فيشعلون النيران ليلا على قمم التلال، ويدورون بالمشاعل الموقدة حول الحقول.. واختفت عادة إشعال النيران، وحلت محلها الشموع..

ولم تعد هذه المخاوف والخرافات تسيطر على الاحتفال بالعيد، وأصبح الأطفال يرتدون الملابس الغريبة المختلفة ويضعون على وجوههم صورا وأقنعة ساخرة، ويمارسون تلك الحيل وهم سعداء باعتقادهم أنهم يخيفون الكبار بهيئاتهم التى تشبه الساحرات والعفاريت والأرواح الشريرة..

ويبدأ مرور الأطفال على البيوت بعد انتشار الظلام فى ذلك اليوم، ويطرقون الباب قائلين TRICK OR TREAT بمعنى «الحيلة أم المعاملة الحسنة؟».. وطبعا يفضل الجميع المعاملة الحسنة فيقدمون الحلوى للأطفال وقد تشترك الأم مع طفلها الصغير ـ حفاظا عليه ـ لكنها تقف خارج الباب ويدخل طفلها فقط ليأخذ الحلوى..

وكان يلذ لى كثيرا فى ليالى عيد الهلووين، أن أقف خلف آلة التصوير لالتقاط صور أولئك الأطفال فى هيئاتهم المختلفة عندما يتقدمون إلى الحلوى التى وضعتها على مائدة صغيرة قريبا من الباب.

الفصل الخامس والأربعون

من الذي قتل الرئيس چون كيندي؟!

من قتل الرئيس جون كيندي؟

عندما يذكر اسم دالاس DALLAS يتجه السامع بفكره إلى المسلسل الشهير الذى يحمل هذا الاسم، وقد نسى تماما أنه اسم المدينة التى أغتيل فيها أحد الرؤساء العظام للولايات المتحدة الأمريكية.. الذى قال يوما كلمته المشهورة.. «لا تسأل عما يمكن أن تقدمه بلدك لك، بل عليك أن تسأل عما يمكن أن تقدمه أنت لبلدك».

ASK NOT WHAT YOUR COUNTRY CAN DO FOR YOU, ASK WHAT YOU CAN DO FOR YOUR COUNTRY.

وكان قد تقدم ببعض مشروعات قوانين هامة إلى مجلس النواب الأمريكى، منها قانون حماية حقوق الأمريكيين الأفارقة وقانون تخفيض ضريبة الدخل.

وقضى على كل الاحتمالات لتولى أحد أفراد أسرته منصب الرئاسة، واكتفى الناس باطلاق اسمه على أكبر مطار دولى فى مدينة نيويورك، والمركز الثقافى الفخم فى مدينة واشنطون د. س وطغت أخبار زواج أرملته بالمليونير اليونانى على نتائج التحقيقات التى أجرتها لجنة وارين WARREN COMM ISSION لمعرفة ظروف مقتله..

كان الرئيس جون كيندى JOHN F. KENNEDY يزور مدينة دالاس بولاية تكساس، وهى مسقط رأس نائبه ليندون جونسون حيث أنشأ جده مدينة جونسون JOHNSON CITY.. وفى يوم الجمعة ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ كان الرئيس كيندى يستقل سيارة ليموزين مكشوفة فى موكب يخترق شوارع مدينة دالاس، عندما دوت طلقات الرصاص، وأصيب كيندى فى رقبته ومؤخرة رأسه..

أسرعت به السيارة إلى المستشفى، ولكنه توفى بعد دقائق من وصوله.

وبعد قليل كان نائب الرئيس ليندون جونسون LYNDON JOHNSON فى طائرة الرئاسة يقسم اليمين كرئيس للولايات المتحدة الأمريكية.

وبعد عدة ساعات من إطلاق الرصاص، تم القبض على لى هارفى أوزوالد LEE HARVEY OSWALD حيث وجهت إليه تهمة اغتيال الرئيس كيندى..

ولم يقدم أوزوالد للمحاكمة التى كان ينتظرها ليثبت براءته من التهمة التى وجهت إليه.. فبعد يومين فقط من القبض عليه، بينما كانت شرطة مدينة دالاس تقوم بنقله من سجن إلى آخر.. أطلق عليه جاك روبى JACK RUBY صاحب ملهى ليلى فى دالاس ـ الرصاص، ومات أوزوالد بعد وصوله إلى نفس المستشفى التى نقل إليها ـ قبل يومين ـ الرئيس جون كيندى

وبمقتل أوزوالد ازداد الشك فى وجود مؤامرة وراء اغتيال كيندى، خاصة بعد مقتل جاك روبى بالسم وهو فى السجن..

واضطر ليندون جونسون إلى تشكيل لجنة برئاسة إيرل وارين EARL WARREN رئيس القضاء الأمريكى U. S. GHIEF JUSTICE..

وفى سبتمبر سنة ١٩٦٤ قررت لجنة وارين أن أوزوالد هو القاتل الوحيد. ولكن تقرير اللجنة تعرض لكثير من النقد، فتحررت المقالات ونشرت الكتب التى تشكك فى النتائج التى توصلت إليها اللجنة، ولكن لم يستطع أى من هذه الانتقادات أن يجذب الرأى العام الأمريكى. وظل الجدل حول اغتيال الرئيس كيندى عدة سنوات بعد الحادث.

وفى يوم ١٩٧٧/٦/٣٠ عرضت قناة التليفزيون رقم ١٣ بمدينة بلومنجتون بولاية إنديانا ، فيلما بعنوان «محاكمة لى هارفى أوزوالد» عرض حادث مقتل الرئيس جون كيندى والظروف المحيطة به، من واقع ماجاء بالتحقيقات التى أجرتها لجنة وارين. وكان أهم ما جاء فى هذا الفيلم ما يأتى..

١ ـ أن لى هارفى أوزوالد ـ المتهم الوحيد بقتل جون كيندى ـ كان وقت الحادث فى غرفة الطعام فى المبنى الذى قيل إن الرصاص قد أطلق من دوره السادس.

٢ ـ أن أحد المحامين الذين يعملون بمكتب المحامى المكلف بالدفاع عن لى هارفى أوزوالد قال إنه بخبرته السابقة كضابط شرطة قبل الاشتغال بالمحاماة ـ يؤكد أن الرصاص قد أطلق على الرئيس كيندى من مصدرين وليس من مصدر واحد فقط، وذلك تأسيسا على اتجاه طلقات الرصاص فى مكان الإصابة.

٣ ـ أن التحاق لى هارفى أوزوالد بالعمل فى هذا المبنى قد تم قبل الحادث بوقت

قصير. وبعد مقابلة تمت فى حديقة منزله مع شخصين، قالت عنهما زوجته أنه يبدو أنهما من رجال الحكومة..

٤ ـ أن لى هارفى أوزوالد لم يكن يعرف ـ عندما ترك بيته إلى مدينة دالاس لاستلام العمل ـ مكان ذلك العمل على وجه التأكيد أو نوعه.

٥ ـ أن إحدى طبيبات المستشفى الذى نقل إليه الرئيس جون كينيدى بعد الحادث، قررت أن الاصابة لا يمكن أن تكون قد حدثت من إطلاق الرصاص من ذلك الارتفاع بالدورالسادس.

٦ ـ أن أحد الشهود قرر أنه لاحظ سيارة كبيرة نزل منها شخص يبدو أنه من رجال الحكومة، وأنه سمع صوت إطلاق الرصاص من بين الأشجار حيث كان هذا الرجل. وفى اليوم التالى قتل هذا الشاهد فى حادث سيارة.

٧ ـ قتل شاهد ثان فى حادث انتحار مشكوك فيه بإطلاق الرصاص.

٨ ـ أن الرئيس ليندون جونسون ـ الذى كان نائبا للرئيس جون كينيدى وتولى منصب الرئاسة فى نفس يوم وفاته ـ تدخل شخصيا فى التحقيق وطلب ـ فى مكالمة تليفونية ـ أن تجمع التحريات كلها فى اتجاه واحد هو اتهام لى هارفى أوزوالد وحده دون أن يكون هناك أى تنظيم أو تخطيط وراء الحادث من اليمين أو من اليسار..

٩ ـ أن لى هارفى أوزوالد لم يمتلك بندقية فى حياته، وأن ما قيل عن رؤيته يحمل بندقية يوم الحادث شهادة مشكوك فيها، تمت بعد مكالمة الرئيس جونسون التليفونية.

١٠ ـ أن الشخص الرسمى الذى نزل من السيارة الكبيرة عند الأشجار بجانب المبنى، أخرج من جيبه بطاقة أظهرها للشرطى من بعيد قائلا أنه من رجال التحريات. وطلب من رجل الشرطة البحث فى اتجاه الشارع. وكان ذلك الشرطى قد اتجه إلى ذلك الرجل بناء على توجيه الناس له عن مصدر إطلاق الرصاص.

١١ ـ أنه بعد التحريات التى قام به محامى المتهم لى هارفى أوزوالد ـ بمعرفته وزملائه بالمكتب ـ أعلن أن أوزوالد برىء من قتل الرئيس كينيدى، وأنه يترك ذلك لتأكيده من المحلفين.

١٢ ـ أن المسئول الذى اتصل به الرئيس جونسون تليفونيا لتوجيه الاتهام إلى أوزوالد، لم يكن مقتنعا بإدانة هذا الأخير.. وقرر أنه مضطر أن يفكر الطريقة التى طلب إليه أن يفكر بها فى جمع التحريات لإثبات التهمة..

١٣ ـ أنه فى مناقشة تمت بين محامى المتهم وهذا الرجل المسئول، قال الأخير إنه ستثبت بالتحريات التى يقوم بها إدانه لى هارفى أوزوالد.. فقال له المحامى.. «إن واجبك جمع التحريات فقط وإن القانون ينص على أن إثبات الاتهام من عمل ممثل الاتهام فقط..» فرد عليه المسئول بقوله.. «إنك تتكلم عن القانون، وليس عن الحقيقة!».

١٤ ـ أن لى هارفى أوزوالد قد اختير ـ بناء على معلومات كاملة عن حياته ـ ليكون فى مكان الحادث.

١٥ـ أنه لم يقبض على أوزوالد وقت الحادث، وأنه كان يبدو طبيعيا جدا وكان يظن أن الاتهام الموجه إليه هو قتل ضابط شرطة ـ قتل بعد وقت قليل من مقتل الرئيس كيندى ـ بإطلاق الرصاص عليه من بين الأشجار المجاورة للمبنى..

١٦ـ أن العثور على البندقية، التى قيل أن الرصاص قد أطلق منها، تم بطريقة مسرحية بدا منها أنها قد وضعت فى الدور السادس من المبنى ليعثروا عليها، وأن ذلك تم أيضا بعد مكالمة الرئيس جونسون..

وقدم ممثل الاتهام شهود الإثبات على الوجه الآتى..

١ـ قال أحدهم أن الرصاص قد أطلق من نافذة بركن المبنى بالدور السادس، ولكنه لم يستطع ـ عند سؤاله بمعرفة محامى الدفاع ـ أن يؤكد معرفته لشخصية مطلق الرصاص بأنه المتهم..

٢ـ قال آخر أنه كان فى إحدى نوافذ الدور الخامس وسمع الطلقات من فوق رأسه بالدور السادس. وأنه لايشك فى ذلك ولكن عند مناقشته عن الصوت اختلطت الأحداث. وثار ضد محامى الدفاع عندما اتضح أن شهادته باطلة.

٣ـ قال أحد الشهود أن لى هارفى أوزوالد ركب سيارته ومعه كيس ورقى ـ أولفة ـ دخل به إلى المبنى للإيهام بأنه كان يضع البندقية مفككة داخل الكيس الورقى .. وعند

مناقشته بمعرفة محامى الدفاع عن طريقة حمل الكيس، ارتج عليه القول.. لأن الكيس وبداخله البندقية لايمكن حمله بالطريقة التى وصفها الشاهد، وكذلك وضع الكيس بالطريقة الموصوفة يؤكد أنه لم تكن بداخله بندقية..

كذلك تبين أن السلاح المضبوط كان مشحما ولم يكن هناك أى أثر للشحم فى الكيس المقول أنه حملها فيه إلى المبنى..

٤ـ جاء ضابط شرطة ليشهد بأن كيس بلاستيك داخل الكيس الورقى منع تلوث الأخير بالشحم، ولكنه اعترف بأنهم لم يجدوا الكيس البلاستيك..

٥ ـ قدم ممثل الاتهام شهادة بترخيص حمل سلاح باسم لى هارفى أوزوالد.

ولم يستطع ممثل الاتهام إثبات أن شخصا واحدا يمكن أن يطلق ثلاث رصاصات ـ التى أطلقت على الرئيس كيندى ـ فى خمس ثوان ونصف الثانية، عند إجراء تجربة عملية من المبنى نفسه..

وعند إجراء التجربة بواسطة الدفاع تأكد ضرورة إطلاق الرصاص من شخص آخر أيضا..

وقد قتلت فتاة من الأمريكيين الأفارقة قبل موعد الإدلاء بشهادتها بيوم واحد، وكان الدفاع قد طلبها بسبب رؤيتها للشخص الذى أطلق الرصاص.

وقد قرر أحد ضباط الشرطة أنه لم تكن هناك أى حراسة فى منطقة الأشجار المجاورة للمبنى.

وقرر ضابط الشرطة الذى توجه إلى منطقة الأشجار ـ بناء على طلب الجماهير بعد إطلاق الرصاص مباشرة ـ أنه رأى شخصا هناك عمره ٥٣ سنة يتحرك بين السيارات، وعندما سأله قال أنه يحرس المكان وأنه فى مهمة سرية وأنه عضو فى الخدمة السرية..

وبمناقشة هذا الضابط بمعرفة محامى الدفاع قرر أن ما ذكره ذلك الشخص وبطاقته الشخصية لا يمكن أن يكون حقيقيا..

وعند عرض فيلم للحادث بالتصوير البطيء، قال أحد الخبراء أن حركة رأس كيندى معناها إطلاق الرصاص من جانبين وليس من جانب واحد فقط. وأن الرأس اتجهت عكس الإطلاق..

وبعد مناقشة الشاهد قرر أنه من المحتمل أن يكون إطلاق الرصاص من الخلف، ومع ذلك تتجه الرأس إلى الخلف وليس إلى الأمام..

وبسؤال لى هارفى أوزوالد قرر أنه لم يقتل الرئيس كيندى، ولم يقتل أى شخص آخر.. وأنه لم ير أحدا لأنه كان فى غرفة الطعام ينتظر مكالمة تليفونية، وأن صورة الشخص الذى يشبهه، ليست له..

وأعلن أوزوالد أنه برىء وبراءته مؤكدة إذا أخذ العدل مجراه.. فليس شيئا طبيعيا أن يموت كل هؤلاء الشهود..

وانتهى الفيلم بسؤال من الدفاع إلى لى هارفى أوزوالد..

= هل أنت متورط فى مقتل الرئيس كيندى؟..

ولم يرد أوزوالد، فقد ترك الفيلم ـ بعد أن عرض جميع الوقائع الثابتة فى تحقيقات لجنة وارين ـ حرية إتخاذ القرار لجمهور المشاهدين.. والإجابة على السؤال الذى مازال يتردد حتى اليوم.. من الذى قتل الرئيس جون كيندى؟!..

الفصل السادس والأربعون

تصفيق حاد .. لمصر

تصفيق حاد .. لمصر

كم أشعر بالألم عندما ألتقى ببعض الناس الذين حصلوا على أعلى درجات التعليم ـ وليس الثقافة ـ ممن تمتلىء نفوسهم بالحقد الأسود والغيرة القاتلة لنجاح الآخرين من زملائهم، كأنما ذلك النجاح يجسد لهم فشلهم.. إنهم قد يستحقون الشفقة، ولكنهم ـ فى رأيى ـ مرضى يحتاجون إلى العلاج فى أحد مستشفيات الطب النفسى..

ويدفعنى مرآهم ـ أوسماع أخبارهم ـ أن أعود بذاكرتى إلى أمريكا وألمانيا الديمقراطية ـ سابقا ـ عندما زرتها سنة ١٩٦٩.

كنت فى الدور الثالث من المبنى الكبير للمكتبة العامة بجامعة إنديانا حيث يعمل المكتبيونLIBRARIANS والموظفون الآخرون لاستقبال الكتب الواردة للمكتبة لتصنيفها وتبويبها وترقيمها، وإعدادها لوضعها على الأرفف تحت طلب المترددين على المكتبة..

كان قد صدر قرار بترقية السيدة جولى نيلسون JULIE NILSON إلى وظيفة عليا بالمكتبة. وبمجرد أن تركت مكتبها فى الساعة العاشرة والربع صباحا، واتجهت إلى القاعة الواسعة المعدة لاستراحة موظفى المكتبة ـ حسب عادتها اليومية، لتشرب فنجانا من القهوة الأمريكية الشهيرة ـ حتى بدأت حركة بين الموظفين والموظفات ليتجمعوا فى مكان غير بعيد عن مكتبها انتظارا لعودتها فى العاشرة والنصف، موعد قيامهم بفترة الراحة الصباحية.

وفى سرعة مدهشة أعد المكان وظهرت أطباق الحلوى وأكواب الشاى والقهوة وإنا الماء الساخن.. وعلى مائدة فى الوسط، وضعت لوحة كبيرة من الورق المقوى رسم عليها صورة امرأة تدفع أمامها صخرة ضخمة جدا، تنقلها من الوادى إلى الهضبة حتى وضعتها على قمة التل وجلست فوقها.. وقد كتب على الصورة تعليق طريف جدا..YOU DID IT, BABY أى أنها قد فعلتها.. والمعنى واضح.. أنها بمجهودها العظيم قد شقت طريقها للوصول إلى القمة..

أدهشنى أن الفرح كان يعم الجميع فى صدق وكأن الترقية كانت لكل واحد منهم وليس لجولى نيلسون.. وقد وقعوا بأسمائهم على الصورة.. وقد أسعدنى أن أضع توقيعى بجانب توقيعاتهم.

وفى العاشرة والنصف تماما دخلت چولى نيلسون إلى المكان. ولما لاحظت تجمع الموظفين والموظفات، انحرفت جانبا حتى لا تخترق تجمعهم فى طريقها إلى مكتبها.. لكنهم تحركوا بسرعة وأفسحوا لها الطريق ليدفعوها إلى السير فى الاتجاه الذى رسموه لها نحو المائدة التى تحمل الصورة الكبيرة. وعندما وصلت إليها جذب إنتباهها وجود اسمها عليها، فوقفت تشاهدها.. وعندئذ علا التصفيق الحاد وتناثرت حولها كلمات التهنئة فى حب وسعادة..

وفى ألمانيا الديمقراطية طلبت من الصديقة الألمانية للسيدة زوجتى أن تتيح لى فرصة زيارة مزرعة جماعية. وأخبرتنى أنها سترتب لى ذلك لأن والدها رئيس لإحدى المزارع الجماعية التى تبعد عن مدينة ليبزجLEIPZIG بحوالى خمسين ميلا..

وهناك زرت قسم الميكنة الزراعية. وقد فوجئت بالعمال ـ أثناء حديثنا معهم ـ يجذبون زميلا لهم، كان يقف خلفهم، ليتقدمهم.. وليقدموه إلينا لأنه أدخل تعديلا على إحدى الماكينات الزراعية. تم تطبيقه فى كل أوربا الشرقية وحتى فى روسيا نفسها.. راعنى أن أرى السعادة الحقة تضىء ملامحهم لنجاح زميلهم. ولم أر وجها يظلله الحقد الأسود أو الغيرة الصفراء..ولم يحاول أحدهم أن ينسب لنفسه النجاح الذى حققه زميله أو يقلل من شأنه..

ولعل الكثيرين يشعرون بالأسى لما يحدث فى شركات القطاع العام فى مصر، وعندما يسرق أحدهم الوظيفة الأعلى التى يستحقها زميله بالخداع أو ممالأة إدارة الشركة التى تسانده.. وتوصف تلك العناصر التى تتصدى للإنحراف بأنها غير متعاونة!.

والمجتمع الأمريكى يذكر رجاله وأبطاله بطريقة خاصة، قصد بها أساسا أن تكون ذكرى كل منهم مثلا يحتذى به، وقدوة للأجيال الصاعدة.

فقد أقيم لرائد الفضاء ڤيرچيل جريسوم VIRGIL GRISSOM نصب تذكارى فى متحف صغير جدا خاص به بالقرب من حدائق سبرنج ميل SPRING MILL قرب مدينة ميتشلMITCHELL بولاية إنديانا ـ مسقط رأسه ـ كما أطلق اسمه على مطار مدينة بدفورد..

أما الشقيقان ويلبور وأورڤيل رايت – WILBUR, ORVILLE WRIGHT– اللذان اخترعا بنجاح أول طائرة، وقاما بأول رحلة طيران فى العالم سنة ١٩٠٣ فى كيتى هوك KITTY HAUK بولاية كارولينا الشمالية NORTH CAROLINA ـ فقد أطلق اسماهما على القاعدة الجوية فى مدينة ديتون DAYTON بولاية أوهايو OHIO التى ولد فيها أورڤيل، أما ويلبور فقد ولد فى مدينة نيوكاسل NEW CASTLE بولاية إنديانا..

ولايحظى بالمتاحف الأبطال فقط، بل كبار المجرمين أيضا، ليكونوا عبرة لكل من تسول له نفسه أن يفعل مثلهم..

ففى مدينة ناشفيل NASHVILLE بولاية إنديانا، زرت متحفا غريبا، فهو لأخطر مجرم أمريكى فى القرن العشرين واسمه چون دلنجر JOHN DILLINGER. ولد عام ١٩٠٣ وقتل فى شيكاغو فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٣٤..

كان رئيس عصابة تخصصت فى سرقة البنوك. وكانت جرائمه تغطى كل أنحاء أمريكا. وكانوا يطلقون عليه وصف «الرجل الذى يعيش فى البنوك».. وكانت العصابة تضم بعض النساء، وكانت له عدة صديقات منهن الممثلة المشهورة ـ فى ذلك الوقت سنة ١٩٣٠ ـ جين هارلو،JEAN HARLOW التى كانت الصديقة المفضلة لجون دلنجر..

وأعلنت مكافأة خمسة آلاف دولار لكل من يقتل أحد أفراد العصابة أثناء قيامهم بسرقة أحد البنوك.. وأرشدت إحدى صديقاته عن مكانه فى شيكاغو، حيث قتل بعد قتال ومقاومة ضد رجال الشرطة لأكثر من ساعتين. وكان معه خمسة عشر فردا من عصابته. وأخيرا تمكن منه ضابط الشرطة تشارلز وينستدCHARLES WINSTEAD من مكتب التحقيقات الفيدرالى F.B.Iبرصاصة اخترقت وجهه تحت عينه اليمنى.. وكان جون دلنجر قد قتل ثمانية من رجال الشرطة فى محاولات القبض عليه. وحضر جنازته أكثر من خمسة عشر ألف شخص..

وكتبت صديقته إيفلين فريكت«EVELYN FRECHETTE مذكراتها عنه بعنوان «ماذا عرفت عن دلنجر» .. واهتمت السينما الأمريكية بقصة حياته، وأخرجت عدة أفلام منها «GUN CRAZZY» الذى أنتجته شركة الفنانين المتحدينUNITED ARTISTS ـ سنة ١٩٥٠، وفيلم «آخر أيام جون دلنجر» الذى تم إنتاجه سنة ١٩٧١ .. وكانت شخصية دلنجر هى بطلة أفلام الجريمة فى الفترة ما بين عامى ١٩٣٠ ـ ١٩٦٠ ..

ويضم المتحف كل متعلقات المجرم الشهير، حتى ما كان يلعب به فى طفولته، وصوره والصحف التى نشرت عن جرائمه وصور أفراد العصابة ورجال الشرطة الذين قتلوا فى محاولات القبض عليه وعلى عصابته.. وصورة ضابط الشرطة الذى قتله.

كما يضم المتحف عدة تماثيل شمعية بالحجم الطبيعى للمجرم الخطير فى حياته، ثم وهو فى المشرحة بعد مقتله.. وتماثيل لبعض أفراد عصابته من الرجال والنساء وجميع الأسلحة التى استعملوها فى ارتكاب جرائمهم..

والمجتمع الأمريكى يهتم كثيرا بثقافة الطفل، ويعتبر متحف الأطفال فى سان دييجوSAN DIEGO بولاية كاليفورنيا CALIFORNIA ومتحف الأطفال فى انديانابوليس INDIANAPOLIS عاصمة ولاية إنديانا، من أجمل وأحدث ما شاهدت وزيارتهما متعة حقيقية للصغار والكبار معا.. وقد قام الصديق الدكتور مهندس رفيق البابلى ـ رحمه الله ـ بتصوير متحف إنديانابوليس فى يوليو سنة ١٩٨٩ .. ولعلنا نجد له مثيلا فى مصر قريبا..

وقد زرت متحف الثقافة فى برلين بألمانيا، حيث يعرضون صور المؤلفين وبعض تماثيلهم مع نسخ من كتبهم ومطبوعاتهم. ونبذة عن حياتهم ونشاطاتهم المختلفة.

وأرجو أن يقام فى كل محافظة فى مصر، بل وفى كل مدينة، متحف محلى للثقافة يضم الكتاب والمؤلفين من أبناء تلك المحافظة، ولا شك أن ذلك يقدم للأجيال أمثلة يحتذى بها، وقدوة يتطلعون إليها.. بدلا من أبطال الجريمة والمخدرات فى الأفلام التجارية.

اتحاد الدارسين المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا

الزميل الأستاذ عادل سركيس المطعى

بمناسبة انتهاء فترة اقامتك بالولايات المتحدة الأمريكية وعودتكم للوطن الحبيب مصر يسرنى وزملائى اعضاء مجلس اتحاد الدارسين المصريين بالولايات المتحدة الأمريكية وكندا أن نذكر بكل تقدير واعزاز ما قدمته من خدمات جليلة كمستشار قانونى للاتحاد طوال السنوات الثلاث الماضية وخاصة ذلك المجهود الكبير فى وضع لائحة الاتحاد العام ونظامه الأساسى واللوائح الخاصة بالوحدات المختلفة .

كما نذكر بكل تقدير محاضراتك القيمة عن أحكام الشريعة الاسلامية والقانون المصرى ومقارنتها بالقوانين الأخرى ، والتى كان لها الفضل الأكبر فى القضاء على الأثر السيئ لما يجرى فى ايران باسم الاسلام .

ولا ننسى مواقفك الشجاعة دفاعا عن قضية السلام وفى التصدى للتيارات المعادية وجهودك المخلصة فى خدمة قضيتنا الوطنية وفى احداث تغيير كبير فى تفهم الشعب الأمريكى لوجهة نظرنا بالمحاضرات والمناقشات فى كل مكان وفى كافة المجالات .

اننى وزملائى اعضاء مجلس الاتحاد العام اذ نعبر عن تقديرنا العميق لكل ما قدمته لمصرنا الحبيبة ولاتحاد الدارسين المصريين وللثقة التى حزتها من المسئولين بجامعة انديانا ومن الطلبة الأجانب الذين لجأوا اليك لحل مشكلاتهم نتمنى لك عودة سالمة لأرض الوطن الغالية .

وفقنا الله لما فيه خير مصر ..

١٩٧٩/٧/٢٠

فاروق عبد الوهاب

خطاب الدكتور فاروق عبد الوهاب إلى المؤلف

وحين قارب موعد مغادرتى للولايات المتحدة الأمريكية فى يوليو سنة ١٩٧٩، أقيمت بعض الحفلات لتوديعى تخطت نطاق مدينة بلومنجتون BLOOMINGTCN إلى بدفورد BEDFORD جنوبا بدعوة من السيدة دوروثى إدواردز -DOROTWY ED WARDS حيث علمت لأول مرة بمشروع بناء هرم فى المدينة، ثم إلى مدينة تيرهوتTERRE HAUTE غربا بدعوة من السيدة ڤيكتوريا ـ وهى سيدة أعمال ـ حيث التقيت بشقيقة الدلاى لاما DALAI LAMA ـ الزعيم الروحى لشعب التبت ـ لا يفارقها حارسها الخاص، وهو أحد رهبان التبت..

ثم كان الحفل الذى أقامه اتحاد الدارسين المصريين فى بلومنجتون، والذى لم يضم كل المصريين فيها.. وكانت فرصة للبعض أن يعبروا ـ بكلمات بسيطة ـ عن مشاعرهم نحوى..

قالت الدكتورة سيسيليا ديل كاستيللو ـ من الفلبين ـ المشرفة الاجتماعية على طالبات الدراسات العليا بمبنى إيجنمان EIGENMANN ..

= إن طالبات كثيرات سيفتقدن المشاعر الدافئة التى كانت تحيطهن بها عائلة سركيس فى تلك الأمسيات الاجتماعية التى كانت متاحة دائما لهن، كلما إعترت إحداهن المشاعر المؤلمة بافتقاد الأهل والوطن..

قال أحد الأمريكيين الأفارقة، الذى كان يدرس للحصول على درجة الدكتوراه فى الفلسفة، والذى يؤسفنى أننى لا أذكر اسمه الآن.

= إننى سأفتقد الاستماع إلى صوت أفريقيا ـ حيث جذورى ـ عندما كنت أتابع معظم عروض شرائحه الملونة ومحاضراته التى تنبىء عن ثقافة واسعة..

وقال بودين تامتاى BOUDIN TAMTHAI رئيس منظمة طلبة تايلاند -THAI LAND..

= إننا إذ نودع عادل هنا، يسعدنا أن نرحب به فى بلادنا، وسيجد كثيرا من البيوت فى بانجوكBANGKOK على استعداد تام لاستقباله فى أى وقت يشاء..

وقال الصديق الدكتور حسن عبد الرحمن حسن ـ الأستاذ بكلية التربية جامعة الخرطوم حاليا ـ ممثلا للطلبة السودانيين إننا سنفتقد كثيرا تلك الأمسيات الممتعة التى كنا نقضيها فى دوار العمدة المصرى..

وقالت باكى BACKY الأمريكية ذات الشعر الذهبى المسترسل..

= إننى سأفتقد جو الأسرة الدافىء الذى أهرب إليه كلما شعرت بالشوق إلى أبى وأمى واخوتى..

وقالت باتريشيا بدنجرPATRICIA BIDDINGER مستشارة شئون الطلبة الأجانب..

= لقد كان لى حظ العمل عن قرب مع عادل سركيس خلال السنوات الثلاث الماضية، فى مختلف نشاطات قسم الخدمة العامة للطلبة الأجانب. لقد كان مصدرا للتعاون لا يقدر. وقد قدم مساعدات كثيرة وهامة لحل مشكلات عدد كبير من الطلبة الأجانب. وقد أثبت بنشاطه المتنوع أنه سفير ممتاز لوطنه مصر، لدى جميع من تعامل معهم من الأمريكيين وغيرهم من كل أنحاء العالم.

وقال الدكتور فاروق عبد الوهاب ـ رئيس اتحاد الدارسين المصريين فى ذلك الوقت ـ وهو يقدم لى هدية تذكارية..

= يسرنى وزملائى أعضاء مجلس إدارة إتحاد الدراسين المصريين، أن نذكر بكل تقدير وإعزاز ما قدمه عادل سركيس من خدمات جليلة طوال السنوات الثلاث الماضية..

ولا ننسى مواقفه الشجاعة دفاعا عن قضية السلام والتصدى للتيارات المعادية وجهوده المخلصة فى خدمة قضيتنا الوطنية التى تحتاج لجهد كل مصرى يقيم هنا فى الولايات المتحدة الأمريكية.

لقد مهدت زيارة الرئيس أنور السادات ـ لكل من القدس وأمريكا ـ الطريق أمامنا لنلتقى بالشعب الأمريكى ونتحدث إليه، مما ساعد على حدوث تغير كبير فى تفهم الشعب الأمريكى لوجهة نظرنا. وقد قام عادل سركيس بجهود مخلصة فى هذا الشأن بالمحاضرات والمناقشات فى كل مكان وفى كل المجالات.

إننى وزملائى أعضاء مجلس الاتحاد العام إذ نعبر عن تقديرنا العميق لكل ماقدمه عادل لمصرنا الحبيبة ولاتحاد الدارسين المصريين، والثقة الكبيرة التى حازها لدى المسئولين بجامعة إنديانا والطلبة الأجانب الذين لجأوا إليه لحل مشكلاتهم.. نتمنى له عودة سالمة لأرض الوطن الغالية..

وفى حفل التخرج الذى أقيم فى شهر مايو سنة ١٩٧٩، كان التصفيق الحاد المتواصل ـ الذى استمر لأكثر من خمس دقائق ـ يدوى فى أرجاء القاعة الكبرى. عندما منح الدكتور محمد عبد الخالق علام ـ نائب رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة ـ درجة الدكتوراة الفخرية فى القانون من جامعة إنديانا، بينما كانت مظاهرات الطلبة وغيرهم خارج القاعة احتجاجا على منح درجة الدكتوراة الفخرية لرئيس إحدى الدول الأفريقية..

ولعل الدكتور عبدالخالق علام نفسه لم يكن يتوقع هذه التحية الحارة وذلك الاستقبال الحافل له وللبلد التى يمثلها.

وقبل عودتى للولايات المتحدة الأمريكية فى صيف سنة ١٩٨٢ زارنى بعض الأصدقاء المصريين مودعين، وسألنى أحدهم..

= هل ستزور أصدقاءك فى بلومنجتون إنديانا؟..

قلت بلا تردد..

= دون شك، وهل أستطيع أن أفعل غير ذلك.

وضحك الصديق وهو يقول..

= إنهم لن يذكروك، ولن يقدم لك أحد منهم كوبا من الماء..

وفى كل مرة أعود إلى مصر بعد زيارتى لأمريكا، كنت حريصا على أن تكون معى مجموعة من الشرائح الملونة تصور حفلات الاستقبال التى كانت تقام لى، لأثبت لأولئك الأصدقاء أن الأمريكيين لم يذكرونى فقط.. بل قدموا لى أكثر جدا من كوب الماء..

❖❖ للمؤلف ❖❖

١ـ التنظيم الإجتماعى للعلاقات الجنسية
الكتاب العربى ـ العدد الحادى عشر
القاهرة ـ يوليو سنة ١٩٦٠ (نفذ).

٢ـ الزواج وتطور المجتمع.
دار الكاتب العربى ـ وزارة الثقافة
القاهرة ـ أغسطس سنة ١٩٦٧ (نفذ)

٣ـ الزواج فى المجتمع المصرى الحديث
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ وزارة الثقافة
القاهرة ـ يوليو سنة ١٩٨٥

٤ ـ الزواج وتطور مجتمع البحرين
مكتبة مدبولى
القاهرة ـ يناير سنة ١٩٨٩

٥ـ الخيانة هزمت عرابى
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ وزارة الثقافة
القاهرة ـ مايو سنة ١٩٨٩

٦ـ شخصيات بحرينية
مكتبة فخراوى
البحرين ـ يناير ١٩٩٥

٧ـ الزواج والطلاق فى البحرين
مكتبة فخراوى ـ البحرين - تحت الطبع.

٨ ـ من بلاد نيام نيام (مجموعة قصصية)
الهيئة المصرية العامة للكتاب - تحت الطبع

فهرس الصور — الصفحة

الكتاب

يروى المؤلف خلاصة انطباعاته عن الحياة فى أمريكا على مدى ثلاث سنوات متصلة ومن خلال زياراته المتكررة فيما بعد إلى عدة ولايات أمريكية. وهى انطباعات موضوعية ممتزجة بكثير من الإعجاب بعديد من الجوانب الإيجابية وخاصة فى مجال التعليم والمكتبات وتربية الأطفال والاعتماد على الذات. وإن لم يفته تسجيل بعض الجوانب السلبية فى الحياة الأمريكية وأبرزها التمييز ضد الأفارقة الأمريكيين والهنود الحمر، الذى ما زال سائدا حتى الآن.

وقد عرض المؤلف انطباعاته بأسلوب سلس شيق، الأمر الذى يجعل الكتاب مقبولا لدى عامة القراء والمتخصصين معا، حيث يقدم للقارىء كما هائلا من المعلومات فى مجالات شتى. وهو يحطم تماما كل ادعاءات اليهود عن اشتراكهم فى بناء الأهرامات أو فى قيام حضارات أمريكا الوسطى والجنوبية، ويثبت عبور المصريين القدماء للمحيط الأطلنطى من أيرلندا وشمال فرنسا، قبل عبورهم من شمال أفريقيا إلى خليج المكسيك. ويؤكد على وجود صلات قوية بين المصريين وبعض قبائل الهنود الحمر الذين مازالوا يعبدون الإله المصرى القديم آمون رع.

ولا ينسى المؤلف دور الرهبان المصريين فى أيرلندا فى إزاحة ظلمة الجهل عن أوربا، واحتفال الأمريكيين بعيد القديس المصرى باتريك (قديس إيرلندا).

لم ينس المؤلف مصريته فى أمريكا، فحاول أن يرتفع فى سمائها الهرم المصرى الرابع، كما قال بنظريته عن وجود فلك نوح على أرض مصر.

إن قراءة هذا الكتاب ضرورة لكل مصرى ـ بل وعربى أيضا ـ يعيش خارج بلاده ليستطيع الرد على كل الادعاءات الباطلة التى يطلقها البعض ضد مصر، بلادنا الغالية.

الناشر

الكاتب

- من مواليد القاهرة ٢٨ يناير ١٩٢٩
- ليسانس حقوق جامعة القاهرة مايو سنة ١٩٥٣
- مارس المحاماة الحرة من أكتوبر سنة ١٩٥٣
- عين رئيسا لقسم الشئون القانونية بالشركة العامة للصوامع (قطاع عام) فى أول أبريل سنة ١٩٦٨ وتدرج فى مناصبها حتى وظيفة مدير عام الشئون القانونية.
- عضو اتحاد الكتاب.
- بدأ حياته الأدبية عام ١٩٤٨ عندما أصدر ـ بالاشتراك مع زملائه ـ مجموعة قصصية بعنوان «موكب القصة» ثم نشرت له بعض القصص القصيرة فى مجلة «قصتى» التى كان يصدرها الأديب الراحل صبحى الجيار.
- بدأ نشاطه الصحفى فى بعض الصحف المصرية اليومية عام ١٩٤٩، وكان سكرتيرا لتحرير مجلة الرجاء الجامعية سنة ١٩٥١.
- أول من قال بنظرية «العقل والجسد»، النظرية الثالثة فى أصل الحب ـ إحدى نظريات علم النفس الاجتماعى.
- يحب السفر والرحلات وقد زار أكثر من ست عشرة دولة عربية وأفريقية وأوربية وأمريكية.

مكتبة مدبولى ٦ ميدان طلعت حرب ـ القاهرة
ت: ٥٧٥٦٤٢١ ـ تلفاكس: ٥٧٥٢٨٥٤

رحلة مصرى فى أمريكا

AN EGYPTIAN IN AMERICA



عادل احمد سركيس

المحامى